سورة الحجر

سورة الـحجر مكية
وآياتها تسع وتسعون

بسم الله الرحمَن الرحيـم

الآية : 1

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {الَرَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مّبِينٍ }.

أما قوله جلّ ثناؤه, وتقدّست أسماؤه الر, فقد تقدم بـيانها فـيـما مضى قبل. وأما قوله: تِلْكَ آياتُ الكِتابِ فإنه يعنـي: هذه الآيات, آيات الكتب التـي كانت قبل القرآن كـالتوراة والإنـجيـل. وقُـرآنٍ يقـول: وآيـات قـرآن مُبِـيـنٍ يقول: يُبِـين من تأمله وتدبّره رشدَه وهداه. كمـا:

15878ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيـد, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن قتادة: وَقُرآنٍ مُبِـينٍ قال: تبـين والله هداه ورشده وخيره.

15879ـ حدثنا الـمثنى, قال: حدثنا أبو نعيـم, قـال: حـدثنا سفـيان, عـن مـجاهد: الـر فواتـح يفتتـح بهـا كلامـه. تِلْـكَ آيـاتُ الكِتـابِ قـال: التـوراة والإنـجيـل.

15880ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا إسـحاق, قـال: حـدثنا هشـام, عـن عمرو, عن سعيد, عن قتادة, فـي قوله: الر تِلْكَ آياتُ الكِتـابِ قـال: الكتُـب التـي كانت قبل القرآن.

الآية : 2

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {رّبَمَا يَوَدّ الّذِينَ كَفَرُواْ لَـوْ كَـانُواْ مُسْـلِمِينَ }.

اختلفت القراء فـي قراءة قوله رُبَـمَا فقرأت ذلك عامة قرّاء أهل الـمدينة وبعض الكوفـيـين رُبَـمَا بتـخفـيف البـاء, وقرأته عامة قرّاء الكوفـة والبصـرة بتشديدها.

والصواب من القول فـي ذلك عندنا أن يقال: إنهمـا قراءتـان مشـهورتان ولغتان معروفتان بـمعنى واحد, قد قرأ بكلّ واحدة منهمـا أئمـة مـن القـرّاء, فبأيتهما قرأ القارىء فهو مصيب.

واختلف أهل العربـيـة فـي معنـى «مـا» التـي مـع «ربّ», فقـال بعـض نـحويـي البصرة: أدخـل مع «ربّ» «ما» لـيتكلـم بـالفعل بعدها, وإن شـئت جعلت «ما» بـمنزلة شيء, فكأنك قلـت: ربّ شـيء, يـودّ: أي ربّ ودّ يـودّه الذين كفروا. وقد أنكر ذلك من قوله بعض نـحويّـي الكوفة, وقال: الـمصدر لا يحتاج إلـى عائد, والودّ قد وقـع علـى «لـو», ربـما يـودون لـو كـانوا: أن يكونوا. قـال: وإذا أضـمر الهـاء فـي «لـو» فلـيس بـمفعول, وهـو موضـع الـمفعول, ولا ينبغي أن يترجم الـمصدر بشيء, وقد ترجمه بشيء, ثم جعله ودّا, ثم أعاد علـيه عائدا. فكان الكسائي والفرّاء يقولان: لا تكاد العرب توقع «ربّ» علـى مستقبل, وإنـما يوقعونها علـى الـماضي مـن الفعـل كقـولهم: ربـما فعلـت كـذا, وربـما جاءنـي أخـوك. قـالا: وجـاء فـي القـرآن مـع الـمستقبل: ربـما يودّ, وإنـما جـاز ذلـك لأن مـا كـان فـي القـرآن مـن وعـد ووعيد وما فـيه, فهـو حـقّ كـأنه عيـان, فجـرى الكلام فـيـما لـم يكـن بعـدُ مـجراه فـيـما كان, كما قـيـل: وَلَوْ تَرَى إذ الـمُـجْرِمُونَ ناكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِنْـدَ رَبّهِمْ وقوله: وَلَوْ تَرَى إذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ كأنه ماض وهو منتظر لصـدقه فـي

المعنى, وأنه لا مكذّب له, وأن القائل لا يقول إذا نَهَى أو أمر فعصاه المأمور يقول: أما والله لربّ ندامة لك تذكر قولي فيها لعلمه بأنه سيندم, والله ووعده أصدق من قول المخلوقين. وقد يجوز أن يصحب «ربما» الدائم وإن كان في لفظ يفعل, يقال: ربما يموت الرجل فلا يوجد له كفن, وإن أوليت الأسماء كان معها ضمير كان, كما قال أبو دُؤاد:

رُبّمَا الجامِلُ المُؤَبّلُ فِيهِمُوعَناجِيجُ بَيْنَهُنّ المِهَارُ

فتأويل الكلام: ربما يودّ الذين كفروا بالله فجحدوا وحدانيته لو كانوا في دار الدنيا مسلمين. كما:

15881ـ حدثنا عليّ بن سعيد بن مسروق الكندي, قال: حدثنا خالد بن نافع الأشعري, عن سعيد بن أبي بردة, عن أبي بردة, عن أبي موسى, قال: بلغنا أنه: «إذا كان يوم القيامة, واجتمع أهل النار في النار ومعهم من شاء الله من أهل القبلة, قال الكفار لمن في النار من أهل القبلة: ألستم مسلمين؟ قالوا: بلى, قالوا: فما أغنى عنكم إسلامكم وقد صرتم معنا في النار؟ قالوا: كانت لنا ذنوب فأخذنا بها. فسمع الله ما قالوا, فأمر بكلّ من كان من أهل القبلة في النار فأخرجوا, فقال من في النار من الكفار: يا ليتنا كنا مسلمين» ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: الر تِلْكَ آياتُ الكِتابِ وقُرآنٍ مُبِينٍ رُبَمَا يَوَدّ الّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ.

15882ـ حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا عمرو بن الهيثم أبو قَطن القُطْعيّ, ورَوح القيسيّ, وعفان بن مسلم واللفظ لأبي قَطن قالوا: حدثنا القاسم بن الفضل بن عبد الله بن أبي جَرْوة, قال: كان ابن عباس وأنس بن مالك يتأوّلان هذه الآية: رُبَمَا يَوَدّ الّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ قالا: ذلك يوم يجمع الله أهل الخطايا من المسلمين والمشركين في النار وقال عفان: حين يحبس أهل الخطايا من المسلمين والمشركين فيقول المشركون: ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون زاد أبو قطن: قد جُمِعنا وإياكم وقال أبو قَطن وعفان: فيغضب الله لهم بفضل رحمته ولم يقله روح بن عبادة. وقالوا جميعا: فيخرجهم الله, وذلك حين يقول: رُبَمَا يَوَدّ الّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ.

15883ـ حدثنا الحسن, قال: حدثنا عفان, قال: حدثنا أبو عوانة, قال: حدثنا عطاء بن السائب, عن مجاهد, عن ابن عباس, في قوله: رُبَمَا يَوَدّ الّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ قال: يدخل الجنة ويرحم حتى يقول في آخر ذلك: من كان مسلما فليدخل الجنة قال: فذلك قوله: رُبَمَا يَوَدّ الّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ.

15884ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله: رُبَمَا يَوَدّ الّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ ذلك يوم القيامة يتمنى الذين كفروا لو كانوا موحدين.

15885ـ حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفيان عن سلمة بن كهيل, عن أبي الزعراء, عن عبد الله, في قوله: رُبَمَا يَوَدّ الّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ قال: هذا في الجهنميين إذا رأوهم يخرجون من النار.

حدثني المثنى, قال: أخبرنا مسلم بن إبراهيم, قال: حدثنا القاسم, قال: حدثنا ابن أبي فروة العبدي أن ابن عباس وأنس بن مالك كانا يتأوّلان هذه الآية: رُبَمَا يَوَدّ الّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ يتأوّلانها يوم يحبس الله

أهل الخطايا من المسلمين مع المشركين في النار, قال: فيقول لهم المشركون: ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون في الدنيا, قال: فيغضب الله لهم بفضل رحمته, فيخرجهم, فذلك حين يقول: رُبَمَا يَوَدّ الّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن عطاء بن السائب, عن مجاهد, عن ابن عباس, قال: ما يزال الله يُدخل الجنة, ويرحم ويشفع حتى يقولَ: من كان من المسلمين فليدخل الجنة فذلك قوله: رُبَمَا يَوَدّ الّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ.

15886ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن علية, عن هشام الدّستوائي, قال: حدثنا حماد, قال: سألت إبراهيم عن هذه الآية: رُبَمَا يَوَدّ الّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ قال: حُدّثت أن المشركين قالوا لمن دخل النار من المسلمين: ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون؟ قال: فيغضب الله لهم, فيقول للملائكة والنبيين: اشفعوا فيشفعون, فيخرجون من النار, حتى إن إبليس ليتطاول رجاء أن يخرج معهم. قال: فعند ذلك يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين.

حدثني المثنى, قال: حدثنا حجاج, قال: حدثنا حماد, عن إبراهيم, أنه قال في قول الله عزّ وجلّ: رُبَمَا يَوَدّ الّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ قال: يقول من في النار من المشركين للمسلمين: ما أغنت عنكم «لا إله إلا الله»؟ قال: فيغضب الله لهم, فيقول: من كان مسلما فليخرج من النار قال: فعند ذلك: يَوَدّ الّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن حماد, عن إبراهيم في قوله: رُبَمَا يَوَدّ الّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ قال: إن أهل النار يقولون: كنا أهل شرك وكفر, فما شأن هؤلاء الموحدين ما أغنى عنهم عبادتهم إياه؟ قال: فيخرج من النار من كان فيها من المسلمين. قال: فعند ذلك يَوَدّ الّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ.

15887ـ حدثنا الحسن بن يحيى, أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا الثوريّ, عن حماد, عن إبراهيم, عن خصيف, عن مجاهد, قال: يقول أهل النار للموحدين: ما أغنى عنكم إيمانكم؟ قال: فإذا قالوا ذلك, قال: أَخْرِجُوا من كان في قلبه مثقال ذرّة فعند ذلك يَوَدّ الّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ.

حدثني المثنى, قال: حدثنا مسلم, قال: حدثنا هشام, عن حماد, قال: سألت إبراهيم عن قول الله عزّ وجلّ: رُبَمَا يَوَدّ الّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ قال: الكفار يعيّرون أهل التوحيد: ما أغنى عنكم لا إله إلا الله؟ فيغضب الله لهم, فيأمر النبيين والملائكة فيشفعون, فيخرج أهل التوحيد, حتى إن إبليس ليتطاول رجاء أن يخرج, فذلك قوله: رُبَمَا يَوَدّ الّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ.

15888ـ حدثنا أحمد, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا عبد السلام, عن خصيف, عن مجاهد, قال: هذا في الجهنميين, إذا رأوهم يخرجون من النار يَوَدّ الّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ.

15889ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا الحجاج بن المنهال, قال: حدثنا حماد, عن عطاء بن السائب, عن مجاهد, قال: إذا فرغ الله من القضاء بين خلقه, قال: من كان مسلما فليدخل الجنة فعند ذلك يَوَدّ الّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ.

15890ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء وحدثني الحسن, قال: حدثنا شبابة, قال: حدثنا ورقاء وحدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: رُبَمَا يَوَدّ الّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ قال: يوم القيامة.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

15891ـ حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا عبد الوهاب بن عطاء, عن جويبر, عن الضحاك في قوله: رُبَمَا يَوَدّ الّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ قال: فيها وجهان اثنان, يقولون: إذا حضر الكافر الموت ودّ لو كان مسلما. ويقول آخرون: بل يعذّب الله ناسا من أهل التوحيد في النار بذنوبهم, فيعرفهم المشركون فيقولون: ما أغنت عنكم عبادة ربكم وقد ألقاكم في النار؟ فيغضب لهم فيخرجهم, فيقول: رُبَمَا يَوَدّ الّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ.

15892ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن أبي جعفر, عن الربيع, عن أبي العالية, في قوله: رُبَمَا يَوَدّ الّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ قال: نزلت في الذين يخرجون من النار.

15893ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: رُبَمَا يَوَدّ الّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ وذلك والله يوم القيامة, ودّوا لو كانوا في الدنيا مسلمين.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: رُبَمَا يَوَدّ الّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن عطاء, عن مجاهد, عن ابن عباس, قال: ما يزال الله يدخل الجنة ويشفع حتى يقول: من كان من المسلمين فليدخل الجنة فذلك حين يقول: رُبَمَا يَوَدّ الّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ.

الآية : 3

القول في تأويل قوله تعالى: {ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتّعُواْ وَيُلْهِهِمُ الأمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ذر يا محمد هؤلاء المشركين يأكلوا في هذه الدنيا ما هم آكلوه, ويتمتعوا من لذاتها وشهواتهم فيها إلى أجلهم الذي أجلت لهم, ويُلهِهم الأمل عن الأخذ بحظهم من طاعة الله فيها وتزوّدهم لمعادهم منها بما يقربهم من ربهم, فسوف يعلمون غدا إذا وردوا عليه وقد هلكوا على كفرهم بالله وشركهم حين يُعاينون عذاب الله أنهم كانوا من تمتعهم بما كانوا يتمتعون فيها من اللذّات والشهوات كانوا في خسار وتباب.

الآية : 4

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاّ وَلَهَا كِتَابٌ مّعْلُومٌ }.

يقول تعالى ذكره: وَما أهْلَكْنا يا محمد مِنْ أهل قَرْيَةٍ من أهل القرى التي أهلكنا أهلها فيما مضى, إلاّ ولَهَا كِتابٌ مَعْلُومٌ يقول: إلا ولها أجل مؤقّت ومدة معروفة لا نهلكهم حتى يبلغوها, فإذا بلغوها أهلكناهم عند

ذلك. فـيقول لنبـيه مـحمد صلى الله عليه وسلم: فكذلك أهل قريتـك التـي أنت منها وهي مكة, لا نهلك مشركي أهلها إلا بعد بلوغ كتابهم أجله, لأن مِـنْ قضائي أن لا أهلك أهل قرية إلا بعد بلوغ كتابهم أجله.

الآية : 5

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {مّا تَسْبِقُ مِنْ أُمّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: ما يتقدّم هلاك أمة قبل أجلها الذي جعلـه اللـه أجلاً لهلاكها, ولا يستأخر هلاكها عن الأجل الذي جعل لها أجلاً. كما:

15894ـ حدثنـي الـمثنى, قال: أخبرنا إسحاق, قال: حـدثنا عبـد الرزاق, عن معمر, عن الزهري, فـي قوله: ما تَسْبِقُ مِنْ أُمّةٍ أَجَلَهـا وَمـا يَسْـتَأْخِرُون قال: نرى أنه إذا حضر أجله فإنه لا يؤخر ساعة ولا يقدّم. وأما ما لـم يحضـر أجله فإن الله يؤخر ما شاء ويقدّم ما شاء.

الآية : 6-7

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَقَالُواْ يَأَيّهَا الّذِي نُـزّلَ عَلَيْـهِ الـذّكْرُ إِنّـكَ لَمَجْنُونٌ * لّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصّادِقِينَ }.

يقول تعالـى ذكره: وقال هؤلاء الـمشركون لك من قومك يا مـحمد: يا أيّها الّذِي نُزّلَ عَلَـيْهِ الذّكْرُ وهو القرآن الذي ذكـر اللـه فـيه مـواعظ خـملقه, إنّـكَ لَـمَـجْنُونٌ فـي دعائـك إيانـا إلـى أن نتّبعـك ونـذر آلهتنـا. لَوْمـا تَأتـينا بـالـمَلائِكَةِ قالوا: هلا تأتـينا بـالـملائكة شاهدة لك علـى صـدق مـا تقـول إنْ كُنْتَ مِنَ الصّادِقِـينَ يعنـي: إن كنت صادقا فـي أن اللـه تعالـى بعثـك إلـينا رسولاً وأنزل علـيك كتابـا, فإن الربّ الذي فعل ما تقول بـك لا يتعـذّر علـيه إرسال ملك من ملائكته معك حجة لك علـينا وآيـة لـك علـى نبوّتـك وصـدق مقالتك. والعرب تضع موضع «لوما» «لولا», وموضع «لـولا» «لومـا», مـن ذلك قول ابن مقبل:

لَوْما الـحَياءُ وَلَوْما الدّينُ عِبْتُكمابَعْضِ ما فـيكُما إذْ عِبْتُـما عَوَرِي

يريد: لولا الـحياء.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

15895ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا أبو زهيـر, عـن جويبر, عن الضحاك: نُزّلَ عَلَـيْهِ الذّكْرُ قال: القرآن.

الآية : 8

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {مَا نُنَزّلُ الْمَلائِكَةَ إِلاّ بِالحَقّ وَمَا كَـانُواْ إِذاً مّنظَرِينَ }.

اختلفت القرّاء فـي قراءة قوله: ما نُنَـزّلُ الـمَلائِكَةَ فقـرأ عامّـة قـرّاء الـمدينة والبصـرة: «مـا تَنَـزّلُ الـمَلائِكَةُ» بـالتاء تَنَـزّلُ وفتـحها ورفـع «الـملائكة», بـمعنى: ما تنزل الـملائكة, علـى أن الفعـل للـملائكة. وقـرأ ذلك عامّة قرّاء أهل الكوفة: ما نُنَزّلُ الـمَلائِكَةَ بـالنون فـي ننـزل وتشـديد الـزاي ونصـب الـملائكة, بـمعنى: مـا ننزلهـا نـحن, و «الـملائكة» حينئـذ منصوب بوقوع «ننزل» علـيها. وقرأه بع ض قـرّاء أهـل الكوفـة: «مـا تُنَـزّلُ الـمَلائِكَةُ» برفع الـملائكة والتاء فـ ي «تنـزل» وضـمها, علـ ى وجـه مـا لـم يسمّ فـاعله.

قال أبو جعفر: وكلّ هذ القـراءات الثلاث متقاربـات الـمعانـي وذلـك أن الـملائكة إذا نزلها الله علـى رسول من رسله تنزلت إلـيه, وإذا تنزلـت إلـيه

فإنما تنزل بإنزال الله إياها إليه. فبأيّ هذه القراءات الثلاث قرأ ذلك القارىء فمصيب الصواب في ذلك, وإن كنت أحبّ لقارئه أن لا يعدو في قراءته إحدى القراءتين اللتين ذكرت من قراءة أهل المدينة والأخرى التي عليها جمهور قرّاء الكوفيين, لأن ذلك هو القراءة المعروفة في العامّة, والأخرى: أعني قراءة من قرأ ذلك: «ما تُنَزّلُ» بضم التاء من تنزّل ورفع الملائكة شاذّة قليل من قرأ بها.

فتأويل الكلام: ما ننزل ملائكتنا إلا بالحقّ, يعني بالرسالة إلى رسلنا, أو بالعذاب لمن أردنا تعذيبه. ولو أرسلنا إلى هؤلاء المشركين على ما يسألون إرسالهم معك آية فكفروا لم يُنظروا فيؤخروا بالعذاب, بل عوجلوا به كما فعلنا ذلك بمن قبلهم من الأمم حين سألوا الآيات فكفروا حين آتتهم الآيات, فعاجلناهم بالعقوبة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

15896ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء وحدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا شبابة, قال: حدثنا ورقاء وحدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: ما نُنَزّلُ المَلائِكَةَ إلاّ بالحَقّ قال: بالرسالة والعذاب.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

الآية : 9

القول في تأويل قوله تعالى: {إنّا نَحْنُ نَزّلْنَا الذّكْرَ وَإنّا لَهُ لَحَافِظُونَ }.

يقول تعالى ذكره: إنّا نَحْنُ نَزّلْنا الذّكرَ وهو القرآن, وإنّا لَهُ لحَافِظُونَ قال: وإنا للقرآن لحافظون من أن يزاد فيه باطل مّا ليس منه, أو ينقص منه ما هو منه من أحكامه وحدوده وفرائضه. والهاء في قوله: «لَهُ» من ذكر الذكر.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

15897ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا ورقاء وحدثني الحسن, قال: حدثنا شبابة, قال: حدثنا ورقاء وحدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: وإنّا لَهُ لحَافِظُونَ قال: عندنا.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

15898ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إنّا نَحْنُ نَزّلْنا الذّكْرَ وإنّا لَهُ لحَافِظُونَ قال في آية أخرى: لا يَأتِيهِ الباطِلُ والباطل: إبليس, مِنْ بينِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ فأنزله الله ثم حفظه, فلا يستطيع إبليس أن يزيد فيه باطلاً ولا ينتقص منه حقّا, حفظه الله من ذلك.

15899ـ حدثني محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: وإنّا لَهُ لحَافِظُونَ قال: حفظه الله من أن يزيد فيه الشيطان باطلاً أو ينقص منه حقّا.

وقيل: الهاء في قوله: وإنّا لَهُ لحَافِظُونَ من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم بمعنى: وإنا لمحمد حافظون ممن أراده بسوء من أعدائه.

الآية : 10-11

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الأوّلِينَ * وَمَا يَأْتِيهِم مّن رّسُولٍ إِلاّ كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ولقد أرسلنا يا محمد من قبلك في الأمم الأوّلين رسلاً. وترك ذكر الرسل اكتفاء بدلالة قوله: وَلَقَدْ أرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ عليه, وعَنَى بشيع الأوّلين: أمم الأوّلين, واحدتها شيعة, ويقال أيضا لأولياء الرجل: شيعته.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

15900ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس: وَلَقَدْ أرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ في شِيَعِ الأوّلِينَ يقول: أمم الأوّلين.

15901ـ حدثني المثنى, قال: أخبرنا إسحاق, قال: حدثنا هشام, عن عمرو, عن سعيد, عن قتادة, في قوله: وَلَقَدْ أرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الأوّلِينَ قال: في الأمم.

وقوله: وَما يَأتِيهِمْ مِنْ رسُولٍ إلاّ كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ يقول: وما يأتي شيع الأوّلين من رسول من الله يرسله إليهم بالدعاء إلى توحيده والإذعان بطاعته إلاّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ يقول: إلا كانوا يَسْخَرون بالرسول الذي يرسله الله إليهم عُتوّا منهم وتمرّدا على ربهم.

الآية : 12-13

القول في تأويل قوله تعالى: {كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ * لاَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنّةُ الأوّلِينَ }.

يقول تعالى ذكره: كما سلكنا الكفر في قلوب شيع الأوّلين. بالاستهزاء بالرسل, كذلك نفعل ذلك في قلوب مشركي قومك الذين أجرموا بالكفر بالله لا يُؤْمِنُونَ بِهِ يقول: لا يصدّقون: بالذكر الذي أنزل إليك. والهاء في قوله: نَسْلُكُهُ من ذكر الاستهزاء بالرسل والتكذيب بهم كما:

15902ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج: كذلكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ المُجْرِمِينَ قال: التكذيب.

15903ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: كذلكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ المُجْرِمِينَ لا يؤمنون به, قال: إذا كذبوا سلك الله في قلوبهم أن لا يؤمنوا به.

15904ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا الثوري, عن حميد, عن الحسن, في قوله: كذلكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ المُجْرِمِينَ قال: الشرك.

15905ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا الحجاج بن المنهال, قال: حدثنا حماد بن سلمة, عن حميد, قال: قرأت القرآن كله على الحسن في بيت أبي خليفة, ففسره أجمع على الإثبات, فسألته عن قوله: كذلكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ المُجْرِمِينَ قال: أعمال سيعملونها لم يعملونها.

15906ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا سويد, قال: أخبرنا ابن المبارك عن حماد بن سلمة, عن حميد الطويل, قال: قرأت القرآن كله على الحسن, فما كان يفسره إلا على الإثبات, قال: وقفته على «نسلكه»,

قال: الشرك. قال: ابن المبارك: سمعت سفيان يقول في قوله: نَسْلُكُهُ قال: نجعله.
15907ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: كذلكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ المُجْرِمِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهِ قال: هم كما قال الله, هو أضلهم ومنعهم الإيمان.
يقال منه: سَلَكَه يَسْلُكُه سَلْكا وسُلُوكا, وأسلكه يُسْلِكه إسلاكا ومن السلوك قول عديّ بن زيد:
وكنْت لِزَازَ خَصْمِكَ لَمْ أُعَرّدْوَقَدْ سَلَكوكَ في يَوْم عَصِيبِ
ومن الإسلاك قول الآخر:
حتى إذَا أسْلَكُوهُمْ في قُتائِدَةٍشَلاّ كمَا تُطْرَدُ الجَمّالَةُ الشُّرُدَا
وقوله: وَقَدْ خَلَتْ سُنّةُ الأوّلِينَ يقول تعالى ذكره: لا يؤمن بهذا القرآن قومك الذين سلكت في قلوبهم التكذيب, حتى يَرَوُا العَذَابَ الأَلِيمَ أخذا منهم سنة أسلافهم من المشركين قبلهم من قوم عاد وثمود وضرائهم من الأمم التي كذّبت رسلها, فلم تؤمن بما جاءها من عند الله حتى حلّ بها سخط الله فهلكت.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
15908ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: كذلكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ المُجْرِمِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنّةُ الأوّلِينَ وقائع الله فيمن خلا قبلكم من الأمم.

الآية : 14-15

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً مّنَ السّمَاءِ فَظَلّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُواْ إِنّمَا سُكّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مّسْحُورُونَ }.
اختلف أهل التأويل في المعنيين بقوله: فَظَلّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ فقال بعضهم: معنى الكلام: ولو فتحنا على هؤلاء القائلين لك يا محمد لَوْما تَأْتِينا بالمَلائِكَةِ إنْ كُنْتَ مِنَ الصّادِقِينَ بابا من السماء فظلت الملائكة تعرج فيه وهم يرونهم عيانا, لقالُوا إنمَا سُكّرَتْ أبصارُنا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ. ذكر من قال ذلك:
15909ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَلَوْ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ بابا مِنَ السّماءِ فَظَلّوا فِيهِ يَعْرِجُونَ يقول: لو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلت الملائكة تعرج فيه, لقال أهل الشرك: إنما أخَذَ أبصارنا, وشَبّه علينا, وإنما سحرنا فذلك قولهم: لَوْما تَأْتِينا بالمَلائِكَةِ إنْ كُنْتَ مِنَ الصّادِقِينَ.
15910ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, عن ابن عباس: فَظَلّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ فظلت الملائكة يعرجون فيه يراهم بنو آدم عيانا لقالُوا إنمَا سُكّرَتْ أبْصَارُنا بَلْ نَحْنُ قَوْم مَسْحورُون.
15911ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قوله: يا أيّها الّذِي نُزّلَ عَلَيْهِ الذّكْرُ إنّكَ لمَجْنُونٌ لَوْما تَأْتِينا بالمَلائِكَةِ إنْ كُنْتَ مِنَ الصّادِقِينَ, قال: ما بين ذلك إلى قوله: وَلَوْ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ بابا مِنَ السّماءِ فَظَلّوا فِيهِ يَعْرِجُونَ قال: رجع إلى قوله: لَوْما تَأْتِينا بالمَلائِكَةِ ما بين ذلك. قال ابن جريج: قال ابن عباس: فظلت الملائكة تعرج فنظروا إليهم, لقالُوا إنّمَا سُكّرَتْ أبْصَارُنا قال: قريش تقوله.

15912ـ حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مــحمد بـن ثـور, عـن معمر, عن قتادة: وَلَوْ فَتَـحْنا عَلَـيْهِمْ بـابـا مِنَ السّـماءِ فَظَلّـوا فِـيـهِ يَعْرِجُـونَ قال: قال ابن عبـاس: لو فتـح اللّه علـيهم من السماء بـابـا فظلت الـملائكة تعرج فـيه, يقول: يختلفون فـيه جائين وذاهبـين لقالُوا إنّـمَا سُكّرَتْ أبْصَارُنا.

15913ـ حُدثت عن الـحسين, قال: سمعت أبـا معاذ يقول: أخبرنا عبــيد بن سلـيـمان, قال: سمعت الضحاك يقـول فــي قـوله: وَلَـوْ فَتَــحْنا عَلَـيْهِمْ بـابـا مِنَ السّماءِ فَظَلّوا فِـيهِ يَعْرِجُونَ يعنـي الـملائكة يقول: لو فتـحتُ علـى الـمشركين بـابـا من السـماء, فنظـروا إلــى الــملائكة تعـرج بــين السـماء والأرض, لقـال الــمشركون: نَــحْنُ قَـوْمٌ مَسْـحُورُونَ سُـحرنا ولــيس هـذا بـالـحقّ. ألا ترى أنهم قالوا قبل هذه الآية: لَوْما تَأتِـينا بـالـمَلائِكَةِ إنْ كُنْتَ مِنَ الصّادِقِـينَ.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا هشام, عن عمـر, عـن نصر, عن الضحاك, فـي قوله: وَلَوْ فَتَـحْنا عَلَـيْهِمْ بـابــا مِـنَ السّـماءِ فَظَلّـوا فِـيهِ يَعْرِجُونَ قال: لو أنـي فتـحت بـابـا من السماء تعرج فـيه الـملائكة بـين السماء والأرض, لقال الـمشركون: بَلْ نَـحْنُ قَوْمٌ مَسْـحُورُونَ إلا تـرى أنهـم قالوا: لَوْما تَأتِـينا بـالـمَلائِكَةِ إنْ كُنْتَ مِنَ الصّادِقِـينَ.

وقال آخرون: إنـما عُنـي بذلك بنو آدم.

ومعنى الكلام عندهم: ولو فتـحنا علـى هؤلاء الــمشركون مـن قومـك يـا مـحمد بـابـا من السماء فظلوا هم فـيه يعرجون لقَالُوا إنّـمَا سُكّرَتْ أبْصَارُنا. ذكر من قال ذلك:

15914ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَلَوْ فَتَـحْنا عَلَـيْهِمْ بـابـا مِنَ السّـماءِ فَظَلّـوا فِــيهِ يَعْرُجُـونَ ق ال قتـادة, ك ان الـحسن يقول: لو فعـل هـذا ببنــي آدم فظلـوا فــيه يعرجـون أي يختلفـون, لقالُوا إنّـما سُكّرَتْ أبْصَارُنا بَلْ نَـحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ.

وأما قوله: يَعْرُجُونَ فإن معناه: يرقَوْن فـيه ويَصْـعَدون, يقـال منـه: عـرج يَعْرُج عُروجا إذا رَقِـيَ وصَعَد, وواحدة الـمعارج: معـرج ومعـراج ومنـه قـول كثـير:

إلـى حَسَبٍ عَوْدٍ بنَا الـمرْءَ قَبْلَهُأبُوهُ لَهُ فِـيهِ معَارِجَ سُلّـمِ

وقد حُكي: عرِج يعـرِج بكسـر الـراء فــي الاستقبــال. وقـوله: لقَـالُوا إنّــما سُـكّرَتْ أبْصَـارُنا يقـول: لقـال هـؤلاء الــمشركون الـذين وصـف جـلّ ثنـاؤه صفتهم: ما هذا بحقّ إنـما سكّرت أبصارنا.

واختلفت القراء فـي قراءة قوله: سُكّرَتْ فقـرأ أهـل الــمدينة والعـراق: سُكّرَتْ بتشديد الكاف, بـمعنى: غُشّيت وغُطّيت, هكذا كان يقول أبو عمــرو بن العلاء فـيـما ذُكر لـي عنه. وذُكر عن مـجاهد أنه كان يقـرأ: «لقَـالُوا إنّــما سُكّرَتْ».

15915ـ حدثنــي بـذلك الــحرث, قـال: حـدثنا القاسـم, قـال: سـمعت الكسائي يحدّث عن حمـزة, عـن شـبل, عـن مــجاهد أنـه قرأهـا: «سُـكّرَتْ أبْصَارُنا» خفـيفة.

وذهب مـجاهد فـي قراءته ذلك كذلك إلـى: حُبسـت أبصـارنا عـن الرؤيـة والنظر من سكور الريح, وذلك سكونها وركودها, يقال منه: سـكرت الريـح: إذا سكنت وركدت. وقد حُكي عن أبـي عمرو بن العلاء أنـه كـان يقـول: هـو مأخوذ من سُكْر الشراب, وأن معناه: قد غشّى أبصارنا السكر.

وأما أهل التأويل فإنهم اختلفوا في تأويله, فقال بعضهم: معنى سُكِّرَتْ: سدّت. ذكر من قال ذلك:

15916ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا ورقاء وحدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا شبابة قال: حدثنا ورقاء وحدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حُذيفة, قال: حدثنا شبل وحدثني المثنى, قال: أخبرنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء جميعا, عن ابن نجيح, عن مجاهد, في قوله: سُكِّرَتْ أبْصَارُنا قال: سدّت.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

15917ـ حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا حجاج, يعني ابن محمد, عن ابن جريج, قال: أخبرني ابن كثير قال: سدّت.

15918ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول, في قوله: سُكِّرَتْ أبْصَارُنا يعني: سدّت.

فكأن مجاهدا ذهب في قوله وتأويله ذلك بمعنى: سدّت, إلى أنه بمعنى: منعت النظر, كما يُسكر الماء فيمنع من الجري بحبسه في مكان بالسكر الذي يسّكر به.

وقال آخرون: معنى سُكرت: أُخذت. ذكر من قال ذلك:

15919ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة, عن ابن عباس: لقَالُوا إنّمَا سُكِّرَتْ أبْصَارُنا يقول: أُخذت أبصارنا.

15920ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: إنما أخذ أبصارنا, وشبّه علينا, وإنما سحرنا.

15921ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبو سفيان, عن معمر, عن قتادة: لقَالُوا إنّما سُكِّرَتْ أبْصَارُنا يقول: سُحرت أبصارنا يقول: أخذت أبصارنا.

15922ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الرحمن بن أبي حماد, قال: حدثنا شيبان, عن قتادة, قال: من قرأ: سُكِّرَتْ مشددة: يعني سدّت. ومن قرأ «سُكِرَتْ» مخففة, فإنه يعني سحرت.

وكأن هؤلاء وجّهوا معنى قوله سُكِّرَتْ إلى أن أبصارهم سُحرت, فشبه عليهم ما يبصرون, فلا يميزون بين الصحيح مما يرون وغيره من قول العرب: سُكّر على فلان رأيه: إذا اختلط عليه رأيه فيما يريد فلم يدر الصواب فيه من غيره, فإذا عزم على الرأي قالوا: ذهب عنه التسكير.

وقال آخرون: هو مأخوذ من السكر, ومعناه: غشي على أبصارنا فلا نبصر,. كما يفعل السكر بصاحبه, فذلك إذا دير به وغشي بصره كالسمادير فلم يبصر. ذكر من قال ذلك:

15923ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: «إنّمَا سُكِّرَتْ أبْصَارُنا» قال: سكرت, السكران الذي لا يعقل.

وقال آخرون: معنى ذلك: عميت. ذكر من قال ذلك:

15924ـ حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا عبد الوهاب بن عطاء, عن الكلبي: سُكِّرَتْ قال: عميت.

وأولى هذه الأقوال بالصواب عندي قول من قال: معنى ذلك: أخذت أبصارنا وسحرت, فلا تبصر الشيء على ما هو به, وذهب حدّ إبصارنا وانطفأ نوره كما يقال للشيء الحارّ إذا ذهبت فورته وسكن حدّ حرّة: قد سكر يسكر. قال المثنى بن جندل الطّهوي:

جاءَ الشّتاءُ واجْتَأَلّ القُبّرُواستَخْفَتِ الأفْعَى وكانت تَظْهَرُ
وجَعَلَتْ عينُ الحَرُور تَسْكُرُ

أي تسكن وتذهب وتنطفىء. وقال ذو الرّمّة:

قَبْلَ انْصِداعِ الفَجْرِ والتّهَجّرِوخَوْضُهُنّ اللّيْلَ حينَ يَسْكُرُ

يعني: حين تسكن فورته. وذُكر عن قيس أنها تقول: سكرت الريح تسكر سُكُورا, بمعنى: سكنت. وإن كان ذلك عنها صحيحا, فإن معنى سُكِرَت وسُكّرَتْ بالتخفيف والتشديد متقاربان, غير أن القراءة التي لا أستجيز غيرها في القرآن: سُكّرَتْ بـ التشديد لإجم اع الحجة من القراءة عليها, وغير جائز خلافها فيما جاءت به مجمعة عليه.

الآية : 16

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السّمَاءِ بُرُوجاً وَزَيّنّاهَا لِلنّاظِرِينَ }.

يقول تعالى ذكره: ولقد جعلنا في السماء الدنيا منازل للشمس والقمر, وهي كواكب ينزلها الشمس والقمر. وَزَيّناها للنّاظِرِينَ يقول: وزينا السماء بالكواكب لمن نظر إليها وأبصرنا.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

15925ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء وحدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا شبابة, قال: حدثنا ورقاء وحدثني المثنى, قال: أخبرنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل وحدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: وَلَقَدْ جَعَلْنا فِي السّماءِ بُروجا قال: كواكب.

15926ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَلَقَدْ جَعَلْنا فِي السّماءِ بُروجا وبروجها: نجومها.

15927ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: بُرُوجا قال: الكواكب.

الآية : 17-18

القول في تأويل قوله تعالى: {وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلّ شَيْطَانٍ رّجِيمٍ * إِلاّ مَنِ اسْتَرَقَ السّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مّبِينٌ }.

يقول تعالى ذكره: وحفظنا السماء الدنيا من كلّ شيطان لعين قد رجمه الله ولعنه. إلاّ مَنِ اسْتَرَقَ السّمْعَ يقول: لكن قد يسترق من الشياطين السمع مما يحدث في السماء بعضها, فيتبعه شهاب من النار مبين يبين أثره فيه, إما بإخباله وإفساده أو بإحراقه.

وكان بعض نحويي أهل البصرة يقول في قوله: إلاّ مَنِ اسْتَرَقَ السّمْعَ هو استثناء خارج, كما قال: ما أشتكي إلا خيرا, يريد: لكن أذكر خيرا. وكان ينكر ذلك من قيله بعضهم, ويقول: إذا كانت «إلا» بمعنى «لكن» عملت عمل «لكن», ولا يحتاج إلى إضمار «أذكر», ويقول: لو احتاج الأمر كذلك إلى إضمار «أذكر» احتاج قول القائل: قام زيد لا عمرو إلى إضمار «أذكر».

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
15928ـ حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا عفان بن مسلم, قال: حدثنا عبد الواحد بن زياد, قال: حدثنا الأعمش عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, قال: تصعد الشياطين أفواجا تسترق السمع, قال: فيفرد المارد منها فيعلو, فيرمى بالشهاب فيصيب جبهته أو حيث شاء الله منه فيلتهب, فيأتي أصحابه وهو يلتهب, فيقول: إنه كان من الأمر كذا وكذا. قال: فيذهب أولئك إلى أخوانهم من الكهنة, فيزيدون عليه أضعافه من الكذب, فيخبرونهم به, فإذا رأوا شيئا مما قالوا قد كان صدّقوهم بما جاءوهم به من الكذب.
15929ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, في قوله: وَحَفِظْناها مِنْ كُلّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ إلاّ مَنِ اسْتَرَقَ السّمْعَ قال: أراد أن يخطف السمع, وهو كقوله: إلاّ مَنْ خَطِفَ الخَطْفَةَ.
15930ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة قوله: إلاّ مَنِ اسْتَرَقَ السّمْعَ وهو نحو قوله: إلاّ مَنْ خَطِفَ الخَطْفَةَ فأتْبَعَهُ شِهابٌ ثاقِبٌ.
15931ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قوله: إلاّ مَنِ اسْتَرَقَ السّمْعَ قال: خطف الخطفة.
15932ـ حدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول, في قوله: إلاّ مَنِ اسْتَرَقَ السّمْعَ هو كقوله: إلاّ مَنْ خَطِفَ الخَطْفَةَ فأتْبَعَهُ شِهابٌ ثاقبٌ كان ابن عباس يقول: إن الشهب لا تقتل ولكن تحرق وتخبل وتخرج من غير أن تقتل.
15933ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا القاسم, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج: مِنْ كُلّ شَيْطانٍ رَجِيمٍ قال: الرجيم: الملعون. قال: وقال القاسم عن الكسائي إنه قال: الرجم في جميع القرآن: الشتم.

الآية : 19

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالأرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلّ شَيْءٍ مّوْزُونٍ }.
يعني تعالى ذكره بقوله: والأرْضَ مَدَدْناها والأرض دحوناها فبسطناها, وألْقَيْنا فِيها رَوَاسِيَ يقول: وألقينا في ظهورها رواسيَ, يعني جبالاً ثابتة كما:
15934ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: والأرْضَ مَدَدْناها, وقال في آية أخرى: والأرْضَ بَعْدَ ذلكَ دَحاها وذُكر لنا أن أمّ القرى مكة, منها دُحيت الأرض.
قوله: وألقينا فِيها رَوَاسيَ رواسيها: جبالها. وقد بيّنا معنى الرسوّ فيما مضى بشواهده المغنية عن إعادته. وقوله: وأنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ يقول: وأنبتنا في الأرض من كلّ شيء يقول: من كلّ شيء مقدّر, وبحدّ معلوم.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
15935ـ حدثنا المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وأنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ يقول: معلوم.

حدثني محمد بن سعد, قال: حدثنا أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وأنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ يقول: معلوم.

15936ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد, عن أبي صالح, أو عن أبي مالك, في قوله: مِنْ كُلّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ قال: بقدر.

حدثنا المثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيم, عن إسماعيل بن أبي خالد, عن أبي صالح أو عن أبي مالك, مثله.

15937ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا الحماني, قال: حدثنا شريك, عن خصيف, عن عكرمة: مِنْ كُلّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ قال: بقدْر.

حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا عليّ, يعني ابن الجعد, قال: أخبرنا شريك, عن خصيف, عن عكرمة: مِنْ كُلّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ قال: بقدْر.

حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا سفيان, عن خصيف, عن عكرمة, قال: يقدْر.

15938ـ حدثنا أحمد, قال: حدثنا سفيان, عن حصين, عن سعيد بن جبير: مِنْ كُلّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ قال: معلوم.

15939ـ حدثنا مجاهد بن موسى, قال: حدثنا يزيد, قال: أخبرنا عبد الله بن يونس, قال: سمعت الحكم بن عتيبة وسأله أبو مخزوم عن قوله: مِنْ كُلّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ قال: من كلّ شيء مقدور.

حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا يزيد بن هارون, قال: أخبرنا عبد الله بن يونس, قال: سمعت الحكم, وسأله أبو عروة عن قول الله عزّ وجلّ: مِنْ كُلّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ قال: من كلّ شيء مقدور. هكذا قال الحسن: وسأله أبو عروة.

15940ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء وحدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا شبابة, قال: حدثنا ورقاء وحدثني المثنى, قال: أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل وحدثني المثنى, قال: أخبرنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: مِنْ كُلّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ قال: مقدور بقدْر.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد: مِنْ كُلّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ قال: مقدور بقدْر.

حدثني المثنى, قال: حدثنا عليّ بن الهيثم, قال: حدثنا يحيى بن زكريا, عن ابن جريج, عن مجاهد, قال: مقدور بقدْر.

15941ـ حدثنا المثنى, قال: حدثنا عليّ بن الهيثم, قال: حدثنا يحيى بن زكريا, عن إسماعيل بن أبي خالد, عن أبي صالح: مِنْ كُلّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ قال: بقدْر.

15942ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وأنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ يقول: معلوم.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة, مثله.

15943ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: مِنْ كُلّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ يقول: معلوم.

وكان بعضهم يقول: معنى ذلك وأنبتنا فـي الـجبـال من كلّ شيء مـوزون يعنـي من الذهب والفضة والنـحاس والرصاص ونـحو ذلك من الأشياء التــي توزن. ذكر من قال ذلك:

15944ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قوله: وأنْبَتْنا فِـيهامِنْ كُلّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ قال: الأشياء التـي توزن.

وأولـى القولـين عندنا بــالصواب القـول الأوّل لإجمـاع الــحجة مـن أهـل التأويـل علـيه.

الآية : 20

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَـن لّسْـتُمْ لَـهُ بِرَازِقِينَ }.

يقول تعالـى ذكره: وَجَعَلْنَا لَكُمْ أيها الناس فـي الأرض مَعَايِشَ, وهي جمع معيشة وَمَنْ لَسْتُـمْ لَهُ بِرَازِقـينَ.

اختلف أهل التأويـل فـي الـمعنـي فـي قـوله: وَمَـنْ لَسْتُــمْ لَـهُ بِرَازِقــينَ فقال: بعضهم: عُنـي به الدوّاب والأنعام. ذكر من قال ذلك:

15945ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحرث, قال: حـدثنا الــحسين قـال: حـدثنا ورقـاء وحـدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا شبـابة, قال: حدثنا ورقاء وحدثنـي الــمثنى, قال: حدثنا أبـو حذيفـة, قـال: حـدثنا شـبل, عـن ابـن أبــي نــجيح وحدثنــي الـمثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله جمعيا, عن ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: وَمَنْ لَسْتُـمْ لَهُ بِرَازِقـينَ الدوابّ والأنعام.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد, مثله.

وقال آخرون: عُنـي بذلك الوحشُ خاصة. ذكر من قال ذلك:

15946ـ حدثنـي مـحمد بن الـمثنى, قال: حدثنا مـحمد بـن جعفـر, قـال: حدثنا شعبة, عـن منصـور فــي هـذه الآيـة وَمَـنْ لَسْتُــمْ لَـهُ بِرَازِقــينَ قـال: الوحش.

فتأويـل «مَنْ» فـي: وَمَنْ لَسْتُـمْ لَهُ بِرَازِقـينَ علـى هـذا التأويــل بــمعنى «ما», وذلك قلـيـل فـي كلام العرب.

وأولـى ذلك بـالصواب, وأحسن أن يقال: عُنــي بقـوله: وَمَـنْ لَسْتُــمْ لَـهُ بِرَازِقـينَ من العبـيد والإماء والدوابّ والأنعام. فمعنى ذلك: وجعلنا لكم فـيها معايشَ والعبـيدَ والإماء والدوابّ والأنعـام. وإذا كـان ذلـك كـذلك, حسـن أن توضع حينئذ مكان العبـيد والإمـاء والـدوابّ «مـن», وذلـك أن العـرب تفعـل ذلك إذا أرادت الـخبر عن البهائم معها بنو آدم. وهذا التأويـل علـى مـا قلنـاه وصرفنا إلـيه معنى الكلام إذا كانت «من» فـي موضع نصب عطفـا به علـ ى «معايش» بـمعنى: جعلنا لكم فـيها معايش, وجعلنا لكم فـيها من لستـم لـه برازقـين. وقـيـل: إنّ «مـن» فــي موضـع خفـض عطفــا بـه علــى الكـاف والـميـم فـي قوله: وَجَعلْنَـا لَكُـمْ بــمعنى: وجعلنـا لكـم فــيها معـايش وَمَـنْ لَسْتُـمْ لَهُ بِرَازِقـينَ. وأحسب أن منصورا فـي قوله: هو الـوحش, قصـد هـذا الـمعنى وإياه أراد وذلك وإن كان له وجه كلام العرب فبعيـد قلـيــل, لأنهـا لا تكاد تظاهر علـى معنى فـي حال الـخفض, وربــما جـاء فــي شـعر بعضـهم فـي حال الضرورة, كما قال بعضهم:

هَلاّ سألْتَ بذِي الـجمَاجِمِ عنهُمُوأبى نُعَيـمٍ ذي اللّوَاءِ الـمُخْرَقِ

فردّ أبا نعيم على الهاء والميم في «عنهم». وقد بيّنت قبح ذلك في كلامهم.

الآية : 21

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِن مّن شَيْءٍ إِلاّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزّلُهُ إِلاّ بِقَدَرٍ مّعْلُومٍ }.

يقول تعالى ذكره: وما من شيء من الأمطار إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر, لكل أرض معلوم عندنا حدّه ومبلغه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

15947ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: أخبرنا يزيد بن أبي زياد, عن رجل, عن عبد الله, قال: ما من أرض أمْطَرُ من أرض, ولكن الله يقدره في الأرض. ثم قرأ: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّ عِنْدَنا خَزَائِنُهُ وَما نُنَزّلِهُ إلاّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن يزيد بن أبي زياد, عن أبي جحيفة, عن عبد الله, قال: ما من عام بأمطر من عام بأمطر من عام, ولكن الله يصرفه عمن يشاء. ثم قال: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إلاّ عِنْدَنا خَزَائِنُهُ.

حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا إبراهيم بن مهدي المصيصي, قال: حدثنا عليّ بن مسهر, عن يزيد بن أبي زياد, عن أبي جحيفة, عن عبد الله بن مسعود: ما من عام, ولكن الله يقسمه حيث شاء, عاما ههنا وعاما ههنا. ثم قرأ: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إلاّ عِنْدَنا خَزَائِنُهُ وَما نُنَزّلِهُ إلاّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ.

15948ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن جريج: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إلاّ عِنْدَنا خَزَائِنُهُ وَما نُنَزّلِهُ إلاّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ قال: المطر خاصة.

15949ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا إسماعيل بن سالم, عن الحكم بن عتيبة, في قوله: وَما نُنَزّلِهُ إلاّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ قال: ما من عام بأكثر مطرا من عام ولا أقلّ, ولكنه يمطر قوم ويُحرم آخرون, وربما كان في البحر. قال: وبلغنا أنه ينزل مع المطر من الملائكة أكثر من عدد ولد إبليس وولد آدم يحصون كلّ قطرة حيث تقع وما تُنبت.

الآية : 22

القول في تأويل قوله تعالى: {وَأَرْسَلْنَا الرّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السّمَآءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَآ أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ }.

اختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامّة القرّاء: وأرْسَلْنا الرّياحَ لَوَاقِحَ, وقرأه بعض قرّاء أهل الكوفة: «وأرْسَلْنا الرّياحَ لَوَاقِحَ» فوحّد الريح وهي موصوفة بالجمع أعنى بقوله: «لواقح». وينبغي أن يكون معنى ذلك: أن الريح وإن كان لفظها واحدا, فمعناها الجمع لأنه يقال: جاءت الريح من كلّ وجه, وهبّت من كلّ مكان, فقيل لواقح لذلك, فيكون معنى جمعهم نعتها وهي في اللفظ واحدة معنى قولهم: أرض سباسب, وأرض أغفال, وثوب أخلاق, كما قال الشاعر:

جاءَ الشّتاءُ وقَمِيصي أخْلاقْشَرَاذِمٌ يَضْحَكُ مِنْهُ التّوّاقْ

وكذلك تفعل العرب في كلّ شيء اتسع.

واختلف أهل العربية في وجه وصف الرياح باللقح وإنما هي ملقحة لا لاقحة, وذلك أنها تلقح السحاب والشجر, وإنما توصف باللقح الملقوحة لا

الملقح, كما يقال: ناقة لاقح. وكان بعض نحويي البصرة يقول: قيل: الرياح لواقح, فجعلها على لاقح, كأن الرياح لقحت, لأن فيها خيرا فقد لقحت بخير. قال: وقال بعضهم: الرياح تلقح السحاب, فهذا يدلّ على ذلك المعنى لأنها إذا أنشأته وفيها خير وصل ذلك إليه. وكان بعض نحويي الكوفة يقول: في ذلك معنيان: أحدهما أن يجعل الريح هي التي تلقح بمرورها على التراب والماء فيكون فيها اللقاح, فيقال: ريح لاقح, كما يقال: ناقة لاقح, قال: ويشهد على ذلك أنه وصف ريح العذاب فقال: عَلَيهِمُ الرّيحَ الْعَقِيمَ فجعلها عقيما إذا لم تلقح. قال: والوجه الآخر أن يكون وصفها باللقح وإن كانت تلقح, كما قيل: ليل نائم والنوم فيه وسرّكاتم, وكما قيل: المبروز والمختوم, فجعل مبروزا ولم يقل مبرزا بَنَاهُ على غير فعله, أي أن ذلك من صفاته, فجاز مفعول لمفعل كما جاز فاعل لمفعول إذا لم يرد البناء على الفعل, كما قيل: ماء دافق.

والصواب من القول في ذلك عندي: أن الرياح لواقح كما وصفها به جلّ ثناؤه من صفتها, وإن كانت قد تلقح السحاب والأشجار, فهي لاقحة ملقحة, ولقحها: حملها الماء, وإلقاحها السحاب والشجر: عملها فيه, وذلك كما قال عبد الله بن مسعود.

15950ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا المحاربي, عن الأعمش, عن المنهال بن عمرو, عن قيس بن سكن, عن عبد الله بن مسعود, في قوله: وأَرْسَلْنا الرّياحَ لَوَاقِحَ قال: يرسل الله الرياح فتحمل الماء, فتجري السحاب, فتدر كما تدر اللقحة ثم تمطر.

حدثني أبو السائب, قال: حدثنا أبو معاوية, عن الأعمش, عن المنهال, عن قيس بن سكن, عن عبد الله: وأَرْسَلْنا الرّياحَ لَوَاقِحَ قال: يبعث الله الريح فتلقح السحاب, ثم تمريه فتدر كما تدر اللقحة, ثم تمطر.

حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا أسباط بن محمد, عن الأعمش, عن المنهال بن عمرو, عن قيس بن السكن, عن عبد الله بن مسعود, في قوله: وأَرْسَلْنا الرّياحَ لَوَاقِحَ قال»: يرسل الرياح, فتحمل الماء من السحاب, ثم تمري السحاب, فتدر كما تدر اللقحة.

فقد بين عبد الله بقوله: يرسل الرياح فتحمل الماء, أنها هي اللاقحة بحملها الماء وإن كانت ملقحة بإلقاحها السحاب والشجر.

وأما جماعة أُخَر من أهل التأويل, فإنهم وجّهوا وصف الله تعالى ذكره إياها بأنها لواقح إلى أنه بمعنى ملقحة, وأن اللواقح وُضعت ملاقح, كما قال نهشل بن حريّ:

لِـيُبْكَ يَزِيدُ بـائِسٌ لِضَرَاعَةٍوأشْعَثُ مـمّنْ طَوّحَتْهُ الطّوَائحُ

يريد المطاوح, وكما قال النابغة:

كلـيني لِهَمَ يا أُمَيْمَةَ ناصِبِولَـيْـلٍ أُقاسيهِ بَطيءِ الكوَاكبِ

بمعنى: مُنْصِب. ذكر من قال ذلك:

15951ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهديّ, قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش, عن إبراهيم في قوله: وأَرْسَلْنا الرّياحَ لَوَاقِحَ قال: تلقح السحاب.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو نعيم, قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش, عن إبراهيم, مثله.

حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش, عن أبراهيم, مثله.
15952ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا علية, عن أبي رجاء, عن الحسن, قوله: وأرْسَلْنا الرّياحَ لَوَاقِحَ قال: لواقح للشجر. قلت: أو للسحاب؟ قال: وللسحاب, تمريه حتى يمطر.
15953ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا إسحاق بن سليمان, عن أبي سنان, عن حبيب بن أبي ثابت, عن عبيد بن عمير, قال: يبعث الله المبشرة فَتَقُمّ الأرض قَمّا, ثم يبعث الله المثيرة فتثير السحاب, ثم يبعث الله المؤلّفة فتؤلف السحاب, ثم يبعث الله اللواقح فتلقح الشجر. ثم تلا عبيد: وأرْسَلْنا الرّياحَ لَوَاقِحَ.
15954ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وأرْسَلْنا الرّياحَ لَوَاقِحَ يقول: لواقح للسحاب, وإن من الريح عذابا وإن منها رحمة.
15955ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: لَوَاقِحَ قال: تلقح الماء في السحاب.
15956ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن ابن عباس: لَوَاقِحَ قال: تُلقح الشجر وتُمري السحاب.
15957ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول, في قوله: وأرْسَلْنا الرّياحَ لَوَاقِحَ الرياح يبعثها الله على السحاب فتلقحه فيمتلىء ماء.
15958ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا أحمد بن يونس, قال: حدثنا عبيس بن ميمون, قال: حدثنا أبو المهزم, عن أبي هريرة, قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «الرّيحُ الجَنُوبُ مِنَ الجَنّةِ, وَهِيَ الرّيحُ اللّوَاقِحُ, وَهِيَ التي ذَكَرَ اللّهُ تَعَالى فِي كِتابِهِ وَفِيها منَافِعٌ للنّاسِ».
حدثني أبو الجماهر الحمصي أو الحضرمي محمد بن عبد الرحمن, قال: حدثنا عبد العزيز بن موسى, قال: حدثنا عبيس بن ميمون أبو عبيدة, عن أبي المهزم, عن أبي هريرة, قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم, فذكر مثله سواء.
وقوله: فأنْزَلْنا مِنَ السّماءِ ماءً فأسْقَيْنا كمُوهُ يقول تعالى ذكره: فأنزلنا من السماء مطرا فأسقيناكم ذلك المطر لشرب أرضكم ومواشيكم. ولو كان معناه: أنزلناه لتشربوه, لقيل: فسقينا كموه. وذلك أن العرب تقول إذا سقت الرجل ماء شربه أو لبنا أو غيره: «سقيته» بغير ألف إذا كان لسقيه, وإذا جعلوا له ماء لشرب أرضه أو ماشيته, قالوا: «أسقبته وأسقيت أرضه وماشيته», وكذلك إذا استسقت له, قالوا «أسقيته واستسقيته», كما قال ذو الرّمّة:
وَقَفْتُ على رَسْمٍ لِمَيّةَ ناقَتِيفَمَا زِلْتُ أبْكي عِنْدَهُ وأُخاطِبُهْ
وأسْقِيهِ حتى كادَ مِمّا أبُثّهُتُكَلّمُني أحْجارُهُ ومَلاعِبُهْ
وكذلك إذا وَهَبْتَ لرجل إهابا ليجعله سقاء, قلت: أسقيته إياه.
وقوله: وَما أنْتُمْ لَهُ بِخازِنِيَنَ يقول: ولستم بخازني الماء الذي أنزلنا من السماء فأسقينا كموه فتمنعوه من أسقيه لأن ذلك بيدي وإليّ, أسقيه من أشاء وأمنعه من أشاء. كما:

15959ـ حدثنا أحمد, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: سفـيان: وَمـا أنْتـمْ لَـهُ بِخازِنِـينَ قال: بـمانعين.

الآية : 23-25

القول فـي تأويـل قوله تعالـي: {وَإنّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ * وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْـتَقْدِمِينَ مِنكُـمْ وَلَقَـدْ عَلِمْنَـا الْمُسْـتَأْخِرِينَ * وَإِنّ رَبّـكَ هُـوَ يَحْشُرُهُمْ إِنّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ }.

يقول تعالـى ذكره: وإنّا لَنَـحْنُ نُـحْيـي من كان ميتا إذا أردنا ونُـمِيتُ من كان حيّا إذا شئنا. وَنـحْنُ الوَارِثُونَ يقول: ونـحن نرث الأرض ومن علـيها بـأن نـميت جميعهم, فلا يبقـى حيّ سوانا إذا جاء ذلك الأجل. وقوله: وَلَقَدْ عَلِـمْنا الـمُسْتَقْدِمينَ مِنْكُمْ وَلَقَـدْ عَلــمْنا الــمُسْتأخِرِينَ اختلـف أهـل التأويــل فــي تأويـل ذلك, فقال بعضهم: معنى ذلك: ولقـد علــمنا مـن مضـى مـن الأمــم فتقدّم هلاكهم, ومن قد خـلق وهو حيّ, ومن لـم يخـلق بعدُ مـمن سيخــلق. ذكر من قال ذلك:

15960ـ حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفـيان, عـن أبــيه, عـن عكرمـة: وَلَقَـدْ عَلِــمْنا الــمُسْتَقْدِمينَ مِنْكُـمْ وَلَقَـدْ عَلــمْنا الــمُسْتأخِرِينَ قـال: الــمستقدمون: مـن قـد خــلق ومـن خلا مـن الأمــم والـمستأخرون: من لـم يخـلق.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا الـحكم, قال: حدثنا عمـرو بـن قــيس, عـن سعيد بن مسروق, عن عكرمة, فـي قوله: وَلَقَدْ عَلِـمْنا الـمُسْتَقْدِمينَ مِنْكُـمْ وَلَقَدْ عَلـمْنا الـمُسْتأخِرِينَ قال: هم خـلق الله كلهم, قد علـم من خـلق منهم إلـى الـيوم, وقد علـم من هو خالقه بعد الـيوم.

حدثنا الـحسن بن يحيـى, قـال: أخبرنـا عبـد الـرزاق. قـال: أخبرنـا ابـن التيـمي, عن أبـيه, عن عكرمة, قال: إن اللـه خــلق الـخــلق ففـرغ منهـم, فـالـمستقدمون: من خـرج مـن الـخــلق, والــمستأخرون: مـن بقــي فــي أصلاب الرجال لـم يخرج.

15961ـ حدثنـي مـحمد بن أبـي معشر, قال: أخبرنـي أبو معشـر, قـال: سمعت عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود يـذاكر مــحمد بـن كعـب فـي قول الله: وَلَقَدْ عَلِـمْنا الـمُسْتَقْدِمينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلـمْنا الــمُسْتأخِرِينَ فقـال عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود: خير صـفوف الرجـال الــمقدّم, وشـرّ صـفوف الرجـال الــمؤخّر, وخيـر صـفوف النسـاء الــمؤخّر, وشـرّ صـفوف النســاء الــمقدّم. فقــال مــحمد بــن كعــب: لـيس هكـذا وَلَقَـدْ عَلِــمْنا الـمُسْتَقْدِمينَ مِنْكُمْ: الـميت والـمقتول والـمُسْتَأخرين: من يـلـحق بهم مِــن بعدُ, وإن ربك هو يحشرهم, إنـه حكيــم علـيــم. فقـال عـون بـن عبـد اللـه: وفقك الله وجزاك خيرا.

15962ـ حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا الـمعتــمر, عـن أبــيه, قال: قال قتادة: الـمستقدمين: من مضى, والـمستأخرين: مـن بقــي فــي أصلاب الرجال.

15963ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا سـعيد بـن منصـور, قـال: حدثنا أبو الأحوص, قال: حدثنا سعيد بن مسروق, عن عكرمة وخصيف, عـن مــجاهد, فــي قــوله: وَلَقَــدْ عَلِــمْنا الــمُسْتَقْدِمينَ مِنْكُــمْ وَلَقَــدْ عَلــمْنا الـمُسْتأخِرِينَ قال: من مات ومن بقـي.

15964ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَلَقَدْ عَلِمْنا الـمُسْتَقْدِمينَ منْكُمْ قال: كان ابن عباس يقول: آدم صلى الله عليه وسلم ومن مضى من ذريته. وَلَقَدْ عَلـمْنا الـمُسْتأخِرِينَ: من بقى فـي أصلاب الرجال.

15965ـ حدثنا مـحمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا مـحمد بـن ثـور, عـن معمر, عن قتادة: وَلَقَدْ عَلِمْنا الـمُسْتَقْدِمينَ منْكُمْ وَلَقَدْ عَلـمْنا الـمُسْتأخِرِينَ قال: الـمستقدمون آدم ومن بعده, حتـى نزلت هذه الآيـة. والـمستأخرون: قال: كلّ من كان من ذريّته.

قال أبو جعفر: أظنه أنا قال: ما لـم يُخـلق وما هو مخـلوق.

15966ـ حدثنا أحمد, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفيان, عن أبيه, عن عكرمة, قال: الـمستقدمون: ما خرج من أصلاب الرجال. والـمستأخرون: ما لـم يخرج. ثـم قـرأ: وإنّ رَبّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إنّهُ حَكِيمٌ عَلِيم.

وقال آخرون: عنى بالـمستقدمين: الـذين قـد هلكـوا, والـمستأخرين: الأحياء الذين لـم يهلكوا. ذكر من قال ذلك:

15967ـ حدثنا مـحمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَلَقَدْ عَلِمْنا الـمُسْتَقْدِمينَ منْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنا الـمُسْتأخِرِينَ يعني بالـمستقدمين: من مات. ويعني بالـمستأخرين: من هو حيّ لـم يـمت.

15968ـ حُدثت عن الـحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول فـي قـوله: وَلَقَدْ عَلِمْنا الـمُسْتَقْدِمينَ منْكُمْ يعني الأموات منكم. ولَقَدْ عَلـمْنا الـمُسْتأخِرِينَ بقيتهم, وهم الأحياء. يقول: علـمنا من مات ومن بقـي.

15969ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: وَلَقَدْ عَلِمْنا الـمُسْتَقْدِمينَ منْكُمْ وَلَقَدْ عَلـمْنا الـمُسْتأخِرِينَ قال: الـمستقدمون منكـم: الـذين مضـوا فـي أوّل الأمـم, والـمستأخرون: الباقون.

وقال آخرون: بل معناه: ولقد علـمنا الـمستقدمين فـي أوّل الـخـلق والـمستأخرين فـي آخرهم. ذكر من قال ذلك:

15970ـ حدثنا مـحمد بن الـمثنى, قال: حدثنا عبد الوهاب, قال: حدثنا داود, عن عامر فـي هذه الآية: وَلَقَدْ عَلِمْنا الـمُسْتَقْدِمينَ منْكُمْ وَلَقَدْ عَلـمْنا الـمُسْتأخِرِينَ قال أوّل الـخـلق وآخره.

حدثنا ابن الـمثنى, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن داود, عن الشعبيّ, فـي قوله: وَلَقَدْ عَلِمْنا الـمُسْتَقْدِمينَ منْكُمْ وَلَقَدْ عَلـمْنا الـمُسْتأخِرِينَ: ما استقدم فـي أوّل الـخـلق, وما استأخر فـي آخر الـخـلق.

15971ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا عليّ بن عاصم, عن داود بن أبي هند, عن عامر, فـي قوله: وَلَقَدْ عَلِمْنا الـمُسْتَقْدِمينَ منْكُمْ قال: فـي العُصُر, والـمستأخرين منكم فـي أصلاب الرجال, وأرحام النساء.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولقد علـمنا الـمستقدمين من الأمـم, والـمستأخرين من أمة مـحمد صلى الله عليه وسلم. ذكر من قال ذلك:

15972ـ حدثني مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقاء وحدثنا

الحسن بن محمد, قال: حدثنا شبابة, قال: أخبرنا ورقاء وحدثني المثنى, قال: أخبرنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: المستقدمين منكم, قال: القرون الأوَل, والمستأخرين: أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا محمد بن عبيد, قال: ثني عبد الملك, عن قيس, عن مجاهد, في قوله: وَلَقَدْ عَلِمْنا المُسْتَقْدِمينَ منْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنا المُسْتأخِرِينَ قال: المستقدمون: ما مضى من الأمم, والمستأخرون: أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

حدثني المثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيم, عن عبد الملك, عن قيس, عن مجاهد, بنحوه.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا الثوري, عن عبد الملك, عن مجاهد بنحوه, لم يذكر قيسا.

وقال آخرون: بل معناه: ولقد علمنا المستقدمين منكم في الخير والمستأخرين عنه. ذكر من قال ذلك:

15973ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وَلَقَدْ عَلِمْنا المُسْتَقْدِمينَ منْكُمْ وَلَقَدْ عَلمْنا المُسْتأخِرِينَ قال: كان الحسن يقول: المستقدمون في طاعة الله, والمستأخرون في معصية الله.

15974ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيم, عن عباد بن راشد, عن الحسن, قال: المستقدمين في الخير, والمستأخرين: يقول: المبطئين عنه.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولقد علمنا المستقدمين منكم في الصفوف في الصلاة, والمستأخرين فيها بسبب النساء. ذكر من قال ذلك:

15975ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا المعتمر بن سليمان, عن أبيه, عن رجل أخبرنا عن مروان بن الحكم أنه قال: كان أناس يستأخرون في الصفوف من أجل النساء قال: فأنزل الله: وَلَقَدْ عَلِمْنا المُسْتَقْدِمينَ منْكُمْ وَلَقَدْ عَلمْنا المُسْتأخِرِينَ.

15976ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا جعفر بن سليمان, قال: أخبرني عمرو بن مالك, قال سمعت أبا الجوزاء يقول في قول الله: وَلَقَدْ عَلِمْنا المُسْتَقْدِمينَ منْكُمْ وَلَقَدْ عَلمْنا المُسْتأخِرِينَ قال: المستقدمين منكم في الصفوف في الصلاة والمستأخرين.

15977ـ حدثني محمد بن موسى الحرسي, قال: حدثنا نوح بن قيس, قال: حدثنا عمرو بن مالك, عن أبي الجوزاء, عن ابن عباس, قال: كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلمامرأة, قال ابن عباس: لا والله ما إن رأيت مثلها قط فكان بعض المسلمين إذا صلوا وبعض يستأخرون, فإذا سجدوا نظروا إليها من تحت أيديهم, فأنزل الله: وَلَقَدْ عَلِمْنا المُسْتَقْدِمينَ منْكُمْ وَلَقَدْ عَلمْنا المُسْتأخِرِينَ.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا عبيد الله بن موسى, قال: أخبرنا نوح بن قيس وحدثنا أبو كريب, قال: حدثنا مالك بن إسماعيل, قال: حدثنا نوح بن

قيس, عن عمرو بن مالك, عن أبي الجوزاء, عن ابن عباس قال: كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة حسناء من أحسن الناس, فكان بعض الناس يستقدم في الصفّ الأوّل لئلا يراها, ويستأخر بعضهم حتى يكون في الصفّ المؤخر, فإذا ركع نظر من تحت إبطيه في الصفّ, فأنزل الله في شأنها: وَلَقَدْ عَلِمْنا المُسْتَقْدِمينَ منْكُمْ وَلَقَدْ عَلمْنا المُسْتأخِرِينَ.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال عندي في ذلك بالصحة قول من قال: معنى ذلك: ولقد علمنا الأموات منكم يا بني آدم فتقدّم موته, ولقد علمنا المستأخرين الذين استأخر موتهم ممن هو حيّ ومن هو حادث منكم كم لم يحدث بعدُ لدلالة ما قبله من الكلام, وهو قوله: وَإنّا لَنَحْنُ نُحْيِي ونُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ وما بعده وهو قوله: وإنّ رَبّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ على أن ذلك كذلك, إذ كان بين هذين الخبرين, ولم يجر قبل ذلك من الكلام ما يدلّ على خلافه, ولا جاء بعد. وجائز أن تكون نزلت في شأن المستقدمين في الصفّ لشأن النساء والمستأخرين فيه لذلك, ثم يكون الله عزّ وجلّ عمّ بالمعنى المراد منه جميع الخلق, فقال جلّ ثناؤه لهم: قد علمنا ما مضى من الخلق وأحصيناهم, وما كانوا يعملون, ومن هو حيّ منكم ومن هو حادث بعدكم أيها الناس, وأعمال جميعكم خيرها وشرّها, وأحصينا جميع ذلك ونحن نحشر جميعهم, فنجازي كلاًّ بأعماله, إن خيرا فخيرا وإن شرّا فشرّا. فيكون ذلك تهديدا ووعيدا للمستأخرين في الصفوف لشأن النساء ولكلّ من تعدّى حدّ الله وعمل بغير ما أذن له به, ووعدا لمن تقدّم في الصفوف لسبب النساء وسارع إلى محبة الله ورضوانه في أفعاله كلها.

وقوله: وإنّ رَبّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ يعني بذلك جلّ ثناؤه: وإن ربك يا محمد هو يجمع جميع الأوّلين والآخرين عنده يوم القيامة, أهل الطاعة منهم والمعصية, وكلّ أحد من خلقه, المستقدمين منهم والمستأخرين.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

15978ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وإنّ رَبّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ قال: أي الأول والآخر.

15979ـ حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا أبو خالد القرشيّ, قال: حدثنا سفيان, عن أبيه, عن عكرمة, في قوله: وإنّ رَبّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ قال: هذا من ها هنا, وهذا من ها هنا.

15980ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن عطاء الخُرَاسانيّ, عن ابن عباس: وإنّ رَبّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ قال: وكلهم ميت, ثم يحشرهم ربهم.

15981ـ حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا عليّ بن عاصم, عن داود بن أبي هند, عن عامر: وإنّ رَبّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ قال: يجمعهم الله يوم القيامة جميعا.

وقال الحسن: قال عليّ: قال داود: سمعت عامرا يفسر قوله: إنّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ يقول أن ربك حكيم في تدبيره خلقه في إحيائهم إذا أحياهم, وفي إماتتهم إذا أماتهم, عليم بعددهم وأعمالهم وبالحيّ منهم والميت, والمستقدم منهم والمستأخر. كما:

15982ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة, قال: كلّ أولئك قد علمهم الله يعني المستقدمين والمستأخرين.

الآية : 26

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مّنْ حَمَإٍ مّسْنُونٍ }.

يقول تعالى ذكره: ولقد خلقنا آدم وهو الإنسان من صلصال. واختلف أهل التأويل في معنى الصلصال فقال بعضهم: هو الطين اليابس لم تصبه نار, فإذا نقرته صَلّ فسمعت له صلصلة. ذكر من قال ذلك:

15983ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى بن سعيد, وعبد الرحمن بن مهديّ, قالا: حدثنا سفيان, عن الأعمش, عن مسلم البطين, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, قال: خلق آدم من صلصال من حمأ ومن طين لازب. وأما اللازب: فالجيد, وأما الحَمَأ: فالحمأة, وأما الصّلصال: فالتراب المرقّق. وإنما سمي إنسانا لأنه عهد إليه فنسي.

15984ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَلَقَدْ خَلَقْنا الإنْسانَ مِنْ صَلْصَالٍ قال: والصلصال: التراب اليابس الذي يسمع له صلصلة.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حمأٍ مَسْنُونٍ قال: الصلصال: الطين اليابس يسمع له صلصلة.

15985ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا حميد بن عبد الرحمن, عن الحسن بن صالح, عن مسلم, عن مجاهد, عن ابن عباس: مِنْ صَلْصَالٍ قال: الصلصال: الماء يقع على الأرض الطيبة ثم يحسِرُ عنها, فتشقق, ثم تصير مثل الخَزَف الرقاق.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يحيى بن سعيد, عن سفيان, عن الأعمش, عن مسلم, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, قال: خُلق الإنسان من ثلاثة: من طين لازب, وصلصال, وحمأ مسنون. والطين اللازب: اللازق الجيد, والصلصال: المرقق الذي يصنع منه الفخار, والمسنون: الطين فيه الحَمْأة.

15986ـ حدثني محمد بن سعد, قال: حدثنا أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَلَقَدْ خَلَقْنا الإنْسانَ مِنْ صَلْصَال مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ قال: هو التراب اليابس الذي يُبَلّ بعد يُبسه.

15987ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن مسلم, عن مجاهد, قال: الصلصال: الذي يصلصل, مثل الخَزَف من الطين الطيب.

15988ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك, يقول: الصلصال: طين صُلْب يخالطه الكثيب.

15989ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: مِنْ صَلْصَالٍ قال: التراب اليابس.

وقال آخرون: الصلصال: المُنْتِن. وكأنهم وجّهُوا ذلك إلى أنه من قولهم: صَلّ اللحم وأصلّ: إذا أنتن, يقال ذلك باللغتين كلتيهما: يَفْعَل وأفْعَل. ذكر من قال ذلك:

15990ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح وحدثني الحارث قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء وحدثنا الحسن, قال: حدثنا شبابة, قال: حدثنا ورقاء وحدثني المثنى قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: مِنْ صَلْصَالٍ الصلصال: المنتن.

والذي هو أولى بتأويل الآية أن يكون الصلصال في هذا الموضع الذي له صوت من الصلصلة وذلك أن الله تعالى وصفه في موضع آخر فقال: خَلَقَ الإنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كالفَخّارِ فشبهه تعالى ذكره بأنه كان كالفخّار في يُبسه. ولو كان معناه في ذلك المُنتِن لم يشبه بالفخار, لأن الفخار ليس بمنتن فيشبّه به في النتن غيره.

وأما قوله: مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ فإن الحمأ: جمع حمأة, وهو الطين المتغَيّر إلى السواد. وقوله: مَسْنُونٍ يعني: المتغير.

واختلف أهل العلم بكلام العرب في معنى قوله: مَسْنُونٍ فكان بعض نحويي البصريين يقول: عُني به: حمأ مصوّر تامّ. وذُكر عن العرب أنهم قالوا: سُنّ على مثال سُنّة الوجه: أي صورته. قال: وكأن سُنة الشيء من ذلك: أي مثالَه الذي وُضع عليه. قال: وليس من الآسن المتغير, لأنه من سَنَن مضاعف.

وقال آخر منهم: هو الحَمَأ المصبوب. قال: والمصبوب: المسنون, وهو من قولهم: سَنَنْت الماء على الوجه وغيره إذا صببته.

وكان بعض أهل الكوفة يقول: هو المتغير, قال: كأنه أخذ من سَنَنْت الحَجَر على الحجر, وذلك أن يحكّ أحدهما بالآخر, يقال منه: سننته أسُنّه سَنّا فهو مسنون. قال: ويقال للذي يخرج من بينهما: سَنِين, ويكون ذلك مُنْتنا. وقال: منه سُمّيَ المِسَنّ لأن الحديد يُسَنّ عليه.

وأما أهل التأويل فإنهم قالوا في ذلك نحو ما قلنا. ذكر من قال ذلك:

15991ـ حدثنا عبيد الله بن يوسف الجبيري, قال: حدثنا محمد بن كثير, قال: حدثنا مسلم, عن مجاهد, عن ابن عباس, في قوله: مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ قال: الحمأ: المنتنة.

حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي, قال: حدثنا أبي, عن أبيه, عن جدّه, عن الأعمش, عن مسلم, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس: مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ قال: الذي قد أنتن.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا عثمان بن سعيد, قال: حدثنا بشر بن عمارة, عن أبي روق, عن الضحاك عن ابن عباس: مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ قال: منتن.

15992ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ قال: هو التراب المبتلّ المنتنُ, فجعل صَلصالاً كالفَخار.

15993ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء وحدثنا الحسن, قال: حدثنا شبابة, قال: حدثنا ورقاء وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا شبل جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ قال: منتن.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

15994ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ والحمأ المسنون: الذي قد تغير وأنتن.
15995ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر: مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ قال: قد أنتن, قال: منتنة.
15996ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: حدثنا هشيم, عن جويبر, عن الضحاك, في قوله: مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ قال: من طين لازب, وهو اللازق من الكثيب وهو الرمل.
15997ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ قال: الحمأ المنتن.
وقال آخرون منهم في ذلك: هو الطين الرّطْب. ذكر من قال ذلك:
15998ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ يقول: من طين رَطب.

الآية : 27

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالْجَآنّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نّارِ السّمُومِ}.
يقول تعالى ذكره: والجانّ وقد بيّنا فيما مضى معنى الجانّ ولم قيل له جان. وعُني بالجانّ ههنا: إبليس أبا الجنّ. يقول تعالى ذكره: وإبليس خلقناه من قبل الإنسان من نار السموم, كما:
15999ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: والجانّ خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ وهو إبليس خلقُ قبل آدم. وإنما خلق آدم آخر الخلق, فحسده عدوّ الله إبليس على ما أعطاه الله من الكرامة, فقال: أنا ناريّ, وهذا طيني, فكانت السجدة لآدم والطاعة لله تعالى ذكره, فقال: اخْرُجْ مِنْها فإنّكَ رَجِيمٌ.
واختلف أهل التأويل في معنى: نارِ السّمُومِ فقال بعضهم: هي السموم الحارّة التي تقتل. ذكر من قال ذلك:
16000ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يحيى بن آدم, عن شريك, عن أبي إسحاق, عن التميمي, عن ابن عباس في قوله: والجانّ خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نارِ السّمُومِ قال: السموم الحارّة التي تقتل.
16001ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا الحِمّانيّ, قال: حدثنا شريك, عن أبي إسحاق التيمي, عن ابن عباس: والجانّ خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نارِ السّمُومِ قال: هي السموم التي تقتل فأصَابَها إعْصَارٌ فيه نَارٌ فاحْتَرَقَتْ قال: هي السموم التي تقتل.
وقال آخرون: يعني بذلك من لهب النار. ذكر من قال ذلك:
16002ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الرحمن بن مغراء, عن جويبر, عن الضحاك, في قوله: والجانّ خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نارِ السّمُومِ قال: من لهب من نار السموم.
16003ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا عثمان, عن سعيد, قال: حدثنا بشر بن عمارة, عن أبي روق, عن الضحاك عن ابن عباس, قال: كان إبليس من حيّ من أحياء الملائكة يقال لهم الجنّ, خُلقوا من نار السموم من بين الملائكة. قال: وخُلقت الجنّ الذين ذُكروا في القرآن من مارج من نار.

16004ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا أبو داود, قال: حدثنا شعبة, عن أبي إسحاق, قال: دخلت على عمرو بن الأصمّ أعوده, فقال: ألا أحدثك حديثا سمعته من عبد الله؟ سمعت عبد الله يقول: هذه السموم جزء من سبعين جزءا من السموم التي خرج منها الجانّ. قال: وتلا: والجانّ خَلَقْناهُ منْ قَبْلُ مِنْ نارِ السّمُومِ.

وكان بعض أهل العربية يقول: السموم بالليل والنهار. وقال بعضهم: الحَرُور بالنهار, والسموم بالليل, يقال: سَمّ يومُنا يَسَمّ سَمُوما.

16005ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا محمد بن سهل بن عسكر, قال: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم, قال: ثني عبد الصمد بن معقل, قال: سمعت وهب بن منبه, وسئل عن الجنّ ما هم, وهل يأكلون أو يشربون, أو يموتون, أو يتناكحون؟ قال: هم أجناس, فأما خالص الجنّ فهم ريح لا يأكلون ولا يشربون ولا يموتون ولا يتوالدون. ومنهم أجناس يأكلون ويشربون ويتناكحون ويموتون, وهي هذه التي منها السعالِي والغُول وأشباه ذلك.

الآية : 28-29

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنّي خَالِقٌ بَشَراً مّن صَلْصَالٍ مّنْ حَمَإٍ مّسْنُونٍ * فَإِذَا سَوّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: و اذكر يا محمد إذْ قالَ رَبّكَ للْمَلائِكَة إنّي خالِقٌ بَشَرا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ فإذَا سَوّيْتُهُ يقول: فإذا صوّرته فعدّلت صورته وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فصار بشرا حيّا فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ سجود تحية وتكرمة لا سجود عبادة. وقد:

16006ـ حدثني جعفر بن مكرم, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا شبيب بن بشر, عن عكرمة, عن ابن عباس قال: لما خلق الله الملائكة قال: إني خالق بشرا من طين, فإذا أنا خلقته فاسجدوا له فقالوا: لا نفعل. فأرسل عليهم نارا فأحرقتهم. وخلق ملائكة أخرى, فقال: إني خالق بشرا من طين, فإذا أنا خلقته فـ اسجدوا له فأبَوا, قال: فأرسل عليهم نارا فأحرقتهم. ثم خلق ملائكة أخرى, فقال: إني خالق بشرا من طين, فإذا أنا خلقته فاسجدوا له فأبوا, فأرسل عليهم نارا فأحرقتهم. ثم خلق ملائكة, فقال: إني خالق بشرا من طين, فإذا أنا خلقته فاسجدوا له فقالوا: سمعنا وأطعنا. إلا إبليس كان من الكافرين الأوّلين.

الآية : 30-32

القول في تأويل قوله تعالى: {فَسَجَدَ الْمَلآئِكَةُ كُلّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلاّ إِبْلِيسَ أَبَىَ أَن يَكُونَ مَعَ السّاجِدِينَ * قَالَ يَإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاّ تَكُونَ مَعَ السّاجِدِينَ }.

يقول تعالى ذكره: فلما خلق الله ذلك البشر ونفخ فيه الروح بعد أن سوّاه, سجد الملائكة كلهم جميعا إلا إبليس, فإنه أبى أن يكون مع الساجدين في سجودهم لآدم حين سجدوا, فلم يسجد له معهم تكبرا وحسدا وبغيا, فقال الله تعالى ذكره: يا إبليسُ ما لكَ ألاّ تكونَ معَ السّاجِدينَ يقول: ما منعك من أن تكون مع الساجدين؟ ف «أنْ» في قول بعض نحويي الكوفة خفض, وفي قول بعض أهل البصرة نصب بفقد الخافض.

الآية : 33-35

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ لَمْ أَكُن لأسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مّنْ حَمَإٍ مّسْنُونٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللّعْنَةَ إِلَىَ يَوْمِ الدّينِ }.

يقول تعالى ذكره: قالَ إبليس: لَمْ أكُنْ لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ وهو من طين وأنا من نار, والنار تأكل الطين. وقوله: فاخْرُجْ مِنْها يقول الله تعالى ذكره لإبليس: فاخْرُجْ مِنْها فإنّكَ رَجِيمٌ.

والرجيم المرجوم, صرف من مفعول إلى فعيل وهو المشتوم, كذلك قال جماعة من أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16007ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: فإنّكَ رَجِيمٌ والرجيم: الملعون.

16008ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قوله: فاخْرُجْ مِنْها فإنّكَ رَجِيمٌ قال: ملعون. والرجم في القرآن: الشتم.

وقوله: وإنّ عَلَيْكَ اللّعْنَةَ إلى يَوْمِ الدّينِ يقول: وإن غضب الله عليك بإخراجه إياك من السموات وطردك عنها إلى يوم المجازاة, وذلك يوم القيامة. وقد بيّنا معنى اللعنة في غير موضع بما أغنى عن إعادته ههنا.

الآية : 36-38

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ رَبّ فَأَنظِرْنِي إِلَىَ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * إِلَىَ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ }.

يقول تعالى ذكره: قال إبليس: ربّ فإذ أخرجتني من السموات ولعنتني, فأخرّني إلى يوم تبعث خلقك من قبورهم فتحشرهم لموقف القيامة. قال الله له: فإنك ممن أُخّر هلاكه إلى يوم الوقت المعلوم لهلاك جميع خلقي, وذلك حين لا يبقى على الأرض من بني آدم دَيّارٌ.

الآية : 39-40

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ رَبّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لأُزَيّنَنّ لَهُمْ فِي الأرْضِ وَلأُغْوِيَنّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ }.

يقول تعالى ذكره: قال إبليس: رَبّ بِمَا أغْوَيْتَني بإغوائك لأُزَيّنَنّ لَهُمْ في الأرْضِ. وكأن قوله: بِما أغْوَيْتَني خرج مخرج القسم, كما يقال: بالله, أو بعزّة اللهَ لأغوينهم. وعنى بقوله: لأُزَيّنَنّ لَهُمْ فِي الأرْضِ لأحسننّ لهم معاصيك, ولأحببنها إليهم في الأرض. ولأُغْوِيَنّهُمْ أجمَعِينَ يقول: ولأضلّنهم عن سبيل الرشاد. إلاّ عِبادَكَ مِنْهُمُ المُخْلَصِينَ يقول إلا من أخلصته بتوفيقك فهديته, فإن ذلك ممن لا سلطان لي عليه ولا طاقة لي به. وقد قرىء: «إلاّ عِبادَكَ مِنْهُمُ المُخْلَصِينَ» فمن قرأ ذلك كذلك, فإنه يعني به: إلا من أخلص طاعتك, فإنه لا سبيل لي عليه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16009ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا أبو زهير, عن جويبر, عن الضحاك: إلاّ عِبادَكَ مِنْهُمُ المُخْلَصِينَ يعني: المؤمنين.

16010ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا هشام, قال: حدثنا عمرو, عن سعيد, عن قتادة: إلاّ عِبادَكَ مِنْهُمُ المُخْلَصِينَ قال قتادة: هذه ثَنِيّة الله تعالى ذكره.

الآية : 41-42

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيّ مُسْتَقِيمٌ * إِنّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاّ مَنِ اتّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ }.

اختلفت القرّاء في قراءة قوله: قالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيّ مُسْتَقِيمٌ فقرأه عامّة قراء الحجاز والمدينة والكوفة والبصرة: هَذَا صِرَاطٌ عَلَيّ مُسْتَقِيمٌ بمعنى: هذا طريق إليّ مستقيم.

فكان معنى الكلام: هذا طريق مرجعه إليّ فأجازي كلاّ بأعمالهم كما قال الله تعالى ذكره: إنّ رَبّكَ لَبالمرْصَاد. وذلك نظير قول القائل لمن يتوعده ويتهدده: طريقك عليّ, وأنا على طريقك فكذلك قوله: هَذَا صِرَاطٌ معناه: هذا طريق عليّ وهذا طريق إليّ. وكذلك تأوّل من قرأ ذلك كذلك. ذكر من قال ذلك:

16011ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء وحدثني الحسن بن محمد, قال: حدثنا شبابة, قال: حدثنا ورقاء وحدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل وحدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: هَذَا صِرَاطٌ عَلَيّ مُسْتَقِيمٌ قال: الحقّ يرجع إلى الله وعليه طريقه, لا يعرّج على شيء.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, بنحوه.

16012ـ حدثنا أحمد بن يوسف, قال: حدثنا القاسم, قال: حدثنا مَرْوان بن شجاع, عن خَصِيف, عن زياد بن أبي مريم, وعبد الله بن كثير أنهما قرآها: هَذَا صِرَاطٌ عَلَيّ مُسْتَقِيمٌ وقالا: «علـيّ» هي «إليّ» وبمنزلتها.

16013ـ حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا عبد الوهاب بن عطاء, عن إسماعيل بن مسلم, عن الحسن وسعيد عن قتادة, عن الحسن: هَذَا صِرَاطٌ عَلَيّ مُسْتَقِيمٌ يقول: إليّ مستقيم.

وقرأ ذلك قيس بن عباد وابن سيرين وقتادة فيما ذُكر عنهم «هَذَا صِرَاطٌ عَلَيّ مُسْتَقِيمٌ» برفع «علـيّ»على أنه نعت للصراط, بمعنى رفيع. ذكر من قال ذلك:

16014ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا ابن أبي حماد, قال: ثني جعفر البصري, عن ابن سيرين أنه كان يقرأ: «هَذَا صِرَاطٌ عَلَيّ مُسْتَقِيمٌ» يعني: رفيع.

16015ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: «هَذَا صِرَاطٌ عَلَيّ مُسْتَقِيمٌ» أي رفيع مستقيم. قال بشر, قال يزيد, قال سعيد: هكذا نقرؤها نحن وقتادة.

16016ـ حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا عبد الوهاب, عن هارون, عن أبي العوّام, عن قتادة, عن قيس بن عباد: «هَذَا صِرَاطٌ عَلَيّ مُسْتَقِيمٌ» يقول: رفيع.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا قراءة من قرأ: هَذَا صِرَاطٌ عَليّ مُسْتَقِيمٌ على التأويل الذي ذكرناه عن مجاهد والحسن البصري ومن وافقهما عليه, لإجماع الحجة من القرّاء عليها وشذوذ ما خالفها.

وقوله: إنّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ إلاّ مَنِ اتّبَعَكَ مِنَ الغاوِينَ يقول تعالى ذكره: إن عبادي ليس لك عليهم حجة, إلا من اتبعك على ما دعوته إليه من الضلالة ممن غوى وهلك.

16017ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا سويد, قال: أخبرنا ابن المبارك, عن عبيد الله بن موهب, قال حدثنا يزيد بن قسيط, قال: كانت الأنبياء لهم مساجد خارجة من قُراهم, فإذا أراد النبيّ أن يستنبىء ربه عن شيء خرج إلى مسجده, فصلى ما كتب الله له ثم سأل ما بدا له. فبينما نبيّ في مسجده, إذا جاء عدوّ الله حتى جلس بينه وبين القبلة, فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «أعُوذُ بالله مِنَ الشّيْطانِ الرّجِيمِ» فقال عدوّ الله: أرأيت الذي تعوّذ منه فهو هو فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «أعُوذُ باللّهِ مِنَ الشّيْطانِ الرّجِيمِ» فردّد ذلك ثلاث مرّات. فقال عدوّ الله: أخبرني بأيّ شيء تنجو مني؟ فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «بَل أخْبِرْنِي بأيّ شَيْءٍ تَغْلِبُ ابْنَ آدَمَ؟» مرّتين. فأخذ كلّ واحد منهما على صاحبه, فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنّ اللّهَ تَعَالى ذِكْرُهُ يَقُولُ إنّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ إلاّ مِنَ اتّبَعَكَ مِنَ الغاوِينَ قال عدوّ الله: قد سمعت هذا قبل أن تولد. قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «يقول اللّهُ تَعالى ذِكْرُهُ: وإمّا يَنْزَغَنّكَ مِنَ الشّيْطانِ نَزْغٌ فاسْتَعِذْ باللّهِ إنّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ وإنّي واللّهِ ما أحْسَسْتُ بِكَ قَطّ إلاّ اسْتَعَذْتُ باللّهِ مِنْكَ». فقال عدوّ الله: صدقت بهذا تنجو مني فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «فأخْبِرْنِي بأيّ شَيْءٍ تَغْلِبُ ابْنَ آدَمَ؟» قال: آخذه عند الغضب, وعند الهوى.

الآية : 43-44

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإنّ جَهَنّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلّ بَابٍ مّنْهُمْ جُزْءٌ مّقْسُومٌ }.

يقول تعالى ذكره لإبليس: وإن جهنم لموعد من تبعك أجمعين. لها سَبْعَةُ أبوابٍ يقول: لجهنم سبعة أطباق, لكلَ طَبَق منهم: يعني من أتباع إبليس جزء, يعني: قسما ونصيبا مقسوما.

وذُكر أن أبواب جهنم طبقات بعضها فوق بعض. ذكر من قال ذلك:

16018ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, قال: سمعت أبا هارون الغنوي, قال: سمعت حِطان, قال: سمعت عليّا وهو يخطب, قال: إن أبواب جهنم هكذا. ووضع شُعبة إحدى يديه على الأخرى.

16019ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, عن أبي هارون الغنوي, عن حطان بن عبد الله, قال: قال عليّ: تدرون كيف أبواب النار؟ قلنا: نعم كنحو هذه الأبواب. فقال: لا, ولكنها هكذا. فوصف أبو هارون أطباقا بعضها فوق بعض, وفعل ذلك أبو بشر.

حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم, عن أبي هارون الغنوي, عن حطان بن عبد الله عن عليّ, قال: هل تدرون كيف أبواب النار؟ قالوا: كنحو هذه الأبواب, قال: لا, ولكن هكذا. ووصف بعضها فوق بعض.

16020ـ حدثنا هارون بن إسحاق, قال: حدثنا مصعب بن المقدام, قال: أخبرنا إسرائيل, قال: حدثنا أبو إسحاق, عن هبيرة, عن عليّ, قال: أبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض, فيمتلىء الأوّل, ثم الثاني, ثم الثالث, ثم تمتلىء كلها.

حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا شبابة, قال: حدثنا إسرائيل, عن أبي إسحاق, عن هبيرة, عن عليّ قال: أبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض وأشار بأصابعه على الأوّل, ثم الثاني, ثم الثالث حتى تملأ كلها.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا يونس بن أبي إسحاق, عن أبيه, عن هبيرة ابن مريم, قال: سمعت عليّا يقول: إن أبواب جهنم بعضا فوق بعض, فيملأ الأوّل ثم الذي يليه, إلى آخرها.

16021ـ حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا عليّ, قال: أخبرنا محمد بن يزيد الواسطيّ, عن جَهْضَم, قال: سمعت عكرمة يقول في قوله: لها سَبْعَةُ أبوابٍ قال: لها سبعة أطباق.

16022ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قوله: لها سَبْعَةُ أبوابٍ قال: أوّلها جهنم, ثم لظى, ثم الحطمة, ثم السعير, ثم سقر, ثم الجحيم, ثم الهاوية. والجحيم فيها أبو جهل.

16023ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: لها سَبْعَةُ أبوابٍ لِكُلّ بابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ وهي والله منازل بأعمالهم.

الآية : 45-47

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّ الْمُتّقِينَ فِي جَنّاتٍ وَعُيُونٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينَ * وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مّنْ غِلّ إِخْوَاناً عَلَىَ سُرُرٍ مّتَقَابِلِينَ}.

يقول تعالى ذكره: إن الذين اتقوا الله بطاعته وخافوه, فتجنبوا معاصيه في جَنّاتٍ وَعُيُونٍ يقال لهم: ادْخُلُوها بِسَلامٍ آمِنِينَ من عقاب الله, أو أن تُسلبوا نعمة الله عليكم وكرامة أكرمكم بها. قوله: وَنَزَعْنا ما فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلّ يقول: وأخرجنا ما في صدور هؤلاء المتقين الذين وصف صفتهم من حقد وضغينة بعضهم لبعض.

واختلف أهل التأويل في الحال التي ينزع الله ذلك من صدورهم, فقال بعضهم: ينزل ذلك بعد دخولهم الجنة. ذكر من قال ذلك:

16024ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو غسان, قال: حدثنا إسرائيل, عن بشر البصري, عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة, قال: يدخل أهل الجنة الجنة على ما في صدورهم في الدنيا من الشحناء والضغائن, حتى إذا توافوا وتقابلوا نزع الله ما في صدورهم في الدنيا من غلّ. ثم قرأ: وَنَزَعْنا ما فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلّ.

16025ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبو فضالة, عن لقمان, عن أبي أمامة, قال: لا يدخل مؤمن الجنة حتى ينزع الله ما في صدورهم من غلّ, ثم ينزع منه السبع الضاري.

16026ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا الحجاج بن المنهال, قال: حدثنا سفيان بن عيينة, عن إسرائيل, عن أبي موسى سمع الحسن البصري يقول: قال عليّ: فينا والله أهل بدر نزلت الآية: وَنَزَعْنا ما فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلّ إِخْوَانا على سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ.

16027ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: عبد الله بن الزبير, عن ابن عيينة: وَنَزَعْنا ما فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلّ قال: من عداوة.
16028ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا محمد بن يزيد الواسطي, عن جويبر, عن الضحاك: وَنَزَعْنا ما فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلّ قال: العداوة.
16029ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن فضيل عن عطاء بن السائب, عن رجل, عن عليّ: وَنَزَعْنا ما فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلّ قال: العداوة.
16030ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن منصور, عن إبراهيم, قال: جاء ابن جرموز قاتل الزبير يستأذن على عليّ, فحجبه طويلاً, ثم أذن له فقال له: أما أهل البلاء فتجفوهم قال عليّ: بفيك التراب إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير ممن قال الله: وَنَزَعْنا ما فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلّ إخْوَانا على سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن جعفر, عن عليّ نحوه.
16031ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن أبان بن عبد الله البجلي, عن نعيم بن أبي هند, عن رِبْعِيّ بن حِرَاش, بنحوه, وزاد فيه: قال: فقام إلى عليّ رجل من هَمْدان, فقال: الله أعدل من ذلك يا أمير المؤمنين قال: فصاح عليّ صيحة ظننت أن القصر تَدَهْدَهَ لها, ثم قال: إذا لم نكن نحن فمن هم؟
16032ـ حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا أبو معاوية الضرير, قال: حدثنا أبو مالك الأشجعي, عن أبي حبيبة مولى لطلحة, قال: دخل عمران بن طلحة على عليّ بعد ما فرغ من أصحاب الجمل, فرحّب به وقال إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك من الذين قال الله: إخْوانا على سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ ورجلان جالسان على ناحية البساط, فقالا: الله أعدل من ذلك, تقتلهم بالأمس وتكونون إخوانا؟ فقال عليّ: قُومَا أبعد أرضها وأسحقها فمن هم إذن إن لم أكن أنا وطلحة؟ وذكر لنا أبو معاوية الحديث بطوله.
16033ـ حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا عفان, قال: حدثنا عبد الواحد, قال: حدثنا أبو مالك, قال: حدثنا أبو حبيبة, قال: قال عليّ لابن طلحة: إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك من الذين نَزَعَ الله ما في صدورهم من غلّ ويجعلنا إخوانا على سرر متقابلين.
حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا حماد بن خالد الخياط, عن أبي الجويرية, قال: حدثنا معاوية بن إسحاق, عن عمران بن طلحة, قال: لما نظرني عليّ قال: مرحبا بابن أخي فذكر نحوه.
16034ـ حدثنا الحسن, قال: حدثنا يزيد بن هارون, قال: أخبرنا هشام, عن محمد, قال: استأذن الأشتر على عليّ وعنده ابنٌ لطلحة, فحبسه ثم أذن له, فلما دخل قال: إني لأراك إنما حبستني لهذا قال: أجل. قال: إني لأراه لو كان عندك ابن لعثمان لحبستني قال: أجَل, إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان ممن قال الله: وَنَزَعْنا ما فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلّ إخْوَانا على سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ.
حدثنا الحسن, قال: حدثنا إسحاق الأزرق, قال: أخبرنا عوف, عن سيرين, بنحوه.

16035ـ حدثنا الحسن, قال: حدثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمي, قال: حدثنا السكن بن المغيرة, قال: حدثنا معاوية ابن راشد, قال: قال عليّ: إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان ممن قال الله: وَنَزَعْنا ما فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلّ إخْوَانا على سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ.

16036ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: حدثنا ابن المتوكل الناجي, أن أبا سعيد الخدريّ حدثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يَخْلُصُ المُؤْمِنُونَ مِنَ النّارِ فَيُحْبَسُونَ على قَنْطَرَة بينَ الجَنّةِ والنّارِ, فَيُقْتَصّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظالِمَ كانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدّنْيا حتى إذَا هُذّبُوا ونُقّوا أُذِنَ لَهُمْ في دُخُولِ الجَنّة» قالَ: «فَوَالّذِي نَفْسُ مُحَمّدٍ بيَدِهِ, لأَحَدُهُمْ أهْدَى بِمَنْزِلِهِ في الجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ الّذِي كانَ فِي الدّنْيا» وقال بعضهم: ما يشبّه بهم إلا أهل جمعة انصرفوا من جمعتهم.

16037ـ حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا عفان بن مسلم, قال: حدثنا يزيد بن زريع, قال: حدثنا سعيد بن أبي عروبة في هذه الآية: وَنَزَعْنا ما فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلّ إخْوَانا على سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ قال: حدثنا قتادة أن أبا المتوكل الناجي حدثهم أن أبا سعيد الخدريّ حدثهم, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره نحوه, إلى قوله «وأُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الجَنّةِ» ثم جعل سائر الكلام عن قتادة. قال: وقال قتادة: فوالذي نفسي بيده لأحدهم أهدى بمنزله. ثم ذكر باقي الحديث نحو حديث بشر غير أن الكلام إلى آخره عن قتادة, سوى أنه قال في حديثه: قال قتادة وقال بعضهم: ما يشبّه بهم إلا أهل الجمعة إذا انصرفوا من الجمعة.

16038ـ حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي, قال: حدثنا عمر بن زرعة, عن محمد بن إسماعيل الزبيدي, عن كثير النواء, قال سمعته يقول: دخلت على أبي جعفر محمد بن عليّ, فقلت: وليي وليكم, وسلمي سِلْمكم, وعدوّي عدوّكم, وحربي حربكم إني أسألك بالله, أتبرأ من أبي بكر وعمر؟ فقال: قد ضَلَلْتُ إذا وما أنا من المهتدين, توّلهما يا كثير, فما أدركك فهو في رقبتي ثم تلا هذه الآية: إخْوَانا على سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ يقول: إخوانا يقابل بعضهم وجه بعض, لا يستدبره فينظر في قفاه.

وكذلك تأوّله أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16039ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا مؤمل, قال: حدثنا سفيان, قال: حدثنا حصين, عن مجاهد, في قوله: على سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ قال: لا ينظر أحدهم في قفا صاحبه.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى وعبد الرحمن ومؤمل, قالوا: حدثنا سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

والسرر: جمع سرير, كما الجدد جمع جديد وجمع سررا وأظهر التضعيف فيها والراءان متحرّكتان لخفة الأسماء, ولا تفعل ذلك في الأفعال لثقل الأفعال, ولكنهم يُدْغمون في الفعل ليسكن أحد الحرفين فيخفف, فإذا دخل على الفعل ما يسكن الثاني أظهروا حينئذٍ التضعيف.

الآية : 48-50

القول في تأويل قوله تعالى: {لاَ يَمَسّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مّنْهَا بِمُخْرَجِينَ * نَبّىءْ عِبَادِي أَنّي أَنَا الْغَفُورُ الرّحِيمُ * وَأَنّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ }.

يقول تعالى ذكره: لا يَـمَسّ هؤلاء الـمتقـين الذين وصف صِفتهم فـي الـجنات نَصَب, يعنـي تَعَب. وَما هُمْ مِنْها بِـمُخْرِجِينَ يقول: وما هم من الـجنة ونعيـمها وما أعطاهم الله فـيها بـمخرجين, بل ذلك دائم أبدا. وقـوله: نَبّىءْ عِبـادِي أنّـي أنا الغَفُورُ الرّحِيـمُ يقول تعالـى ذكره لنبـيه مـحمد صـلى اللـه عليه وسلم: أخبر عبـادي يا مـحمد, أنـي أنا الذي أستر علـى ذنوبهم إذا تابوا منها وأنابوا, بترك فضيحتهم بها وعقوبتهم علـيها, الرحيـم بهـم أن أعـذّبهم بعد توبتهم منها علـيها. وأنّ عَذابِـي هُو العَذَابُ الأليـمُ يقول: وأخبرهم أيضـا أن عذابـي لـمن أصرّ علـى معاصيّ وأقام علـيها ولـم يتب منها, هو العـذاب الـموجع الذي لا يشبهه عذاب. وهذا من اللـه تـحذير لـخـلقه التقـدم علـى معاصيه, وأمر منه لهم بـالإنابة والتوبة.

16040ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: نَبّىءْ عِبـادِي أنّـي أنا الغَفُورُ الرّحِيـمُ وأنّ عَذَابِـي هُـو العَـذَابُ الأَلِيـمُ ق ال: بلغنا أن نبـيّ الله صلى الله عليه وسلم قال: «لوْ يَعلـمُ العبدُ قَدْر عَفْـوِ اللّـهِ ما تورّعَ من حرام, وَلَو يَعلـم قَدْر عَذابِهِ لَبخَع نفسَه».

16041ـ حدثنـي الـمثنى, قال: أخبرنا إسحاق, قال: أخبرنا ابن الـمكيّ, قال: أخبرنا ابن الـمبـارك, قال: أخبرنا مصعب بن ثابت, قال: حدثنا عاصـم بن عبد الله, عن ابن أبـي ربـاح, عن رجل من أصحاب النبـيّ صلى الله عليه وسلم قال: طَلَع عَلَـيْنَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مـن البـاب الـذي يدخـل منه بنو شيبة, فقال: «ألا أرَاكُمْ تَضْحَكُونَ؟» ثـم أدبـر حتـى إذا كـان عند الـحجر رجع رجع إلـينا القهقري, فقال: «إنّـي لـمّا خَرَجْتُ جاءَ جَبْرَئِيـلُ صلى الله عليه وسلم فَقالَ: يـا مُـحَمّد إنّ اللّـهَ يَقُـولُ: لِـمَ تُقَنّـطُ عِبـادِي؟ نَبّىءْ عِبـادِي أنّـي أنا الغَفُورُ الرّحِيـمُ وأنّ عَذَابِـي هُو العَذَابُ الأَلِـيـمُ».

الآية : 51-53

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَنَبّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْـهِ فَقَالُواْ سَلاماً قَالَ إِنّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ * قَالُواْ لاَ تَوْجَلْ إِنّا نُبَشّـرُكَ بِغُلامٍ عَلِيـمٍ }.

يقول تعالـى ذكره لنبـيه مـحمد صلى الله عليه وسلم: وأخبر عبـادي يا مـحمد عـن ضـيف إبراهيـم يعنـي الـملائكة الـذين دخـلوا علـى إبراهيـم خـلـيـل الرحمن حين أرسلهم ربهم إلـى قوم لوط لـيهلكوهم. فَقالُوا سَـلاما يقول: فقال الضيف لإبراهيـم: سـلاما. قـال إنّـا مِنْكُـمْ وجِلُـونَ يقـول: قـال إبراهيـم: إنا منكم خائفون. وقد بـيّنا وجه النصب فـي قـولـه: سَـلاما وسـبب وجل إبراهيـم من ضـيفه واختلاف الـمختلفـين, ودللنـا علـى الصـحيح مـن القول فـيه فـيـما مضى قبل بـما إغنى عن إعادته فـي هـذا الـموضع. وأمـا قوله: قالُوا سَلاما وهو يعنـي به الضيف, فجمع الـخبر عنهم وهـم فـي لفـظ واحـد, فـإن الضـيف اسـم للواحـد والاثنـين والـجمع مثـل الـوزن والقطـر والعدل, فلذلك جمع خبره وهو لفظ واحد. وقوله: قَالُوا لا تَوْجَلْ يقول: قـال الضيف لإبراهيـم: لا توجل لا تَـخَفْ إنّا نُبَشّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِـيـمٍ.

الآية : 54

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {قَالَ أَبَشّـرْتُمُونِي عَلَـىَ أَن مّسّـنِيَ الْكِبَـرُ فَبِمَ تُبَشّرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم للملائكة الذين بشّروه بغلام عليم: أَبَشّرْتُمُونِي على أنْ مَسّنِيَ الكِبَرُ فَبِمَ تُبَشّرُونَ يقول: فبأيّ شيء تبشرون.

وكان مجاهد يقول في ذلك ما:

16042ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء وحدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا شبابة, قال: حدثنا ورقاء وحدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: قالَ أبَشّرْتُمُونِي على أنْ مَسّنِيَ الكِبَرُ فَبِمَ تُبَشّرُونَ قال: عجب من كبره وكبر امرأته.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

وقال على أنْ مَسّنِيَ الكِبَرُ ومعناه: لأن مسني الكبر وبأن مسني الكبر, وهو نحو قوله: حَقِيقٌ على أنْ لا أقُولَ على اللّهِ إلاّ الحَق بمعنى: بأن لا أقول, ويمثله في الكلام: أتيتك أنك تعطي, فلم أجدك تعطي.

الآية : 55-56

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالُواْ بَشّرْنَاكَ بِالْحَقّ فَلاَ تَكُن مّنَ الْقَانِطِينَ * قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رّحْمَةِ رَبّهِ إِلاّ الضّآلّونَ }.

يقول تعالى ذكره: قال ضيف إبراهيم له: بشرناك بحقّ يقين, وعلم منّا بأن الله قد وهب لك غلاما عليما, فلا تكن من الذين يقنطون من فضل الله فييأسون منه, ولكن أبشر بما بشرناك به وأقبل البُشرى.

واختلفت القرّاء قوله: مِنَ القانِطِينَ فقرأته عامّة قراء الأمصار: مِنَ القانِطِينَ بالألف. وذكر عن يحيى بن وثاب أنه كان يقرأ ذلك: «القَنِطِينَ».

والصواب من القراءة في ذلك ما عليه قرّاء الأمصار, لإجماع الحجة على ذلك وشذوذ ما خالفه.

وقوله: قال وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبّهِ إلاّ الضّالّونَ يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم للضيف ومن ييأس من رحمة الله إلا القوم الذين قد أخطئوا سبيل الصواب وتركوا قصد السبيل في تركهم رجاء الله, ولا يخيب من رجاه, فضلّوا بذلك عن دين الله.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: وَمَنْ يَقْنَطُ فقرأ ذلك عامّة قرّاء المدينة والكوفة: وَمَنْ يَقْنَطُ بفتح النون إلا الأعمش والكسائي فإنهما كسر النون من «يَقْنَطُ». فأما الذين فتحوا النون منه ممن ذكرنا فإنهم قرءوا: مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا بفتح القاف والنون. وأما الأعمش فكان يقرأ ذلك: «من بعد ما قَنِطُوا» بكسر النون. وكان الكسائي يقرؤه بفتح النون. وكان أبو عمرو بن العلاء يقرأ الحرفين جميعا على النحو الذي ذكرنا من قراءة الكسائي.

وأولى القراءات في ذلك بالصواب قراءة من قرأ: مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا بفتح النون, «وَمَنْ يَقْنَطُ» بكسر النون, لإجماع الحجة من القرّاء على فتحها في قوله: مِنْ بعْدِ ما قَنَطُوا فكسرها في «وَمَنْ يَقْنَطُ» أولى إذا كان مجمعا على فتحها في «قَنَطَ», لأن فَعَل إذا كانت عين الفعل منها مفتوحة ولم تكن من الحروف الستة التي هي حروف الحلق, فإنها تكون في «يَفْعِل» مكسورة أو مضمومة فأما الفتح فلا يُعرف ذلك في كلام العرب.

الآية : 57-60

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيّهَا الْمُرْسَلُونَ * قَالُواْ إِنّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىَ قَوْمٍ مّجْرِمِينَ * إِلاّ آلَ لُوطٍ إِنّا لَمُنَجّوهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاّ امْرَأَتَهُ قَدّرْنَآ إِنّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ }.

يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم للملائكة: فما شأنكم؟ ما أمَرُكم أيّها المرسلون؟ قالت الملائكة له: إنّا أُرْسِلْنا إلى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ يقول: إلى قوم قد اكتسبوا الكفر بالله. إلا آلَ لُوطٍ يقول: إلا أتباع لوط على ما هو عليه من الدّين, فإنا لن نهلكهم بل ننجيهم من العذاب الذي أمرنا أن نعذّب به قوم لوط, سوى امرأة لوط قَدّرْنا إنها ا مِنَ الغَابِرِينَ يقول: قضى الله فيها إنها لمن الباقين ثم هي مهلكة بعد. وقد بيَّنا الغابر فيما مضى بشواهده.

الآية : 61-63

القول في تأويل قوله تعالى: {فَلَمّا جَآءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ * قَالَ إِنّكُمْ قَوْمٌ مّنكَرُونَ * قَالُواْ بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: فلما أتى رسلُ الله آل لوط, أنكرهم لوط فلم يعرفهم وقال لهم: إنّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ: أي نُنْكركم لا نعرفكم. فقالت له الرسل: بل نحن رسل الله جئناك بما كان فيه قومك يشكون أنه نازل بهم من عذاب الله على كفرهم به.

16043ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء وحدثني الحسن بن محمد, قال: حدثنا شبابة, قال: حدثنا ورقاء وحدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل وحدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: قالَ إنّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ قال: أنكرهم لوط. وقوله: بِمَا كانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ قال: بعذاب قوم لوط.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

الآية : 64-65

القول في تأويل قوله تعالى: {وَآتَيْنَاكَ بِالْحَقّ وَإِنّا لَصَادِقُونَ * فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مّنَ اللّيْلِ وَاتّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: قالت الرسل للوط: وجئناك بالحقّ اليقين من عند الله, وذلك الحقّ هو العذاب الذي عذّب الله به قوم لوط. وقد ذكرت خبرهم وقصصهم في سورة هود وغيرها حين بعث الله رسله ليعذّبهم به, وقولهم: وإنّا لَصَادِقُونَ يقولون: إنا لصادقون فيما أخبرناك به يا لوط من أن الله مُهْلِك قومك. فَأَسْرِ بأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللّيْلِ يقول تعالى ذكره مخبرا عن رسله أنهم قالوا للوط: فأسر بأهلك ببقية من الليل, واتبع يا لوط أدبار أهلك الذين تسري بهم وكن من ورائهم, وسر خلفهم وهم أمامك, ولا يلتفت منكم وراءه أحد, وامضوا حيث يأمركم الله.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16044ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, عن ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ لا يلتفت وراءه أحد, ولا يَعَرّج.

حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا شبابة, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ: لا ينظر وراءه أحد.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل وحدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

16045ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: وَاتّبِعْ أَدْبارَهُمْ قال: أُمر أن يكون خلف أهله, يتبع أدبارهم في آخرهم إذا مشوا.

16046ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فَأَسْرِ بأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَيْلِ قال: بعض الليل. وَاتّبِعْ أَدْبارَهُمْ: أدبار أهله.

الآية : 66-67

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَلِكَ الأمْرَ أَنّ دَابِرَ هَؤُلاَءِ مَقْطُوعٌ مّصْبِحِينَ * وَجَآءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وفرغنا إلى لوط من ذلك الأمر, وأوحينا أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين يقول: إن آخر قومك وأوّلهم مجذوذ مستأصل صباح ليلتهم. «وأنّ» من قوله: أنّ دابرَ في موضع نصب ردّا على الأمر بوقوع القضاء عليها. وقد يجوز أن تكون في موضع نصب بفقد الخافض, ويكون معناه: وقضينا إليه ذلك الأمر بأن دابر هؤلاء مقطوع مُصبحين. وذُكر أن ذلك في قراءة عبد الله: «وقلنا إن دابر هؤلاء مقطوع مُصبحين». وعُنِي بقوله: مُصْبِحِينَ إذا أصبحوا, أو حين يصبحون.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16047ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عباس, قوله: أنّ دَابِرَ هَولاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ يعني: استئصال هلاكهم مصبحين.

16048ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَقَضَيْنا إلَيْهِ ذلكَ الأمْرَ قال: أوحينا إليه.

وقوله: وجاءَ أهْلُ المَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ يقول: وجاء أهل مدينة سَدُوم وهم قوم لوط لما سمعوا أن ضيفا قد ضاف لوطا مستبشرين بنزولهم مدينتهم طمعا منهم في ركوب الفاحشة. كما:

16049ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَجاءَ أهْلُ المَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ استبشروا بأضياف نبي الله صلى الله عليه وسلم لوط حين نزلوا لما أرادوا أن يأتوا إليهم من المنكر.

الآية : 68-70

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ إِنّ هَؤُلاَءِ ضَيْفِي فَلاَ تَفْضَحُونِ * وَاتّقُواْ اللّهَ وَلاَ تُخْزُونِ * قَالُواْ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ }.

يقول تعالى ذكره: قال لوط لقومه: إن هؤلاء الذين جئتموهم تريدون منهم الفاحشة ضيفي, وحقّ على الرجل إكرام ضيفه, فلا تفضحون أيها القوم في ضيفي, وأكرموني في تركككم التعرّض لهم بالمكروه. وقوله: واتّقُوا اللّهَ يقول: وخافوا الله فيّ وفي أنفسكم أن يحلّ بكم عقابه. وَلا تُخْزُونِ يقول: ولا تذلوني ولا تهينوني فيهم بالتعرضّ لهم بالمكروه. قالُوا أَوَ لَمْ نَنْهَكَ عَنِ العالَمِينَ يقول تعالى ذكره: قال للوط قومه: أو لم ننهك أن تضيف أحداً من العالمين؟ كما:

16050ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: أوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ العَالَمِينَ قال: ألم ننهك أن تضيف أحدا؟

الآية : 71-73

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ هَؤُلاَءِ بَنَاتِي إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ * لَعَمْرُكَ إِنّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ * فَأَخَذَتْهُمُ الصّيْحَةُ مُشْرِقِينَ }.

يقول تعالى ذكره: قال لوط لقومه: تزوّجوا النساء فأتوهنّ, ولا تفعلوا ما قد حرم الله عليكم من إتيان الرجال, إن كنتم فاعلين ما آمركم به ومنهين إلى أمري كما:

16051ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: قالَ هَولاءِ بَنَاتِي إنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ: أمرهم نبيّ الله لوط أن يتزوّجوا النساء, وأراد أن يَقِيَ أضيافه ببناته.

وقوله: لَعَمْرُكَ يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وحياتك يا محمد, إن قومك من قريش لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ يقول: لفي ضلالتهم وجهلهم يتردّدون.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16052ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا مسلم بن إبراهيم, قال: حدثنا سعيد بن زيد, قال: حدثنا عمرو بن مالك, عن أبي الجوّزاء, عن ابن عباس, قال: ما خلق الله وما ذرأ وما نفسا أكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم, وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره, قال الله تعالى ذكره: لَعَمْرُكَ إنّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ.

حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا يعقوب بن إسحاق الحضْرمي, قال: حدثنا الحسين بن أبي جعفر, قال: حدثنا عمرو بن مالك, عن أبي الجوزاء, عن ابن عباس, في قول الله: لَعَمْرُكَ إنّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ قال: ما حلف الله تعالى بحياة أحد إلا بحياة محمد صلى الله عليه وسلم, قال: وحياتك يا محمد وعمرك وبقائك في الدنيا إنّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ.

16053ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: لَعَمْرُكَ إنّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ وهي كلمة من كلام العرب لفي سكرتهم: أي في ضلالتهم, يعمهون: أي يلعبون.

16054ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, قال: سألت الأعمش, عن قوله: لَعَمْرُكَ إنّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ قال: لفي غفلتهم يتردّدون.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: فِي سَكْرَتِهِمْ قال: في ضلالتهم. يَعْمَهُونَ قال: يلعبون.

16055ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, قال: قال مجاهد: يَعْمَهُونَ قال: يتردّدون.
16056ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علي, عن ابن عباس, قوله: لَعَمْرُكَ يقول: لعيْشُك. إنّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ قال: يتمادَوْنَ.
16057ـ حدثني أبو السائب, قال: حدثنا معاوية, عن الأعمش, عن إبراهيم, قال: كانوا يكرهون أن يقول الرجل: لعمري, يرونه كقوله: وَحَيَاتِي.
وقوله: فَأَخَذَتْهُمْ الصّيْحَةُ مُشْرِقِينَ يقول تعالى ذكره: فأخذتهم صاعقة العذاب, وهي الصيحة مشرقين: يقول: إذ أشرقوا, ومعناه: إذ أشرقت الشمس. ونصب «مشرقين» و «مصبحين» على الحال بمعنى: إذ أصبحوا, وإذ أشرقوا, يقال منه: صِيح بهم, إذا أهلكوا.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
16058ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج: فَأَخَذَتْهُمُ الصّيْحَةُ مُشْرِقِينَ قال: حين أشرقت الشمس ذلك مشرقين.

الآية : 74-75

القول في تأويل قوله تعالى: {فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مّن سِجّيلٍ * إِنّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْمُتَوَسّمِينَ }.
يقول تعالى ذكره: فجعلنا عالي أرضهم سافلها, وأمطرنا عليهم حِجارة من سجّيل. كما:
16059ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, عن عكرمة: وَأَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ حِجارَةً مِنْ سِجّيلٍ أي من طين.
وقوله: إنّ في ذلكَ لآياتٍ للْمُتَوَسّمِينَ يقول: إن في الذي فعلنا بقوم لوط من إهلاكهم وأحللنا بهم من العذاب لَعَلامات ودلالات للمتفرّسين المعتبرين بعلامات الله, وعبره على عواقب أمور أهل معاصيه والكفر به. وإنما يعني تعالى ذكره بذلك قوم نبي الله صلى الله عليه وسلم من قريش يقول: فلِقومك يا محمد في قوم لوط, وما حلّ بهم من عذاب الله حين كذّبوا رسولهم وتمادوا في غيهم وضلالهم, مُعْتَبَرٌ.
وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: للْمُتَوَسّمِينَ قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
16060ـ حدثني عبد الأعلى بن واصل قال: حدثنا يعلى بن عبيد, قال: حدثنا عبد الملك بن أبي سليمان, عن قيس, عن مجاهد, في قوله: إنّ في ذلكَ لآياتٍ للْمُتَوَسّمِينَ قال: للمتفرّسين.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن فضيل, عن عبد الملك وحدثنا الحسن الزعفراني, قال: ثني محمد بن عبيد, قال: ثني عبد الملك, عن قيس, عن مجاهد: إنّ في ذلكَ لآياتٍ للْمُتَوَسّمِينَ قال للمتفرّسين.
حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء وحدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا شبابة, قال: حدثنا ورقاء وحدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حُذيفة, قال: حدثنا شبل وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو أسامة, قال: حدثنا شبل جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قال: المتوسمين: المتفرسين. قال: توسّمت فيك الخير نافلة.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن عبد الملك بن أبي سليمان, عن قيس, عن مجاهد: إنّ في ذلكَ لآيَاتٍ للْمُتَوَسّمِينَ قال: المتفرّسين.
16061ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس: إنّ في ذلكَ لآيَاتٍ للْمُتَوَسّمِينَ يقول: للناظرين.
16062ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا محمد بن يزيد, عن جويبر, عن الضحاك: للْمُتَوَسّمِينَ قال للناظرين.
16063ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: إنّ في ذلكَ لآيَاتٍ للْمُتَوَسّمِينَ: أي للمعتبرين.
حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة, قوله: للمُتَوَسّمينَ قال: للمعتبرين.
16064ـ حدثني محمد بن عُمارة, قال: ثني حسن بن مالك, قال: حدثنا محمد بن كثير, عن عمرو بن قيس, عن عطية, عن أبي سعيد, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اتّقُوا فِرَاسَةَ المُومِنِ فإنّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللّهِ». ثم قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «إنّ في ذلكَ لآيَاتٍ للْمُتَوَسّمِينَ».
حدثنا أحمد بن محمد الطّوسى, قال: حدثنا محمد بن كثير مولى بني هاشم, قال: حدثنا عمرو بن قيس المَلاَئي, عن عطية, عن أبي سعيد, عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, بمثله.
16065ـ حدثني أحمد بن محمدالطوسى, قال: حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا الفُرات بن السائب, قال: حدثنا ميمون بن مهران, عن ابن عمر, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اتّقُوا فِرَاسَةَ المُوءْمِنِ فإنّ المُوءْمِنَ يَنْظُرُ بِنُورِ اللّهِ».
16066ـ حدثنا عبد الأعلى بن واصل, قال: ثني سعيد بن محمد الجَرْميّ, قال: حدثنا عبد الواحد بن واصل, قال: حدثنا أبو بشر المزلق, عن ثابت البُنَانيّ, عن أنس, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنّ لله عِبادا يَعْرِفُونَ النّاسَ بالتّوَسّمِ».
16067ـ حدثني يونس بن عبد الأعَلى, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: إنّ في ذلكَ لآيَاتٍ للْمُتَوَسّمِينَ قال: المتفكرون والمعتبرون الذين يتوسمون الأشياء, ويتفكرون فيها ويعتبرون..
حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: للْمُتَوَسّمِينَ يقول: للناظرين.
16068ـ حدثني أبو شرحبيل الحِمْصِيّ, قال: حدثنا سليمان بن سلمة, قال: حدثنا المؤمل بن سعيد بن يوسف الرحبيّ, قال: حدثنا أبو المعلّى أسد بن وداعة الطائي, قال: حدثنا وهب بن منبه, عن طاوس بن كيسان, عن ثوبان, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «احْذَرُوا فِرَاسَةَ المُوءْمِنِ فإنّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللّهِ وَيَنْطِقُ بِتَوْفِيقِ اللّهِ».

الآية : 76-77

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِنّهَا لَبِسَبِيلٍ مّقِيمٍ * إِنّ فِي ذَلِكَ لاَيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ }.

يقول تعالى ذكره: وإن هذه المدينة, مدينة سَدُوم, لبطريق واضح مقيم يراها المجتاز بها لا خفاء بها, ولا يبرح مكانها, فيجهل ذو لبّ أمرها, وغبّ معصية الله, والكفر به.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: 16069ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن نمير, عن ورقاء وحدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا شبابة, قال: حدثنا ورقاء وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء وحدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, وحدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَإنّها لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ قال: لبطريق معلم.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

16070ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وَإنّها لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ يقول: بطريق واضح.

16071ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: وَإنّها لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ قال: طريق السبيل: الطريق.

16072ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ يقول: بطريق معلم.

وقوله: إنّ فِي ذلكَ لآيَةً لّلْمُؤْمِنِينَ يقول تعالى ذكره: إن في صنيعنا بقوم لوط ما صنعنا بهم, لعلامة ودلالة بينة لمن آمن بالله على انتقامه من أهل الكفر به, وإنقاذه من عذابه, إذا نزل بقوم أهل الإيمان به منهم. كما:

16073ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفيان, عن سماك, عن سعيد بن جبير, في قوله: إنّ فِي ذلكَ لآيَةً قال: هو كالرجل يقول لأهله: علامة ما بيني وبينكم أن أرسل إليكم خاتمي, أو آية كذا وكذا.

16074ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو أسامة, عن سفيان, عن سماك, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس: إنّ فِي ذلكَ لآيَةً قال: أما ترى الرجل يرسل بخاتمه إلى أهله فيقول: هاتوا كذا وكذا, فإذا رأوه علموا أنه حقّ.

الآية : 78-79

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الأيْكَةِ لَظَالِمِينَ * فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنّهُمَا لَبِإِمَامٍ مّبِينٍ }.

يقول تعالى ذكره: وقد كان أصحاب الغَيْضة ظالمين, يقول: كانوا بالله كافرين. والأيكة: الشجر الملتفّ المجتمع, كما قال أمية:

كَبُكا الحَمامِ عَلى فَرُوعِ الأيْكِ في الغُصْنِ الجَوَانِحْ

وبنحو الذي قلنا في ذلكَ قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16075ـ حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد, قال: حدثنا عتاب بن بشير, عن خصيف, قال, قوله: أصحَابُ الأيْكَةِ قال: الشجر, وكانوا يأكلون في الصيف الفاكهة الرطبة, وفي الشتاء اليابسة.

16076ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَإنْ كانَ أصحَابُ الأيْكَةِ لَظالِمِينَ ذكر لنا أنهم كانوا أهل غيضة. وكان عامّة

شجرهم هذا الدّوْم. وكان رسولهم فيما بلغنا شُعَيب صلى الله عليه وسلم, أرسل إليهم وإلى أهل مدين, أرسل إلى أمتين من الناس, وعُذّبتا بعذابين شتى. أما أهل مدين, فأخذتهم الصيحة وأما أصحاب الأيكة, فكانوا أهل شجر متكاوس ذُكر لنا أنه سلّط عليهم الحرّ سبعة أيام, لا يظلهم منه ظلّ ولا يمنعهم منه شيء, فبعث الله عليهم سحابة, فحَلّوا تحتها يلتمسون الرّوْح فيها, فجعلها الله عليهم عذابا, بعث عليهم نارا فاضطرمت عليهم فأكلتهم. فذلك عذاب يوم الظلّة, إنه كان عذاب يوم عظيم.

16077ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الرحمن بن أبي حماد, قال: حدثنا عمرو بن ثابت, عن أبيه عن سعيد بن جبير, قال: أصحاب الأيكة: أصحاب غَيْضَة.

16078ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن جريج, قوله: وَإنْ كانَ أصحَابُ الأَيْكَةِ لَظالِمِينَ قال: قوم شعيب. قال ابن عباس: الأيكة ذات آجام وشجر كانوا فيها.

16079ـ حدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول: في قوله: أصحَابُ الأَيْكَةِ قال: هم قوم شعيب, والأيكة: الغيضة.

16080ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرنا عمرو بن الحارث, عن سعيد بن أبي هلال, عن عمرو بن عبد الله, عن قتادة, أنه قال: إن أصحاب الأيكة, والأيكة: الشجر الملتفّ.

وقوله: فانْتَقَمْنا مِنْهُمْ وإنّهُما لَبِإمامٍ مُبِينٍ يقول: تعالى ذكره: فانتقمنا من ظلمة أصحاب الأيكة. وقوله: وإنّهُما لَبِإمامٍ مُبِينٍ يقول: وإن مدينة أصحاب الأيكة ومدينة قوم لوط. والهاء والميم في قوله: وإنّهما من ذكر المدينتين. لَبِإمامٍ يقول: لبطريق يأتمون به في سفرهم ويهتدون به. مُبِينٍ يقول: يبين لمن ائتمّ به استقامته. وإنما جعل الطريق إماما لأنه يوءَم ويُتّبع.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16081ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: وإنّهُما لَبِإمامٍ مُبِينٍ يقول: على الطريق.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: فانْتَقَمْنا مِنْهُمْ وإنّهُما لَبِإمامٍ مُبِينٍ يقول: طريق ظاهر.

16082ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء وحدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا شبابة, قال: حدثنا ورقاء, وحدثني المثنى. قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: وإنّهُما لَبِإمامٍ مُبِينٍ قال: بطريق معلم.

16083ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: وإنّهُما لَبِإمامٍ مُبِينٍ قال: طريق واضح.

حُدثت عن الحسين قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: لَبِإمامٍ مُبِينٍ بطريق مستبين.

الآية : 80-81

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ كَذّبَ أَصْحَابُ الحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ * وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ }.

يقول تعالى ذكره: ولقد كذب سكان الحجر, وجعلوا لسكناهم فيها ومقامهم بها أصحابها, كما قال تعالى ذكره: وَنادَى أصحَابُ الجَنّةِ أصحَابَ النّارِ أنْ قَدْ وَجَدْنا ما وَعَدَنا رَبّنا حَقّا فجعلهم أصحابها لسُكناهم فيها ومقامهم بها. والحجر: مدينة ثمود.

وكان قتادة يقول في معنى الحجر, ما:

16084ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر عن قتادة: أصحاب الحجر: قال: أصحاب الوادي.

16085ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني يونس, عن ابن شهاب, وهو يذكر الحِجْر مساكن ثمود قال: قال سالم بن عبد الله: إن عبد الله بن عمر قال: مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر, فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تَدْخُلُوا مَساكِنَ الّذِينَ ظَلَمُوا أنفسَهُمْ إلاّ أنْ تَكُونُوا باكِينَ حَذَرا أنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ ما أصَابَهُمْ» ثم زجر فأسرع حتى خلّفها.

16086ـ حدثنا زكريا بن يحيى بن أبان المصريّ, قال: حدثنا أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن أبي عباد المكيّ, قال: حدثنا داود بن عبد الرحمن, عن عبد الله بن عثمان بن خثيم, عن ابن سابط, عن جابر بن عبد الله: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو بالحجر: «هَولاءِ قَوْمُ صَالِحٍ أهْلَكَهُمْ اللّهُ إلاّ رَجُلاً كانَ فِي حَرَمِ اللّهِ مَنَعَهُ حَرَمُ اللّهِ مِنْ عَذَابِ اللّهِ» قيل: يا رسول الله من هو؟ قال: «أبُو رِغالٍ».

وقوله: وآتَيْنَاهُمْ آياتِنا فَكانُوا عَنْها مُعْرِضِينَ يقول: وأريناهم أدلتنا وحججنا على حقيقة ما بعثنا به إليهم رسولَنا صالحا, فكانوا عن آياتنا التي آتيناهم معرضين لا يعتبرون بها ولا يتعظون.

الآية : 82-84

القول في تأويل قوله تعالى: {وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً آمِنِينَ * فَأَخَذَتْهُمُ الصّيْحَةُ مُصْبِحِينَ * فَمَآ أَغْنَىَ عَنْهُمْ مّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وكان أصحاب الحجر, وهم ثمود قوم صالح, ينحِتون مِنَ الجبالِ بُيُوتا آمِنِينَ من عذاب الله, وقيل: آمنين من الخراب أن تخرب بيوتهم التي نحتوها من الجبال, وقيل: آمنين من الموت. وقوله: فَأخَذَتْهُمُ الصّيْحَةُ مُصْبِحِينَ يقول: فأخذتهم صيحة الهلاك حين أصبحوا من اليوم الرابع من اليوم الذي وُعدوا العذاب, وقيل لهم: تَمتّعوا في داركم ثلاثة أيام. وقوله: فَمَا أغْنَى عَنْهُمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ يقول: فما دفع عنهم عذاب الله ما كانوا يجترحون من الأعمال الخبيثة قبل ذلك.

الآية : 85-86

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَا خَلَقْنَا السّمَاوَاتِ وَالأرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلاّ بِالْحَقّ وَإِنّ السّاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصّفْحَ الْجَمِيلَ * إِنّ رَبّكَ هُوَ الْخَلاّقُ الْعَلِيمُ }.

يقول تعالى ذكره: وما خلقنا الخلائق كلها, سماءها وأرضَها, ما فيهما وما بَيْنَهُما يعني بقوله: وَما بَيْنَهُما مما في أطباق ذلك. إلاّ بالحَقّ يقول: إلا بالعدل والإنصاف, لا بالظلم والجَور. وإنما يعني تعالى ذكره بذلك أنه لم يظلم أحدا من الأمم التي اقتصّ قَصَصَها في هذه السورة وقصص إهلاكه إياها بما فعل به من تعجيل النقمة له على كفره به, فيعذّبه ويهلكه بغير استحقاق لأنه لم يخلق السموات والأرض وما بينهما بالظلم والجور, ولكنه خالق ذلك بالحقّ والعدل. وقوله: وإنّ السّاعَةَ لآتِيَةٌ فاصْفَحِ الصّفْحَ الجَمِيلَ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وإن الساعة, وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة لجائية, فارض بها لمشركي قومك الذين كذّبوك وردّوا عليك ما جئتهم به من الحقّ. فاصْفَحِ الصّفْحَ الجَمِيلَ يقول: فأعرض عنهم إعراضا جميلاً, واعف عنهم عفوا حسنا. وقوله: إنّ رَبّكَ هُوَ الخَلاّقُ العَلِيمُ يقول تعالى ذكره: إن ربك هو الذي خلقهم وخلق كلّ شيء, وهو عالم بهم وبتدبيرهم وما يأتون من الأفعال. وكان جماعة من أهل التأويل تقول: هذه الآية منسوخة. ذكر من قال ذلك:

16087ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فاصْفَحِ الصّفْحَ الجَمِيلَ ثم نسخ ذلك بعد, فأمره الله تعالى ذكره بقتالهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله, لا يقبل منهم غيره.

16088ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا سويد بن نصر, قال: أخبرنا ابن المبارك, عن جويبر, عن الضحاك, في قوله: فاصْفَحِ الصّفْحَ الجَمِيلَ فاصفَحْ عَنْهُمُ, وقُلْ سَلامٌ, فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ وأعْرِضْ عَنِ المُشْرِكِينَ و قُلْ للذين آمنوا يغفروا للّذِينَ لاَ يَرجُونَ أيّامَ الله وهذا النحوُ كله في القرآن أمر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم أن يكون ذلك منه, حتى أمره بـ القتال, فنسخ ذلك كله فقال: خُذُوهُمْ واحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلّ مَرْصَدٍ.

16089ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن إسرائيل, عن جابر, عن مجاهد: فاصْفَحِ الصّفْحَ الجَمِيلَ قال: هذا قبل القتال.

16090ـ حدثني المثنى, قال: أخبرنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله بن الزبير, عن سفيان بن عيينة, في قوله: فاصْفَحِ الصّفْحَ الجَمِيلَ. وقوله: وأعْرِضْ عَنِ المُشْرِكِينَ قال: كان هذا قبل أن ينزل الجهاد, فلما أمر بالجهاد قاتلهم فقال: «أنا نَبِيّ الرّحْمَةِ ونَبِيّ المَلْحَمَةِ, وبُعِثْتُ بالحَصَادِ ولَمْ أُبْعَثْ بالزّرَاعَةِ».

الآية : 87

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ }.

اختلف أهل التأويل في معنى السبع الذي أتى الله نبيه صلى الله عليه وسلم من المثاني فقال بعضهم عني بالسبع: السبع السور من أوّل القرآن اللواتي يُعْرفن بالطول. وقائلو هذه المقالة مختلفون في المثاني, فكان بعضهم يقول: المثاني هذه السبع, وإنما سمين بذلك لأنهن ثُنّيَ فيهنّ الأمثالُ والخبرُ والعِبَر. ذكر من قال ذلك:

16091ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يـمان, عن سفـيان, عن يونس, عن ابن سيرين, عن ابن مسعود فـي قوله: وَلَقَد آتَـيْناكَ سَبْعا مِنَ الـمَثانِــي قال: السبع الطّولَ.
16092ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يـمان, عن سفـيان, عن سـعيد الـجريريّ, عن رجل, عن ابن عمر قال: السبع الطّوَل.
16093ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يـمَان, عن سفـيان, عن منصور, عن مـجاهد, عن ابن عبـاس, فـي قوله: وَلَقَـد آتَـيْناكَ سَـبْعا مِـنَ الـمَثانِــي قال: السبع الطّوَل.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عن سفـيان, عن منصور, عن مـجاهد, عن ابن عبـاس, مثله.
16094ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيـم, عن الـحجاج, عن الوليـد بن العيزار, عن سعيد بن جبـير, عـن ابـن عبــاس, قال: هنّ السبع الطّوَل, ولـم يُعطَهن أحد إلا النبـيّ صلى اللـه عليـه وسـلم, وأعطيَ موسى منهنّ اثنتـين.
16095ـ حدثنا ابن وكيع, وابن حميد, قالا: حدثنا جرير, عن الأعمش, عن مسلـم البَطين, عن سعيد بن جبـير, عـن ابـن عبــاس, قـال: أوتــي النبــيّ صلى الله عليه وسلم سبعا من الـمثانـي الطّوَل, وأوتـي موسى ستّا, فلــما ألقـى الألواح رُفعت اثنتان وبقـيت أربع.
حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا علـيّ بن عبد الله بن جعفر, قـال: حدثنا جرير, عن الأعمش, عن مسلـم البطين, عن سعيد بن جبـير, عن ابـن عبـاس, مثله.
16096ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يحيى بن آدم, عن إسرائيـل, عن أبـي إسحاق, عن مسلـم البطين, عن سـعيد بـن جبــير, عـن ابـن عبــاس, فــي قوله: سَبْعا مِنَ الـمَثانِــي قـال: البقـرة, وآل عمـران, والنسـاء, والــمائدة, والأنعام, والأعراف. قال إسرائيـل: وذكر السابعة فنسيتها.
16097ـ حدثنـي يعقوب بن إبراهيـم, قال: حدثنا هشيـم, عن أبـي بشـر, عن سعيد بن جبـير, فـي قوله: وَلَقَد آتَـيْناكَ سَبْعا مِـنَ الـمَثانِــي قـال: هـي الطّـوَل: البقـرة, وآل عمـران, والنسـاء, والــمائدة, والأنعـام, والأعـراف, ويونس.
حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا مـحمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبـي بشر, عن سعيد بن جبـير فـي هذه الآية: وَلَقَـد آتَــيْناكَ سَـبْعا مِـنَ الـمَثانِــي والقُرآنَ العَظِيــمَ قـال: البقـرة, وآل عمـران, والنسـاء والــمائدة والأنع ام, والأعراف, ويونس, فـيهنّ الفرائض والـحدود.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عن شعبة, عن أبـي بشر, عن سعيد بن جبـير, بنـحوه.
16098ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عن ابن أبـي خالد, عن خوّات, عن سعيد بن جبـير, قال: السبع الطّوَل.
16099ـ حدثنـي يعقوب, قال: حدثنا هشيـم, قال أبـو بشـر: أخبرنـا عـن سعيد بن جبـير, قال: هنّ السبع الطّـوَل. قـال: وقـال مــجاهد: هـن السـبع الطّول. قال: ويقال: هنّ القرآن العظيـم.
حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا شبــابة, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن جعفر, عن سعيد, فـي قوله: سَبْعا مِنَ الـمَثانِـي قال: البقـرة, وآل عمـران,

والنساء, والمائدة, والأنعام, والأعراف, ويونس, تُثْنى فيها الأحكام والفرائض.
حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح, قال: حدثنا هشيم, عن أبي بشر, عن سعيد بن جبير, قال: هن السبع الطُّوَل.
حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا سعيد بن منصور, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا أبو بشر, عن سعيد بن جبير, في قوله: سَبْعا مِنَ الـمَثانِي قال: البقرة, وآل عمران, والنساء, والمائدة, والأنعام, والأعراف, يونس. قال: قلت: ما المثاني؟ قال: يثنى فيهنّ القضاء والقَصص.
حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا إسرائيل, عن أبي إسحاق, عن مسلم البطين, عن سعيد بن جبير: وَلَقَد آتَيْناكَ سَبْعا مِنَ الـمَثانِي قال: البقرة, وآل عمران, والنساء, والمائدة, والأنعام, والأعراف, ويونس.
حدثنا أحمد, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفيان عن عبد الله بن عثمان بن خثيم, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, قال: السبع الطّوَل.
حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا أبو خالد القرشي, قال: حدثنا سفيان, عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, مثله.
حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا أبو خالد, عن سفيان, عن أبي إسحاق, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, مثله.
حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش, عن مسلم البطين, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, مثله.
16100ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: سمعت ليثا, عن مجاهد, قال: هي السبع الطّوَل.
حدثنا الحسن بن محمد بن عبيد الله, قال: حدثنا عبد الملك, عن قيس, عن مجاهد, في قوله: وَلَقَد آتَيْناكَ سَبْعا مِنَ الـمَثانِي قال: هي السبع الطُّوَل.
16101ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله تعالى: وَلَقَد آتَيْناكَ سَبْعا مِنَ الـمَثانِي والقُرآنَ العَظِيمَ قال: من القرآن السبع الطّوَل السبع الأوَل.
حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا شبابة, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن فضيل وابن نمير, عن عبد الملك, عن قيس, عن مجاهد, قال: هنّ السبع الطّوَل.
حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: السبع الطّوَل.
16102ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن نمير, عن سفيان, عن عبد الله بن عثمان بن خُثَيم, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, قال: هي الأمثال وَالخَبر والعِبَر.

16103ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن نمير, عن إسماعيل, عن خوّات, عن سعيد بن جبير, قال: هي السبع الطّوَل, أعطِيَ موسى ستّا, وأُعطِيَ محمد صلى الله عليه وسلم سبعا.

16104ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ, يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول, في قوله: سَبْعا مِنَ المَثانِي يعني السبع الطّوَل.

وقال آخرون: عني بذلك: سبع آيات وقالوا: هن آيات فاتحة الكتاب, لأنهنّ سبع إيات. وهم أيضا مختلفون في معنى المثاني, فقال بعضهم: إنما سمين مثاني لأنهن يثنين في كلّ ركعة من الصلاة. ذكر من قال ذلك:

16105ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: أخبرنا ابن علية, عن سعيد الجريري, عن أبي نضرة, قال: قال رجل منا يقال له جابر أو جويبر: طلبت إلى عمر حاجة في خلافته, فقدمت, المدينة ليلاً, فمثلت بين أن أتخذ منزلاً وبين المسجد, فاخترت المسجد منزلاً. فأرقت نشوا من آخر الليل, فإذا إلى جنبي رجل يصلي يقرأ بأمّ الكتاب ثم يسبح قدر السورة ثم يركع ولا يقرأ, فلم أعرفه حتى جَهَر, فإذا هو عُمر, فكانت في نفسي, فغدوت عليه فقلت: يا أمير المؤمنين حاجة مع حاجة قال: هات حاجتك قلت إني قدمت ليلاً فمثلت بين أن أتخذ منزلاً وبين المسجد, فاخترت المسجد, فأرقت نَشْوا من آخر الليل, فإذا إلى جنبي رجل يقرأ بأمّ الكتاب ثم يسبح قدر السورة ثم يركع ولا يقرأ, فلم أعرفه حتى جَهَر, فإذا هو أنت, وليس كذلك نفعل قِبَلَنا. قال: وكيف تفعلون؟ قال: يقرأ أحدنا أمّ الكتاب, ثم يفتتح السورة فيقرؤها. قال: ما لهم يعلَمُون ولا يعمَلُون؟ ما لهم يعلَمُون لا يعمَلُون؟ ما لهم يعلَمُون ولا يعمَلُون؟ وما تبغي عن السبع المثاني وعن التسبيح صلاة الخلق.

حدثني طُلَيق بن محمد الواسطيّ, قال: أخبرنا يزيد, عن الجريري, عن أبي نضرة, عن جابر أو جويبر, عن عُمَر بنحوه, إلا أنه قال: فقال يقرأ القرآن ما تيسر أحيانا, ويسبح أحيانا, ما لهم رغبة عن فاتحة الكتاب, وما يبتغي بعد المثاني وصلاة الخلق التسبيح.

16106ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى, قال: حدثنا سفيان, عن السديّ, عن عبد خير, عن عليّ, قال: السبع المثاني: فاتحة الكتاب.

حدثنا نصر بن عبد الرحمن, قال: حدثنا حفص بن عمر, عن الحسن بن صالح وسفيان, عن السديّ, عن عبد خير, عن عليّ مثله.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, عن سفيان, عن السديّ, عن عبد خير, عن عليّ مثله.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي وحدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد جميعا, عن سفيان, عن السديّ, عن عبد خير, عن عليّ, مثله.

16107ـ حدثنا أبو كريب وابن وكيع, قالا: حدثنا ابن إدريس, قال: حدثنا هشام, عن ابن سيرين, قال: سئل ابن مسعود عن سبع من المثاني, قال: فاتحة الكتاب. قال: وقال ابن سيرين عن ابن مسعود: هي فاتحة الكتاب.

16108ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, قال: أخبرنا يونس, عن الحسن, في قوله: وَلَقَد آتَيْناكَ سَبْعا مِنَ المَثانِي قال: فاتحة الكتاب.

حدثني المثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيم, عن يونس, عن ابن سيرين, عن ابن مسعود: سَبْعا مِنَ المَثانِي قال: فاتحة الكتاب.

16109ـ حدثني سعيد بن يحيى الأُمَويّ, قال: ثني أبي, قال: حدثنا ابن جريج, قال: أخبرنا أبي, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, أنه قال في قول الله تعالى: وَلَقَد آتَيْناكَ سَبْعا مِنَ المَثانِي قال: هي فاتحة الكتاب. فقرأها عليّ سنّا, ثم قال: بسم الله الرحمن الرحيم الآية السابعة. قال سعيد: وقرأها ابن عباس عليّ كما قرأها عليك, ثم قال الآية السابعة: بسم الله الرحمن الرحيم, فقال ابن عباس: قد أخرجها الله لكم وما أخرجها لأحد قبلكم.

16110ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني ابن جريج, أن أباه حدّثه, عن سعيد بن جبير, قال: قال لي ابن عباس: فاستفتح ببسم الله الرحمن الرحيم ثم قرأ فاتحة الكتاب, ثم قال: تدري ما هذا؟ وَلَقَد آتَيْناكَ سَبْعا مِنَ المَثانِي.

16111ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَلَقَد آتَيْناكَ سَبْعا مِنَ المَثانِي يقول: السبع: الحمد لله رب العالمين, والقرآن العظيم. ويقال: هنّ السبع الطول, وهن المئون.

16112ـ حدثنا أحمد, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفيان, عن ابن جريج, عن أبيه, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, قال: فاتحة الكتاب.

16113ـ حدثني عمران بن موسى القزاز, قال: حدثنا عبد الوارث, قال: حدثنا إسحاق, بن سويد, عن يحيى بن يعمر وعن أبي فاختة في هذه الآية: وَلَقَد آتَيْناكَ سَبْعا مِنَ المَثانِي والقُرآن العَظِيمَ قالا: هي أمّ الكتاب.

حدثني المثنى, قال: حدثنا وهب بن جرير, قال: حدثنا شعبة, عن السدي عمن سمع عليّا يقول: الحمد لله ربّ العالمين, هي السبع المثاني.

16114ـ حدثنا أبو المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, قال: سمعت العلاء بن عبد الرحمن, يحدّث عن أبيه, عن أبيّ بن كعب, أنه قال: السبع المثاني: الحمد لله رب العالمين.

16115ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, عن أبي جعفر الرازي, عن الربيع, عن أبي العالية, في قول الله تعالى: وَلَقَد آتَيْناكَ سَبْعا مِنَ المَثانِي قال: فاتحة الكتاب سبع آيات. قلت للربيع: إنهم يقولون: السبع الطول. فقال: لقد أنزلت هذه وما أنزل من الطّول شيء.

16116ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي جعفر الرازيّ, عن الربيع بن أنس, عن أبي العالية, قال: فاتحة الكتاب. قال: وإنما سميت المثاني لأنه يثنى بها كلما قرأ القرآن قرأها. فقيل لأبي العالية: إن الضحاك بن مزاحم يقول: هي السبع الطّوَل. فقال: لقد نزلت هذه السورة سبعا من المثاني وما أنزل شيء من الطّوَل.

16117ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, قال: حدثنا سفيان, عن أبيه, عن سعيد بن جبير, قال: فاتحة الكتاب.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي جميعا, عن سفيان, عن الحسن بن عبيد الله, عن إبراهيم, قال: فاتحة الكتاب.

حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفيان, عن الحسن بن عبيد الله, عن إبراهيم مثله.

16118ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي وحدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد جميعا, عن هارون بن أبي إبراهيم البربري, عن عبد الله بن عبيد بن عمير, قال: السبع من المثاني: فاتحة الكتاب.

16119ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, عن ابن جريج, عن أبي مليكة: وَلَقَد آتَيْناكَ سَبْعا مِنَ المَثانِي قال: فاتحة الكتاب. قال: وذكر فاتحة الكتاب لنبيكم صلى الله عليه وسلم لم تذكر لنبيّ قبله.

16120ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن إدريس, عن ليث, عن شهر بن حوشب, في قوله: وَلَقَد آتَيْناكَ سَبْعا مِنَ المَثانِي قال: فاتحة الكتاب.

16121ـ حدثني محمد بن أبي خداش, قال: حدثنا محمد بن عبيد, قال: حدثنا هارون البربري, عن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي في قول الله تعالى: وَلَقَد آتَيْناكَ سَبْعا مِنَ المَثانِي قال: هي الحمد لله ربّ العالمين.

16122ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, عن أبي رجاء, قال: سألت الحسن, عن قوله تعالى: وَلَقَد آتَيْناكَ سَبْعا مِنَ المَثانِي والقُرآنَ العَظيمَ قال: هي فاتحة الكتاب. ثم سئل عنها وأنا أسمع, فقرأها: الحمد لله ربّ العالمين, حتى أتى على آخرها, فقال: تثنى في كلّ قراءة.

16123ـ حدثنا أحمد, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا إسرائيل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: فاتحة الكتاب.

حدثنا أحمد, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا شريك, عن ليث, عن مجاهد, قال: فاتحة الكتاب.

16124ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وَلَقَد آتَيْناكَ سَبْعا مِنَ المَثانِي والقُرآن العَظِيمَ ذكر لنا أنهنّ فاتحة الكتاب, وأنهن يثنين في كلّ قراءة.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: سَبْعا مِنَ المَثانِي قال: فاتحة الكتاب تُثْنَى في كلّ ركعة مكتوبة وتطوّع.

16125ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا حماد بن زيد وحجاج, عن ابن جريج, قال: أخبرني أبي عن سعيد بن جبير, أنه أخبره أنه سأل ابن عباس عن السبع المثاني, فقال: أمّ القرآن. قال: سعيد: ثم قرأها, وقرأ منها: بسم الله الرحمن الرحيم. قال: أبي: قرأها سعيد كما قرأها ابن عباس, وقرأ فيها بسم الله الرحمن الرحيم. قال سعيد: قلت لابن عباس: فما المثاني؟ قال: هي أم القرآن, استثناها الله لمحمد صلى الله عليه وسلم, فرفعها في أمّ الكتاب, فذخرها لهم حتى خرجها لهم, ولم يعطها لأحد قبله. قال: قلت: لأبي: أخبرك سعيد أن ابن عباس قال له: «بسم الله الرحمن الرحيم» آية من القرآن؟ قال: نعم. قال ابن جريج: قال عطاء: فاتحة الكتاب, وهي سبع بسم الله الرحمن الرحيم, والمثاني: القرآن.

16126ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن عطاء, أنه قال: السبع المثاني: أمّ القرآن.

16127ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا عبد الله العتكي, عن خالد الحنفي قاضي مرو في قوله: وَلَقَد آتَيْناكَ سَبْعا مِنَ المَثانِي قال: فاتحة الكتاب.

وقال آخرون: عُني بالسبع المثاني معاني القرآن. ذكر من قال ذلك:

16128ـ حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب الشهيد الشهيديّ, قال: حدثنا عتاب بن بشير, عن خصيف, عن زياد بن أبي مريم, في قوله: سَبْعا مِنَ المَثانِي قال: أعطيتك سبعة أجزاء: مُرْ, وانْهَ, وبَشِّرْ, وانذِرْ, واضرب الأمثال, واعدُدِ النعم, وآتيتك نبأ القرآن.

وقال آخرون من الذين قالوا عُنِي بالسبع المثاني فاتحة الكتاب: المثاني هو القرآن العظيم. ذكر من قال ذلك:

16129ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمران بن عيينة, عن حصين, عن أبي مالك, قال: القرآن كله مثاني.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن حصين, عن أبي مالك, قال: القرآن كُلُّه مثاني.

16130ـ حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا عبيد أبو زيد, عن حصين, عن أبي مالك, قال: القرآن مثاني. وعدّ البقرة, وآل عمران, والنساء, والمائدة, والأنعام, والأعراف, وبراءة.

16131ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن ابن جريج, عن مجاهد, وعن ابن طاوس, عن أبيه, قال: القرآن كله يُثْنَى.

16132ـ حدثني محمد بن سعد, قال: قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قال: المثاني: ما ثنى من القرآن, ألم تسمع لقول الله تعالى ذكره: الله نَزّلَ أحْسَنَ الحَدِيثِ كِتابا مُتَشابِها مَثاني؟.

16133ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول: المثاني: القرآن, يذكر الله القصة الواحدة مرارا, وهو قوله: نَزّلَ أحْسَنَ الحَدِيثِ كِتابا مُتَشابِها مَثانِيَ.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب, قول من قال: عُني بالسبع المثاني السبع اللواتي هنّ آيات أم الكتاب, لصحة الخبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي:

16134ـ حدّثنيه يزيد بن مخلد بن خِدَاش الواسطي, قال: حدثنا خالد بن عبد الله, عن عبد الرحمن بن إسحاق, عن العلاء, عن أبيه, عن أبي هريرة, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أمّ القُرآنِ السّبْعُ المَثانِي الّتِي أعْطِيتُها».

16135ـ حدثني أحمد بن المقدام العجلي, قال: حدثنا يزيد بن زريع, قال: حدثنا روح بن القاسم, عن أبيه, عن أبي هريرة, أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبيّ: «إنّي أُحِبّ أنْ أعُلّمَكَ سُورةً لَمْ يَنْزِلْ فِي التّوْرَاةِ وَلا فِي الإنْجِيلِ وَلا فِي الزّبُورِ وَلا فِي الفُرْقانِ مِثْلُها». قالَ: نعم يا رسول الله, قال: «إنّى لأَرْجُو أنْ لا تَخْرُج مِنْ هَذَا البَابِ حتى تَعْلَمَها». ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي يحدثني, فجعلت أتباطأ مخافة أن يبلغ البابَ قبل أن ينقضي الحديث, فلما دنوت قلت: يا رسول الله ما السورة التي وعدتني؟ قال: «ما تَقرأُ في الصّلاةِ؟» فقرأت عليه

أمّ القـرآن, فقـال: «والّـذِي نَفْسِـي بِـيَدِهِ مِـا أُنْـزِل فــي التّـوْراةِ ولا فــي الإنْجِيـلِ ولا فـي الزّبُورِ ولا فـي الفُرْقـانِ مِثْلُهـا, إنَّهـا السّـبْعُ مِـن الـمَثانــي والقُرآنِ العَظِيـمِ الّذِي أُعْطِيتُهُ».

16136ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا زيد بن حباب العكلي, قال: حـدثنا مالك بن أنيس, قال: أخبرنــي العلاء بـن عبـد الرحمـن بـن يعقـوب مولـى لعروة, عن أبـي سـعيد مولــى عـامر بـن فلان, أو ابـن فلان, عـن أبــيّ بـن كعب, أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: «إذا افْتَتَحْت الصّلاةَ بِـم تَفْتَتِـحُ؟» قال: الـحمد لله ربّ العالـمين, حتــى ختــمها. فقـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: «هِـي السّـبْعُ الـمَثانــي والقُـرآنُ العَظِيــمُ الّـذِي أُعْطِيتُ».

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا أبو أسامة, عن عبد الـحميد بن جعفـر, عـن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب, عن أبـيه, عن أبـي هريرة, عن أُبـيّ, قال: قال رسول الله صلى الله عليـه وسـلم: «ألا أُعَلّــمُك سُـورةً مِـا أُنْـزِل فــي التّوْراةِ ولا فـي الإنْجِيـلِ وَلاَ فــي الزّبُـورِ ولا فــي الفُرْقـانِ مِثْلُهـا؟» قلـت: بلـى. قال: «إنّى لاَرْجُو أنْ لا تَـخْرُجَ مِنْ ذَلِكَ البـابِ حتــى تَعْلَــمُها». فقـام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقمـت معـه, فجعـل يحدثنــي ويـده فــي يدي, فجعلت أتبـاطأ كراهية أن يخرج قبل أن يخبرنـي بهـا فلــما قـرب مِـن البـاب قلت: يا رسول اللـه السـورة التــي وعدتنــي قـال: «كَيْـفَ تَقْـرأ إذَا افْتَتَـحْتَ الصّلاةَ؟» قال: فقرأ فـاتـحة الكتاب. قال: «هِيَ هِيَ, وَهِـيَ السّـبْعُ الـمَثانِـي الّتِـي قالَ اللّهُ تَعالـى: وَلَقَدْ آتَــيْناكَ سَـبْعا مِـنَ الـمَثانِــي والقُـرآنَ العَظِيـمَ الّذِي أُوتِـيتُ».

16137ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا الـمحاربـيّ, عن إبراهيـم بن الفضل الـمدنـيّ, عن سعيد الـمقبري, عن أبـي هريرة: أن رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم قال: «الرّكْعَتانِ اللّتان لا يُقْرأ فِـيهِما كالـخِدَاجِ لَــمْ يَتِــمّا». قـال رجل: أرأيت إن لـم يكـن معـي إلاّ أمّ القـرآن؟ قـال: «هـي حسـبك هِـيَ أُمّ القُرآنِ, هِيَ السّبْعُ الـمَثانِـي».

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن نــمير, عـن إبراهيــم بـن الفضـل, عـن الـمقبري, عن أبـي هريرة, قال: قال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: «الرّكْعةُ الّتِـي لا يُقْرأ فِـيها كالـخِدَاجِ» قلت لأبـي هريرة: فإن لـم يكن معـي إلاّ أُمّ القـرآن؟ قـال: هـي حسـبك, هـي أمّ الكتـاب, وأمّ القـرآن, والسـبع الـمثانـي.

16138ـ حدثنـي أبو كريب, قال: حدثنا خالد بن مخــلد, عـن مــحمد بـن جعفر, عن العلاء بن عبد الرحمن, عن أبــيه, عـن أبــي هريـرة, قـال: قـال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وَالّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ, ما أنْـزَلَ اللّـهُ فِــي التّوْرَاةِ وَلا فِـي الإنْجِيـلِ وَلا فِـي الزّبُورِ وَلا فِــي الفُرْقـانِ مِثْلَهـا» يعنــي أمّ القرآن «وإنّها لَهِيَ السّبْعُ الـمَثانِـي الّتِـي آتانِـي اللّهُ تَعالـى».

حدثنـي يونس بن عبد الأعلـى, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرنـي ابن أبـي ذئب, عن سعيد الـمقبري, عن أبـي هريرة, عن رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم, قـال: «هِـيَ أُمّ القُـرآنِ, وهِـي فـاتــحَةُ الكِتـابِ, وهِـي السّـبْعُ الـمَثانـي».

حدثنا الـحسن بن مـحمد, قال: حدثنا يزيد بن هارون وشبـابة, قالا: أخبرنا ابن أبـي ذئب, عن الـمقبريّ, عن أبـي هريرة, عـن النبــيّ صـلى اللـه عليـه

وسلم في فاتحة الكتاب قال: «هِي فاتِحَةُ الكِتابِ وهِي السّبْعُ المَثانِي والقُرآنُ العَظِيمُ».

حدثنا الحسن بن محمد, قال: حدثنا عفان, قال: حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم, قال: حدثنا العلاء, عن أبيه, عن أبي هريرة, قال: مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبيّ بن كعب فقال: «أتُحِبّ أنْ أُعَلّمَكَ سُورةً لَمْ يَنْزِلْ في التّوْراةِ ولا في الإنْجِيلِ ولا في الزّبُورِ ولا في الفُرْقانِ مِثْلُها؟» قلت: نعم يا رسول الله, قال: «فَكَيْف تَقْرأ في الصّلاةِ؟» فقرأت عليه أمّ الكتاب, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ما أُنْزِلَتْ سُورةٌ فِي التّوْرَاةِ وَلا فِي الإنْجِيلِ وَلا فِي الزّبُورِ وَلا فِي الفُرْقانِ مِثْلُها, وإنّها السّبْعُ المَثانِي والقُرآنُ العَظِيمُ».

16139ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا وهب بن جرير, قال: حدثنا سعيد بن حبيب, عن حفص بن عاصم, عن أبي سعيد بن المعلى, أن النبيّ صلى الله عليه وسلم دعاه وهو يصلي, فصلى, ثم أتاه فقال: «ما مَنَعَكَ أنْ تُجِيبَنِي؟» قال: إني كنت أصلي, قال: «ألَمْ يَقُلِ اللّهُ: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلّهِ وللرّسُولِ إذَا دَعاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ؟» قال: ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لأعَلّمَنّكَ أعْظَمَ سُورَةٍ فِي القُرآنِ» فكأنه بينها أو نسي. فقلت: يا رسول الله الذي قلت؟ قال: «الحَمْدُ لِلّهِ رَبّ العالَمِينَ هِيَ السّبْعُ المَثانِي والقرآنُ العَظِيمُ الّذِي أُوتِيتُهُ».

فإذ كان الصحيح من التأويل في ذلك ما قلنا للذي به استشهدنا, فالواجب أن تكون المثاني مرادا بها القرآن كله, فيكون معنى الكلام: ولقد آتيناك سبع آيات مما يَثْنِي بعض آيه بعضا. وإذا كان ذلك كذلك كانت المثاني: جمع مَثْناة, وتكون آي القرآن موصوفة بذلك, لأن بعضها يَثْنِي بعضا وبعضها يتلو بعضا بفصول تفصل بينها, فيعرف انقضاء الآية وابتداء التي تليها كما وصفها به تعالى ذكره فقال: اللّهُ نَزّلَ أحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَابا مُتَشابِها مَثانِيَ تَقْشَعِرّ مِنْهُ جُلُودُ الّذِينَ يَخْشَوْن رَبّهُمْ. وقد يجوز أن يكون معناها كما قال ابن عباس والضحاك ومن قال ذلك إن القرآن إنما قيل له مَثَانى لأن القصص والأخبار كرّرت فيه مرّة بعد أخرى. وقد ذكرنا قول الحسن البصريّ أنها إنما سميت مَثانى لأنها تُثْنَى في كلّ قراءة, وقول ابن عباس إنها إنما سميت مثانى, لأن الله تعالى ذكره استثناها لمحمد صلى الله عليه وسلم دون سائر الأنبياء غيره فادّخرها له.

وكان بعض أهل العربية يزعم أنها سمت مَثَانِيَ لأن فيها الرحمن الرحيم مرّتين, وأنها تُثْنَى في كلّ سورة, يعني: بسم الله الرحمن الرحيم.

وأما القول الذي اخترناه في تأويل ذلك, فهو أحد أقوال ابن عباس, وهو قول طاوس ومجاهد وأبي مالك, وقد ذكرنا ذلك قبل.

وأما قوله: والقُرآنَ العَظِيمَ فإن القرآن معطوف على السبع, بمعنى: ولقد آتيناك سبع آيات من القرآن وغير ذلك من سائر القرآن. كما:

16140ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: والقُرآنَ العَظِيمَ قال: سائره: يعني سائر القرآن مع السبع من المثاني.

16141ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: والقُرآنَ العَظِيمَ يعني: الكتاب كله.

الآية : 88

القول في تأويل قوله تعالى {لاَ تَمُدّنّ عَيْنَيْكَ إِلَىَ مَا مَتّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مّنْهُمْ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: لا تتمنينّ يا محمد ما جعلنا من زينة هذه الدنيا متاعا للأغنياء من قومك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاَخر, يتمتعون فيها, فإن مِنْ ورائهم عذابا غليظا. وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ يقول: ولا تحزن على ما مُتّعوا به فعجّل لهم, فإن لك في الاَخرة ما هو خير منه, مع الذي قد عَجّلنا لك في الدنيا من الكرامة بإعطائنا السبع المثاني والقرآن العظيم يقال منه: مَدّ فلانٌ عينه إلى مال فلان: إذا اشتهاه وتمناه وأراده.

وذُكر عن ابن عيينة أنه كان يتأوّل هذه الآية قولَ النبيّ صلى الله عليه وسلم: «لَيْسَ مِنّا مَنْ لَمْ يَتَغَنّ بالقُرآنِ»: أي من لم يستغن به, ويقول: ألا تَرَاهُ يَقُولُ: وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعا مِنَ المَثانِي والقُرآنَ العَظِيمَ لا تَمُدّنّ عَيْنَيْكَ إلى ما مَتّعْنا بِهِ أزْوَاجا مِنْهُمْ؟ فأمره بالاستغناء بالقرآن عن المال. قال: ومنه قول الاَخر: من أوتي القرآن فرأى أن أحدا أعطي أفضل مما أعطي فقد عظّم صغيرا وصغّر عظيما.

وبنحو الذي قلنا في قوله: أزْوَاجا قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16142ـ حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال حدثنا ورقاء وحدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: لا تَمُدّنّ عَيْنَيْكَ إلى ما مَتّعْنا بِهِ أزْوَاجا مِنْهُمْ: الأغنياء, الأمثال, الأشباه.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

16143ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس قوله: لا تَمُدّنّ عَيْنَيْكَ إلى ما مَتّعْنا بِهِ أزْوَاجا مِنْهُمْ قال: نُهِيَ الرجل أن يتمنى مال صاحبه.

وقوله: وَاخْفِضْ جَناحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وألِن لمن أمن بك واتبعك واتبع كلامك, وقرّبهم منك, ولا تَجْفُ بهم, ولا تَغْلُظ عليهم. يأمره تعالى ذكره بالرفق بالمؤمنين. والجناحان من بني آدم: جنباه, والجناحان: الناحيتان, ومنه قول الله تعالى ذكره: وَاضْمُمْ يَدَكَ إلى جَنَاحِكَ قيل: معناه: إلى ناحيتك وجنبك.

الآية : 89-91

القول في تأويل قوله تعالى {وَقُلْ إِنّيَ أَنَا النّذِيرُ الْمُبِينُ * كَمَآ أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ * الّذِينَ جَعَلُواْ الْقُرْآنَ عِضِينَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وقل يا محمد للمشركين إني أنا النذير الذي قد أبان إنذاره لكم من البلاء والعقاب أن ينزل بكم من الله على تماديكم في غيكم كما أَنْزَلْنَا على المُقْتَسِمِينَ يقول: مثل الذي أنزل الله تعالى من البلاء والعقاب على الذين اقتسموا القرآن, فجعلوه عِضِين.

ثم اختلف أهل التأويل في الذين عُنُوا بقوله: المُقْتَسِمِينَ, فقال بعضهم: عني به. اليهود والنصارى, وقال: كان اقتسامهم أنهم اقتسموا القرآن وعضّوه, فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه. ذكر من قال ذلك:

16144ـ حدثني عيسى بن عثمان الرملي, قال: حدثنا يحيى بن عيسى, عن الأعمش, عن أبي ظَبْيان, عن ابن عباس, في قوله الله: كمَا أَنْزَلْنا على الـمُقْتَسِمِينَ الّذِينَ جَعَلُوا القُرآنَ عِضِينَ قال: هم اليهود والنصارى, آمنوا ببعض وكفروا ببعض.

حدثنا أبو كريب ويعقوب بن إبراهيم, قالا: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا أبو بشر, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, في قوله: كمَا أَنْزَلْنا على الـمُقْتَسِمِينَ الّذِينَ جَعَلُوا القُرآنَ عِضِينَ قال: هم أهل الكتاب, جزّءوه فجعلوه أعضاء أعضاء, فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه.

حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا مؤمل, قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش, عن أبي ظبيان, عن ابن عباس, في قوله: كمَا أَنْزَلْنا على الـمُقْتَسِمِينَ الّذِينَ جَعَلُوا القُرآنَ عِضِينَ قال: الذين آمنوا ببعض, وكفروا ببعض.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن شعبة, عن سليمان, عن أبي ظبيان, عن ابن عباس, قال: الـمُقْتَسِمِينَ أهل الكتاب. الّذِينَ جَعَلُوا القُرآنَ عِضِينَ قال: يؤمنون ببعض, ويكفرون ببعض.

16145ـ حدثني مطر بن محمد الضّبّيّ, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا شعبة, قال: حدثنا أبو بشر, عن سعيد بن جبير, أنه قال في قوله: كمَا أَنْزَلْنا على الـمُقْتَسِمِينَ قال: هم أهل الكتاب.

16146ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبي بشر, عن سعيد بن جبير أنه قال في هذه الآية: كمَا أَنْزَلْنا على الـمُقْتَسِمِينَ الّذِينَ جَعَلُوا القُرآنَ عِضِينَ قال: هم أهل الكتاب, آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه.

حدثني المثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا أبو بشر, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, في قوله: الّذِينَ جَعَلُوا القُرآنَ عِضِينَ قال: هم أهل الكتاب جزّءوه فجعلوه أعضاء, فأمنوا ببعضه وكفروا ببعضه.

16147ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيم, عن جويبر, عن الضحاك, عن ابن عباس, قال: جزّءوه فجعلوه أعضاء كأعضاء الجزور.

16148ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيم, عن منصور, عن الحسن, قال: هم أهل الكتاب.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: كمَا أَنْزَلْنا على الـمُقْتَسِمِينَ قال: هم اليهود والنصارى من أهل الكتاب, قسموا الكتاب فجعلوه أعضاء, يقول: أحزابا, فآمنوا ببعض وكفروا ببعض.

16149ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عباس: الـمُقْتَسِمِينَ آمنوا ببعض, وكفروا ببعض, وفرقوا الكتاب.

وقال آخرون: الـمُقْتَسِمِينَ أهل الكتاب, ولكنهم سموا المقتسمين, لأن بعضهم قال استهزاء بالقرآن: هذه السورة لي, وقال بعضهم: هذه لي. ذكر من قال ذلك:

16150ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن سماك, عن عكرمة أنه قال في هذه الآية: الَّذِينَ جَعَلُوا القُرآنَ عِضِينَ قال: كانوا يستهزءون, يقول هذا: لي سورة البقرة, ويقول هذا: لي سورة آل عمران.

وقال آخرون: هم أهل الكتاب, ولكنهم قيل لهم: المقتسمون لاقتسامهم كتبهم وتفريقهم ذلك بإيمان بعضهم ببعضها وكفره ببعض, وكفر آخرين بما آمن به غيرهم وإيمانهم بما كفر به الآخرون. ذكر من قال ذلك:

16151ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن عبد الملك, عن قيس, عن مجاهد: كمَا أنْزَلْنا على المُقْتَسِمِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا القُرآنَ عِضِينَ قال: هم اليهود والنصارى, قسموا كتابهم ففرّقوه وجعلوه أعضاء.

16152ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: ثني الحسن قال: حدثنا ورقاء وحدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حُذيفة, قال: حدثنا شبل جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: كمَا أنْزَلْنا على المُقْتَسِمِينَ قال: أهل الكتاب فرقوه وبدّلوه.

16153ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد: كمَا أنْزَلْنا على المُقْتَسِمِينَ قال: أهل الكتاب.

وقال آخرون: عُنِي بذلك رهط من كفار قريش بأعيانهم.

16154ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: كمَا أنْزَلْنا عَلَى المُقْتَسِمِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا القُرآنَ عِضِينَ رهط خمسة من قريش, عَضّهُوا كتاب الله.

وقال آخرون: عُنِيَ بذلك رهط من قوم صالح الذين تقاسموا على تبييت صالح وأهله. ذكر من قال ذلك:

16155ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: كمَا أنْزَلْنا على المُقْتَسِمِينَ قال: الذين تقاسموا بصالح. وقرأ قول الله تعالى: وكانَ فِي المَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ قال: تقاسموا بالله حتى بلغ الآية.

وقال بعضهم: هم قوم اقتسموا طرق مكة أيام قدوم الحاجّ عليهم, كان أهلها بعثوهم في عقابها, وتقدموا إلى بعضهم أن يشيع في الناحية التي توجه إليها لمن سأله عن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم من القادمين عليهم, أن يقول: هو مجنون, وإلى آخر: إنه شاعر, وإلى بعضهم: إنه ساحر.

والصواب من
القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يُعلم قومه الذين عضّوا القرآن ففرقوه, أنه نذير لهم من سخط الله تعالى وعقوبته أن يَحُلّ بهم على كفرهم ربهم وتكذيبهم نبيهم ما حلّ بالمقتسمين من قبلهم ومنهم. وجائز أن يكون عني بالمقتسمين: أهل الكتابين التوراة والإنجيل, لأنهم اقتسموا كتاب الله, فأقرّت اليهود ببعض التوراة وكذبت ببعضها وكذبت بالإنجيل والفرقان, وأقرّت النصارى ببعض الإنجيل وكذّبت ببعضه وبالفرقان. وجائز أن يكون عُنِي بذلك: المشركون من قريش, لأنهم اقتسموا القرآن, فسماه بعضهم شعرا وبعض كهانة وبعض أساطير الأوّلين. وجائز أن يكون عُنِي به الفريقان. وممكن أن يكون عُنِيَ به المقتسمون على صالح من قومه.

فإذ لم يكن في التنزيل دلالة على أنه عُني به أحد الفرق الثلاثة دون الآخرين, ولا في خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم, ولا في فطرة عقل, وكان ظاهر الآية محتملاً ما وصفت, وجب أن يكون مقتضيًا بأن كلّ من اقتسم كتابا لله بتكذيب بعض وتصديق بعض, واقتسم على معصية الله ممن حلّ به عاجل نقمة الله في الدار الدنيا قبل نزول هذه الآية, فداخل في ذلك لأنهم لأشكالهم من أهل الكفر بالله كانوا عبرة وللمتعظين بهم منهم عظَة.

واختلفت أهل التأويل في معنى قوله: الّذِينَ جَعَلُوا القُرآنَ عِضِينَ فقال بعضهم: معناه: الذين جعلوا القرآن فِرَقا مفترقة. ذكر من قال ذلك:

16156ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: الّذِينَ جَعَلُوا القُرآنَ عِضِينَ قال: فرقا.

16157ـ حدثنا أبو كريب ويعقوب بن إبراهيم, قالا: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا أبو بشر, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, قال: جزّءوه فجعلوه أعضاء, فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه.

حدثني المثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيم, عن جويبر, عن الضحاك, عن ابن عباس, قال: جزّءوه فجعلوه أعضاء كأعضاء الجزور.

16158ـ حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا طلحة, عن عطاء: الّذِينَ جَعَلُوا القُرآنِ عِضِينَ قال: المشركون من قريش, عَضّوُا القرآن فجعلوه أجزاء, فقال بعضهم: ساحر, وقال بعضهم: شاعر, وقال بعضهم: مجنون فذلك العِضُون.

16159ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول: في قوله: جَعَلُوا القُرآنَ عَضِينَ: جعلوا كتابهم أعضاء كأعضاء الجزور, وذلك أنهم تقطعوه زبرا, كل حزب بما لديهم فرحون, وهو قوله: فَرّقُوا دِينَهُمْ وكانُوا شِيَعا.

16160ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: الّذِينَ جَعَلُوا القُرآنَ عِضِينَ عضهوا كتاب الله زعم بعضهم أنه سِحْر, وزعم بعضهم أنه شِعْر, وزعم بعضهم أنه كاهن قال أبو جعفر: هكذا قال كاهن, وإنما هو كهانة وزعم بعضهم أنه أساطير الأوّلين.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن الأعمش, عن أبي ظبيان, عن ابن عباس: الّذِينَ جَعَلُوا الْقُرآنَ عِضِينَ قال: آمنوا ببعض, وكفروا ببعض.

16161ـ حدثني يونس, قال: أخبرني ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: الّذِينَ جَعَلُوا القُرآنَ عِضِينَ قال: جعلوه أعضاء كما تُعَضّى الشاة. قال بعضهم: كهَانة, وقال بعضهم: هو سحر, وقال بعضهم: شعر, وقال بعضهم أساطِيرُ الأوّلِينَ اكْتَتَبَها... الآية. جعلوه أعضاء كما تُعَضّى الشاة.

فوجه قائلو هذه المقالة قوله: عِضِينَ إلى أن واحدها: عُضْو, وأن عِضِينَ جمعه, وأنه مأخوذ من قولهم عَضّيت الشيء تعضية: إذا فرقته, كما قال رُؤْبة:

(وليس دينُ اللّهِ بالمُعَضّى)

يعني بالمفرّق. وكما قال الآخر:

وعَضّى بَنِي عَوْفٍ فأمّا عَدُوّهُمْفأرْضَى وأمّا الْعِزّ منهُمُ فغَيّرَا

يعني بقوله: «وعَضّى»: سَبّاهُمْ, وقَطّعاهُمْ بألسنتهما.

وقال آخرون: بل هي جمع عِضَة, جمعت عِضِين كما جمعت البُـرَة بُرِيـن, والعِزة عِزِين. فإذَا وُجّـه ذلـك إلـى هـذا التأويــل كـان أصـل الكلام عِضَـهَة, ذهبت هاؤها الأصلية, كما نقصوا الهاء من الشّفَة وأصلها شَفَهَة, ومن الشاة وأصلها شاهة. يدلّ على أن ذلك الأصل تصغيرهم الشفة: شُفَـيْهة, والشاة: شُوَيْهة, فـيردّون الهاءَ التـي تسقط فـي غير حال التصـغير إلــيها فــي حـال التصغير, يقال منه: عَضَهْتُ الرجل أعضَهُه عَضْـها: إذا بَهَتّـه وقـذفته ببُهتـان. وكأن تأويـل من تأويـل ذلك كذلك: الذين عَضَهوا القرآن, فقالوا: هـو سـحْر, أو هو شعر, نـحو القول الذي ذكرناه عن قتادة.

وقد قال جماعة من أهل التأويـل: إنه إنـما عَنَى بـالعَضْه فـي هذا الـموضع, نسبتهم إياه إلـى أنـه سِـحْر خاصـة دون غيـره م ن معانــي الـذمّ, كم ا ق ال الشاعر:

للـماءِ مِنْ عِضَاتهنّ زَمْزَمهْ

يعنـي: من سِحْرهنّ. ذكر من قال ذلك:

16162ـ حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمـد, قـال: حـدثنا ابـن عيـينة, عن عمرو, عن عكرمة: الّذِينَ جَعَلُوا القُرآنَ عِضِينَ قال: سحرا.

16163ـ حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مــحمد بـن ثـور, عـن معمر, عن قتادة: عِضِينَ قال: عَضَهوه وبَهَتُوه.

16164ـ حدثنا ابن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قتـادة, قـال: كـان عكرمـة يقـول: العَضْـه: السـحر بلسـان قريـش, تقـول للساحرة: إنها العاضهة.

16165ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, ق ال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقاء وحدثنـي الـمثنى, قال: حـدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل وحدثنــي الــمثنى, قـال: حـدثنا إسـحاق, قـال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبـي نــجيح, ع ن مــجاهد, قـوله: جَعَلُـوا القُرآنَ عِضِينَ قال: سِحْرا أعضاء الكتب كلها وقريش, فرقوا القـرآن قـالوا: هو سحر.

والصواب من القول فـي ذلك أن يقال: إن الله تعالـى ذكره أمر نبـيه صلى الله عليه وسلم أن يُعْلِـم قوما عَضَهُوا القرآن أنه لهم نذير من عقوبـة تنــزل بهم بِعْضِهِمْ إياه مثل ما أنزل بـالـمقتسمين, وكان عَضْهُهُم إيـاه: قـذفهموه بـالبـاطل, وقـيـلهم إنه شعر وسحر, وما أشبه ذلك.

وإنـما قلنا إن ذلك أولـى التأويلات به لدلالة ما قبله من ابتداء السورة وما بعده, وذلك قوله: إنّا كَفَـيْناكَ الـمُسْتَهْزِئِينَ على صـحة مـا قلنـا, وإنـه إنــما عُنِـيَ بقوله: الّذِينَ جَعَلُوا القُرآنَ عِضِينَ مشركي قومه. وإذ كان ذلك كذلك, فمعلوم أنه لـم يكن فـي مشـركي قـومه مـن يـؤمن ببعـض القـرآن ويكفـر ببعض, بل إنـما كان قومه فـي أمره علـى أحد معنـيين: إما مؤمن بجميعـه, وإما كافر بجميعه. وإذ كان ذلـك كـذلك, فــالصحيح مـن القـول فــي معنـى قوله: الّذِينَ جَعَلُوا القُرآنَ عِضِينَ قـول الـذين زعمـوا أنهـم عَضَـهوه, فقـال بعضهم: هو سحر, وقال بعضهم: هو شـعر, وقـال بعضـهم: هـو كهانـة وأمـا أشبه ذلك من القول, أو عَضّوْه ففرقـوه, بنــحو ذلـك م ن القـول. وإذا ك ان ذلك معناه احتـمل قوله «عِضِين», أن يكون جمع: عِضة, واحتـمل أن يكـون جمع عُضْو, لأن معنى التعضية: التفريق, كما تُعَضى الـجَزُررِ والشاة, فتفرق

أعضاء. والعَضْه: البَهْت ورميه بالباطل من القول فهما متقاربان في المعنى.

الآية : 92-94

القول في تأويل قوله تعالى {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ * فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فوربك يا محمد لنسألنّ هؤلاء الذين جعلوا القرآن في الدنيا عضين في الآخرة عما كانوا يعملون في الدنيا, فيما أمرناهم به وفيما بعثناك به إليهم من آي كتابي الذي أنزلته إليهم وفيما دعوناهم إليه من الإقرار به ومن توحيدي والبراءة من الأنداد والأوثان.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16166ـ حدثنا أبو كريب وأبو السائب, قالا: حدثنا ابن إدريس, قال: سمعت ليثا, عن بشير, عن أنس, في قوله: فَوَرَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أجمَعِينَ قال: عن شهادة أن لا إله إلاّ الله.

16167ـ حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا شريك, عن ليث, عن بشير بن نهيك, عن أنس, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم: فَوَرَبّكَ لَنَسْئَلَنّهُمْ أجمَعِينَ قال: «عَنْ لا إله إلاّ الله».

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن ليث, عن بشير, عن أنس, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم نحوه.

16168ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا الثوري, عن ليث, عن مجاهد, في قولفَوَرَبّكَ لَنَسْئَلَنّهُمْ أجمَعِينَ عَمّا كانُوا يَعْمَلُونَ قال: عن لا إله إلاّ الله.

16169ـ حدثنا أحمد, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا شريك, عن هلال, عن عبد الله بن عُكَيْم, قال: قال عبد الله: والذي لا إله غيره, ما منكم أحد إلاّ سيخلو الله به يوم القيامة كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر, فيقول: ابن آدم ماذا غرّك مني بي ابن آدم؟ ماذا عملت فيما علمت ابن آدم؟ ماذا أجبت المرسلين؟

16170ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي جعفر, عن الربيع, عن أبي العالية: فَوَرَبّكَ لَنَسْئَلَنّهُمْ أجمَعِينَ عَمّا كانُوا يَعْمَلُونَ قال: يُسأل العباد كلهم عن خَلّتين يوم القيامة: عما كانوا يعبدون, وعما أجابوا المرسلين.

16171ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا الحسين الجعفي, عن فضيل بن مرزوق, عن عطية العوفي عن ابن عمر: لَنَسْئَلَنّهُمْ أجمَعِينَ عَمّا كانُوا يَعْمَلُونَ قال: عن لا إله إلاّ الله.

16172ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس قوله: فَوَرَبّكَ لَنَسْئَلَنّهُمْ أجمَعِينَ عَمّا كانُوا يَعْمَلُونَ. ثم قال: فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إنْسٌ وَلا جانّ قال: لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا؟ لأنه أعلم بذلك منهم, ولكن يقول لهم: لِمَ عملتم كذا وكذا؟

16173ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يونس بن بكير, عن محمد بن إسحاق, عن محمد بن أبي محمد, مولى زيد بن ثابت, عن سعيد بن جبير أو عكرمة, عن ابن عباس, قال: أنزل الله تعالى ذكره: فاصْدَعْ بِمَا

تُؤْمَرُ فإنه أمر من الله تعالى ذكره نبيه صلى الله عليه وسلم بتبليغ رسالته قومه وجميع من أرسل إليه.

ويعني بقوله: فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ: فأمض وافرُق, كما قال أبو ذُؤَيب:

وكأنّهُنّ رِبابَةٌ وكأنّهُيَسَرٌ يُفيضُ على القِداح ويَصْدَعُ

يعني بقوله: «يَصْدَع» يُفَرّق بالقداح.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16174ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ يقول: فامْضِهْ.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ يقول: افعل ما تؤمر.

16175ـ حدثني الحسين بن يزيد الطحان, قال: حدثنا ابن إدريس, عن ليث, عن مجاهد, في قوله: فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ قال: بالقرآن.

حدثني نصر بن عبد الرحمن الأَوْديّ, قال: حدثنا يحيى بن إبراهيم, عن سفيان, عن ليث, عن مجاهد: فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ قال: هو القرآن.

حدثني أبو السائب, قال: حدثنا ابن فضيل, عن ليث, عن مجاهد, في قوله: فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ قال: بالقرآن.

حدثني أبو السائب, قال: حدثنا ابن فضيل, عن ليث, عن مجاهد, في قوله: فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ قال: الجهر بالقرآن في الصلاة.

حدثنا أحمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا شريك, عن ليث, عن مجاهد: فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ قال: بالقرآن في الصلاة.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء وحدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ قال: اجهر بالقرآن في الصلاة.

16176ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا أبو أسامة, قال: حدثنا موسى بن عبيدة, عن أخيه عبد الله بن عبيدة قال: ما زال النبيّ صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزلت: فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَر وأعْرِضْ عَنِ المُشْرِكِينَ فخرج هو وأصحابه.

16177ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ قال: بالقرآن الذي يوحى إليه أن يبلغهم إياه.

وقال تعالى ذكره: فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ولم يقل: بما تؤمر به, والأمر يقتضي الباء لأن معنى الكلام: فاصدع بأمرنا, فقد أمرناك أن تدعو إلى ما بعثناك به من الدين خَلقي وأذنّا لك في إظهاره.

ومعنى «ما» التي في قوله بِمَا تُؤْمَرُ معنى المصدر, كما قال تعالى ذكره يا أيَتِ افْعَلْ ما تُؤْمَرُ معناه: افعل الأمر الذي تؤمر به. وكان بعض نحويّي أهل الكوفة يقول في ذلك: حذفت الباء التي يوصل بها تؤمر من قوله: فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ على لغة الذين يقولون: أمرتك أمرا. وكان يقول: للعرب في ذلك لغتان: إحداهما أمرتك أمرا, والأخرى أمرتك بأمر, فكان يقول: إدخال الباء في ذلك وإسقاطها سواء. واستشهد لقولك ذلك بقول حصين بن المنذر الرقاشي ليزيد بن المهلّب:

أَمَرْتُكَ أمْرا جازِما فَعَصَيْتَنِيفأصْبَحْتَ مَسلُوبَ الإمارَةِ نادِما

فقال: أمرتك أمرا, ولـم يقل: أمرتك بأمر, وذلك كما قال تعالـى ذكـره: ألا إنّ عادا كَفَرُوا رَبّهُمْ.

ولـم يقل: بربهم, وكما قالوا: مددت الزمام, ومددت بـالزمام, وما أشـبه ذلك من الكلام.

وأما قوله: وأعْرِضْ عَنِ الـمُشْرِكِينَ ويقول تعالـى ذكره لنبـيه صـلى اللـه عليه وسلم: بلغ قومك ما أرسلتَ به, واكفف عـن حـرب الـمشركين بـالله وقتالهم. وذلك قـيـل أن يفرض علـيه جهادهم, ثم نَسَخَ ذلك بقـوله: فَـاقْتُلُو الـمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُـمُوهُمْ, كما:

16178ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: وأعْـرِضْ عَـنِ الـمُشْرِكِينَ وهـو من الـمنسوخ.

16179ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا سويد, قال: اخبرنا ابـن الـمبـارك, عن جويبر, عن الضحاك, فـي قـوله: وأعْـرِضْ عَـنِ الـمُشْرِكِينَ قُـلْ للّـذِينَ آمَنُوا يَغْفروا للّذِينَ لا يَرْجُونَ أيّامَ اللّهِ وهذا النـحو كلّه فـي القـرآن أمـر اللـه تعالـى ذكره نبـيه صلى الله عليه وسلم أن يكون ذلك منه, ثم أمره بـالقتال, فنَسَخَ ذلك كله, فقال: خُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ... الآية.

الآية : 95-96

القول فـي تأويـل قوله تعالـى {إنّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْـتَهْزِئِينَ * الّـذِينَ يَجْعَلُـونَ مَعَ اللّهِ إلَـهاً آخَرَ فَسَوْفَ يَعْمَلُونَ }.

يقول تعالـى ذكره لنبـيه مـحمد صـلى اللـه عليـه وسـلم: إنـا كفـيناك الـمستهزئين يا مـحمد, الذين يستهزئون بك ويسخرون منك, فـاصدع بـأمر الله, ولا تَـخَفْ شيئا سـوى اللـه, فـإن اللـه كافـيك مـن ناصـبك وآذاك كمـا كفـاك الـمستهزئين. وكان رؤساء الـمستهزئين قوما من قريش معروفـين. ذكر أسمائهم:

16180ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, قـال: ثنـي مـحمد,, قـال: كان عظماء الـمستهزئين كما حدثنـي يزيد بن رومان عن عُـروة بـن الزّبـير خمسة نَفَر من قومِه, وكانوا ذوي أسنان وشرف فـي قومهم من بنـي أسـد بن عبد العُزّي بن قُصَيّ: الأسود بن الـمطلب أبو زَمْعـة, وكـان رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم فـيما بلغني قد دعـا علـيه لـما كـان يبلغـه مـن أذاه واستهزائه, فقال: «اللهـمّ أعـم بصـره, وأثْكِلْـهُ وَلَـدَهُ». ومـن بنـي زهـرة: الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زُهـرة. ومـن بنـي مخـزوم: الوليدُ بن الـمغيرة بن عبد الله بن مخزوم. ومن بنـي سـهم بـن عمـرو بـن هُصَيص بن كعب بن لؤيّ: العاص بن وائل بن هشام بن سـعيد بـن سـعد بـن سَهْم. ومن خُزاعة: الـحارث بن الطّلاطلة بن عمرو بن الـحارث بـن عمـرو بن مَلْكان. فلـما تـمادَوْا فـي الشـرّ وأكـثروا برسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم الاستهزاء, أنزل الله تعالـى ذكره: فـاصْدَعْ بِـمَا تُـؤْمَرُ وأعْـرِضْ عَـنِ الـمُشْرِكِينَ إنّا كَفَـيْناكَ الـمُسْتَهْزِئِينَ... إلـى قـوله: فَسَـوْفَ يَعْلَـمُونَ. قـالَ مـحمد بن إسحاق: فحدثنـي يزيد بن رومان, عن عُروة بـن الزبـير أو غيـره من العلـماء: أن جبرئيـل أتـى رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم وهـم يطوفون بـالبـيت فقام وقام رسول الله صلى الله عليـه وسـلم إلـى جنبـه, فمرّ به الأسود بن الـمطلب, فرمى فـي وجهه بورقة خضـراء, فعَمِـي. ومـرّ به الأسود بن عبد يغوث, فأشار إلـى بطنـه فـاسْتَسْقَـى بطنـه فمـات منـه

حبنا. ومرّ به الوليد بن المُغيرة, فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعب رجله كان أصابه قبل ذلك بسنتين, وهو يجرّ سَبَلَهُ, يعني إزاره وذلك أنه مرّ برجل من خزاعة يَريش نبلاً له, فتعلق سهم من نبله بإزاره فخدش رجله ذلك الخدش وليس بشيء, فانتقَضَ به فقتله. ومرّ به العاص بن وائل السّهمِيّ, فأشار إلى أخمص رجله, فخرج على حمار له يريد الطائف فوُقِصَ على شِبْرِقة, فدخل في أخمص رجله منها شوكة, فقتلته قال أبو جعفر: الشّبرقة: المعروف بالحَسَك, منه حَبَنا, والحَبَن: الماء الأصفر ومرّ به الحارث بن الطّلاطلة, فأشار إلى رأسه, فامتخض قيحا فقتله.

16181ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن محمد بن أبي محمد القرشيّ, عن رجل, عن ابن عباس, قال: كان رأسهم الوليد بن المُغيرة, وهو الذي جمعهم.

16182ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن مغيرة, عن زياد, عن سعيد بن جبير, في قوله: إنّا كَفَيْناكَ المُسْتَهْزِئِينَ قال: كان المستهزؤون: الوليد بن المغيرة, والعاص بن وائل, وأبو زمعة والأسود بن عبد يغوث, والحارث بن عيطلة. فأتاه جبرئيل, فأومأ بأصبعه إلى رأس الوليد, فقال: «ما صَنَعْتَ شيئا», قال: كُفِيت. وأومأ بيده إلى أخمص العاص, فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «ما صَنَعْتَ شَيْئا». فقال: كُفِيت. وأومأ بيده إلى عين أبي زمعة, فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: ما صَنَعْتَ شَيْئا, قال: كُفِيت.وأومأ بأصبعه إلى رأس الأسود, فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «دَعْ لي خالي» فقال: كُفِيت. وأومأ بأصبعه إلى بطن الحارث, فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «ما صَنَعْتَ شَيْئا» فقال كُفِيت. قال: فمرّ الوليد على قين لخزاعة وهو يجرّ ثيابه, فتعلقت بثوبه بروة أو شررة, وبين يديه نساء, فجعل يستحي أن يطأ من ينتزعها, وجعلت تضرب ساقه فخدشته, فلم يزل مريضا حتى مات. وركب العاص بن وائل بغلة له بيضاء إلى حاجة له بأسفل مكة, فذهب ينزل, فوضع أخمص قدمه على شبرقة فحكت رجله, فلم يزل يحكها حتى مات. وعمي أبو زمعة وأخذت الأكلة في رأس الأسود وأخذ الحارث الماء في بطنه.

16183ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, عن أبي بشر, عن سعيد بن جبير, في قوله: إنّا كَفَيْناكَ المُسْتَهْزِئِينَ قال: هم خمسة رهط من قريش: الوليدُ بن المغيرة, والعاصُ بن وائل, وأبو زمعة, والحارث بن عيطلة, والأسود بن قيس.

حدثني المثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيم, عن أبي بشر, عن سعيد بن جبير, في قوله: إنّا كَفَيْناكَ المُسْتَهْزِئِينَ قال: الوليد بن المغيرة, والعاص بن وائل السّهْمِيّ, والأسود بن عبد يغوث, والأسود بن المطلب, والحارث بن عيطلة.

16184ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا ابن عيينة, عن عمرو بن دينار, عن عكرمة, في قوله: إنّا كَفَيْناكَ المُسْتَهْزِئِينَ قال: هم خمسة كلهم هلك قبل بَدْر: العاص بن وائل, والوليد بن المغيرة, وأبو زمعة بن عبد الأسود, والحارث بن قيس, والأسود بن عبد يغوث.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن عيينة عن عمرو, عن عكرمة: إنّا كَفَيْناكَ الـمُسْتَهْزِئِينَ قال: الوليد بن المغيرة, والعاص بن وائل, والأسود بن عبد يغوث, والحارث بن عيطلة.

16185ـ حدثنا المثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيم, عن أبي بكر الهذلي, قال: قلت للزّهريّ: إن سعيد بن جبير وعكرمة اختلفا في رجل من المستهزئين, فقال سعيد: هو الحارث بن عيطلة, وقال عكرمة: هو الحارث بن قيس؟ فقال: صدقا, كانت أمه تسمى عيطلة وأبوه قيس.

16186ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيم, عن حصين, عن الشعبيّ, قال: المستهزئين سبعة. وسَمّى منهم أربعة.

16187ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن إسرائيل, عن جابر, عن عامر: إنّا كَفَيْناكَ الـمُسْتَهْزِئِينَ قال: كانوا من قريش خمسة نفر: العاص بن وائل السهمي, كُفِي بصُداع أخذه في رأسه, فسال دماغه حتى كان يتكلم من أنفه. والوليد بن المغيرة المخزومي, كفي برجل من خزاعة أصلح سهما له, فندرت منه شظية, فوطىء عليها فمات. وهبار بن الأسود, وعبد يغوث بن وهب, والحارث بن عيطلة.

حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا إسرائيل, عن جابر, عن عامر: إنّا كَفَيْناكَ الـمُسْتَهْزِئِينَ قال: كلهم من قريش: العاص بن وائل, فكفي بأنه أصابه صداع في رأسه, فسال دماغه حتى لا يتكلم إلاّ من تحت أنفه. والحارث بن عيطلة بصفر في بطنه وابن الأسود فكفي بالجدري والوليد بأن رجلاً ذهب ليصلح سهما له, فوقعت شظية فوطىء عليها وعبد يغوث فكفي بالعمي, ذهب بصره.

16188ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة, وعن مقْسم: إنّا كَفَيْناكَ الـمُسْتَهْزِئِينَ قال هم الوليد بن المغيرة, والعاص بن وائل, وعديّ بن قيس, والأسود بن عبد يغوث, والأسود بن المطلب, مرّوا رجلاً رجلاً على النبيّ صلى الله عليه وسلم ومعه جبرئيل, فإذا مرّ به رجل منهم قال جبرئيل: كيف تجد هذا؟ فيقول: «بئس عدوّ الله» فيقول جبرئيل: كفاكه.

فأما الوليد بن المغيرة فتردّى, فتعلق سهم بردائه, فذهب يجلس فقطع أكحله فنُزِف فمات. وأما الأسود بن عبد يغوث, فأتِي بغصن فيه شوك, فضرب به وجهه, فسالت حدقتاه على وجهه, فكان يقول: دعوت على محمد دعوة, ودعا عليّ دعوة, فاستجيب لي, واستجيب له دعا عليّ أن أعمَى فعميت, ودعون عليه أن يكون وحيدا فريدا في أهل يثرب فكان كذلك. وأما العاص بن وائل, فوطىء على شوكة فتساقط لحمه عن عظامه حتى هلك. وأما الأسود بن المطلب وعديّ بن قيس, فإن أحدهما قام من الليل وهو ظمآن, فشرب ماء من جَرّة, فلم يزل يشرب حتى انفتق بطنه فمات وأما الآخر فلدغته حية فمات.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرّزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة وعثمان, عن مِقْسم مولى ابن عباس, في قوله: إنّا كَفَيْناكَ الـمُسْتَهْزِئِينَ ثم ذكر نحو حديث ابن عبد الأعلى, عن ابن ثور.

16189ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: كمَا أنْزَلْنا على الـمُقْتَسِمِينَ الّذِينَ جَعَلُوا القُرآنَ عِضِينَ هم رهط خمسة من

قريش عضهوا القرآن, زعم بعضهم أنه سحر وزعم بعضهم أنه شعر وزعم بعضهم أنه أساطير الأوّلين. أما أحدهم: فالأسود بن عبد يغوث, أتى على نبيّ الله صلى الله عليه وسلم وهو عند البيت, فقال له الملَك: كيف تجد هذا؟ قال: «بِئْسَ عَبْدُ اللّهِ على أنّهُ خالي» قال: كفيناك. ثم أتى عليه الوليد بن الغيرة, فقال له الملَك: كيف تجد هذا؟ قال: «بِئْسَ عَبْدُ اللّهِ» قال: كفيناك. ثم أتى عليه عديّ بن قيس أخو بني سهم, فقال الملك: كيف تجد هذا؟ قال: «بِئْسَ عَبْدُ اللّهِ» قال: كَفيناك. ثم أتى عليه الأسود بن المطلب, فقال له الملك: كيف تجد هذا؟ قال: «بِئْسَ عَبْدُ اللّهِ» قال: كفيناك. ثم أتى عليه العاص بن وائل, فقال له الملَك: كيف تجد هذا؟ قال: «بِئْسَ عَبْدُ اللّهِ» قال: كفيناك. فأما الأسود بن عبد يغوث, فأتي بغصن من شوك فضرب به وجهه حتى سالت حدقتاه على وجهه, فكان بعد ذلك يقول: دعا عليّ محمد بدعوة ودعوت عليه بأخرى, فاستجاب الله له فيّ واستجاب الله لي فيه دعا عليّ أن أثكل وأن أعمى, فكان كذلك ودعوت عليه أن يصير شريدا طريدا, فطردناه مع يهود يثرب وسرّاق الحجيج, وكان كذلك. وأما الوليد بن المغيرة, فذهب يرتدي, فتعلق بردائه سهم غرب, فأصاب أكحله أو أبجله, فأتي في كلّ ذلك, فمات. وأما العاص بن وائل, فوطىء على شوكة, فأتي في ذلك, جعل يتساقط لحمه عضوا عضوا فمات وهو كذلك. وأما الأسود بن المطلب وعديّ بن قيس, فلا أدري ما أصابهما. ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر, نهى أصحابه عن قتل أبي البختري, وقال: «خُذُوهُ أخْذا, فإنه قد كَانَ له بَلاء» فقال له أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم: يا أبا البختري إنا قد نهينا عن قتلك فهلمّ إلى الأمنة والأمان فقال أبو البختري: وابن أخي معي؟ فقالوا: لم نؤمر إلاّ بك. فراودوه ثلاث مرّات, فأبى إلا وابن أخيه معه, قال: فأغلظ للنبيّ صلى الله عليه وسلم الكلام, فحمل عليه رجل من القوم فطعنه فقتله, فجاء قاتله وكأنما على ظهره جبل أوثقه مخافة أن يلومه النبيّ صلى الله عليه وسلم فلما أخبر بقوله: قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «أبْعَدَهُ اللّهُ وأسْحَقَهُ» وهم المستهزِئُونَ الّذِينَ قال الله: إنّا كَفَيْناكَ المُسْتَهْزِئِينَ وهم الخمسة الذين قيل فيهم: إنّا كَفَيْناكَ المُسْتَهْزِئِينَ استهزءوا بكتاب الله, ونبيه صلى الله عليه وسلم.

16190ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حُذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: إنّا كَفَيْناك المُسْتَهْزِئِينَ هم من قريش.

16191ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, وزعم ابن أبي بَزّة أنهم العاص بن وائل السهمي والوليد بن المغيرة الوحيد, والحارث بن عديّ بن سهم بن العيطلة, والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العُزّى بن قُصّي, وهو أبو زمعة, والأسود بن عبد يغوث وهو ابن خال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

16192ـ حدثني القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: أخبرني عمرو بن دينار, عن ابن عباس, نحو حديث محمد بن عبد الأعلى, عن محمد بن ثور, غير أنه قال: كانوا ثمانية. ثم عدّهم وقال: كلهم مات قبل بدر.

وقوله: الّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللّهِ آلَها آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ وعيد من الله تعالى ذكره, وتهديد للمستهزئين الذين أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم أنه

قد كفاه أمرهم بقوله تعالى ذكره: إنا كفيناك يا محمد الساخرين منك, الجاعلين مع الله شريكا في عبادته, فسوف يعلمون ما يلقون من عذاب الله عند مصيرهم إليه في القيامة, وما يَحُلّ بهم من البلاء.

الآية : 97-98

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبّحْ بِحَمْدِ رَبّكَ وَكُنْ مّنَ السّاجِدِينَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ولقد نعلم يا محمد أنك يضيق صدرك بما يقول هؤلاء المشركون من قومك من تكذيبهم إياك واستهزائهم بك وبما جئتهم به, وأن ذلك يُحْرِجك. فَسَبّحْ بِحَمْدِ رَبّكَ يقول: فافزع فيما نابك من أمر تكرهه منهم إلى الشكر لله والثناء عليه والصلاة, يكفك الله من ذلك ما أهمّك. وهذا نحو الخبر الذي رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنه كان إذا حزَبَه أمر فَزِع إلى الصلاة».

الآية : 99

القول في تأويل قوله تعالى: {وَاعْبُدْ رَبّكَ حَتّىَ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم: واعبد ربك حتى يأتيك الموت, الذي هو مُوقَن به. وقيل: يقين, وهو موقَن به, كما قيل: خمر عتيق, وهي معتّقَة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16193ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا يحيى بن سعد, عن سفيان, قال: ثني طارق بن عبد الرحمن, عن سالم بن عبد الله: واعْبُدْ رَبّكَ حتى يَأْتِيكَ اليَقِينُ قال: الموت.

16194ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, وحدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

حدثني عباس بن محمد, قال: حدثنا حجاج, قال: ابن جريج: أخبرني ابن كثير أنه سمع مجاهدا يقول: حتى يَأْتِيكَ اليَقِينُ قال: الموت.

16195ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيدُ, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: واعْبُدْ رَبّكَ حتى يَأْتِيكَ اليَقِينُ قال: يعني الموت.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: حتى يَأْتِيكَ اليَقِينُ قال: اليقين: الموت.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, مثله.

16196ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا سويد بن نصر, قال: أخبرنا ابن المبارك, عن مبارك بن فضالة, عن الحسن, في قوله: حتى يَأْتِيكَ اليَقِينُ قال: الموت.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن طارق, عن سالم, مثله.

16197ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: واعْبُدْ رَبّكَ حتى يَأْتِيكَ اليَقِينُ قال: الموت إذا جاءه الموت جاءه تصديق ما قال الله له وحدّثه من أمر الآخرة.

16198ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني يونس بن يزيد, عن ابن شهاب: أن خارجة بن زيد بن ثابت أخبره عن أمّ العلاء امرأة من الأنصار قد بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرته أنهم اقتسموا المهاجرين قُرْعة, قالت: وطار لنا عثمان بن مظعون, فأنزلناه في أبياتنا, فوَجع وجعه الذي مات فيه. فلما تُوفّي وغَسّل وكُفّن في أثوابه, دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقلت: يا عثمان بن مظعون رحمة الله عليك أبا السائب, فشهادتي عليك لقد أكرمك الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ومَا يُدْرِيكَ أنّ اللّهَ أكْرَمَهُ؟» قالت يا رسول الله فَمَهْ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أمّا هُوَ فَقَدْ جاءَه اليَقِينُ, وَوَاللّهِ إنّي لأَرْجُو لَهُ الخَيْرَ».

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا مالك بن إسماعيل, قال: حدثنا إبراهيم بن سعد, قال: حدثنا ابن شهاب, عن خارجة بن زيد, عن أمّ العلاء امرأة عن نسائهم, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم بنحوه.

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي, قال: حدثنا جعفر بن عون, قال: أخبرنا إبراهيم بن إسماعيل, عن محمد بن شهاب, أن خارجة بن زيد, حدثه عن أمّ العلاء امرأة منهم, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم, بنحوه, إلا أنه قال في حديثه: فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «أمّا هُوَ فَقَدْ عايَنَ اليَقِينَ».

سورة النحل

سورة النحل مكية وآياتها ثمان وعشرون ومائة

بسم الله الرحمَن الرحيم

الآية : 1

القول في تأويل قوله تعالى:

{أَتَىَ أَمْرُ اللّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىَ عَمّا يُشْرِكُونَ }.

يقول تعالى ذكره: أتى أمر الله فقرُب منكم أيها الناس ودنا، فلا تستعجلوا وقوعه.

ثم اختلف أهل التأويل في الأمر الذي أعلم الله عباده مجيئه وقُربه منهم ما هو، وأيّ شيء هو؟ فقال بعضهم: هو فرائضه وأحكامه. ذكر من قال ذلك:

16199ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا ابن المبارك، عن جويبر، عن الضحاك، في قوله: أتَى أمْرُ اللّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ قال: الأحكام والحدود والفرائض.

وقال آخرون: بل ذلك وعيد من الله لأهل الشرك به، أخبرهم أن الساعة قد قَرُبت وأن عذابهم قد حضر أجله فدنا. ذكر من قال ذلك:

16200ـ حدثنا القاسم، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: لما نزلت هذه الآية، يعني: أتَى أمْرُ اللّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ قال رجال من المنافقين بعضهم لبعض: إن هذا يزعم أن أمر الله أتي، فأمسِكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى تنظروا ما هو كائن فلما رأوا أنه لا ينزل شيء، قالوا: ما نراه نزل شيء فنزلت: اقْتَرَبَ للنّاسِ حِسابُهُمْ وَهُمْ في غَفْلَة مُعْرِضُون فقالوا: إن هذا يزعم مثلها أيضا. فلما رأوا أنه لا ينزل شيء، قالوا: ما نراه نزل شيء فنزلت: وَلَئِنْ أخّرْنا عَنْهُمُ العَذَابَ إلى أُمّة مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنّ ما يَحْبَسُهُ ألا يَوْمَ يأتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفا عَنْهُمْ وَحاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ.

16201ـ حدثنا أبو هشام الرفاعي، قال: حدثنا يحيى بن يمان، قال: حدثنا سفيان، عن إسماعيل، عن أبي بكر بن حفص، قال: لما نزلت: أتَى أمْرُ اللّهِ رفعوا رءوسهم، فنزلت: فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ.

16202ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، قال: حدثنا أبو بكر بن شعيب، قال: سمعت صادق أبا يقرأ: «يا عِبادَي أتَى أمْرُ اللّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ».

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: هو تهديد من أهل الكفر به وبرسوله، وإعلام منه لهم قرب العذاب منهم والهلاك وذلك أنه عقّب ذلك بقوله سبحانه وتعالى: عَمّا يُشْرِكُونَ فدلّ بذلك على تقريعه المشركين ووعيده لهم. وبعد، فإنه لم يبلغنا أن أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم استعجل فرائض قبل أن تُفرض عليهم فيقال لهم من أجل ذلك: قد جاءتكم فرائض الله فلا تستعجلوها. وأما مستعجلو العذاب من المشركين، فقد كانوا كثيرا.

وقوله سبحانه وتعالى: عَمّا يُشْرِكُونَ يقول تعالى ذكره: تنزيها لله وعلوّا له عن الشرك الذي كانت قريش ومن كان من العرب على مثل ما هم عليه يَدين به.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله تعالى: عَمّا يُشْرِكُونَ فقرأ ذلك أهل المدينة وبعض البصريين والكوفيين: عَمّا يُشْرِكُونَ بالياء على الخبر عن أهل الكفر بالله وتوجيه للخطاب بالاستعجال إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذلك قرءوا الثانية بالياء. وقرأ ذلك عامّة قرّاء الكوفة بالتاء على توجيه الخطاب بقوله: فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبقوله تعالى: «عَمّا تُشْرِكُونَ» إلى المشركين. والقراءة بالتاء في الحرفين جميعا على وجه الخطاب للمشركين أولى بالصواب لما بيّنت من التأويل أن ذلك إنما هو وعيد من الله للمشركين ابتدأ أوّل الآية بتهديدهم وختم آخرها بنكير فعلهم واستعظام كفرهم على وجه الخطاب لهم.

الآية : 2

القول في تأويل قوله تعالى:

{يُنَزّلُ الْمَلآئِكَةَ بِالْرّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىَ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوَاْ أَنّهُ لاَ إِلَـَهَ إِلاّ أَنَاْ فَاتّقُونِ }.

اختلفت القراء في قراءة قوله: يُنَزّلُ المَلائِكَةَ فقرأ ذلك عامّة قرّاء المدينة والكوفة: يُنَزّلُ المَلائِكَةَ بالياء وتشديد الزاي ونصب الملائكة، بمعنى يُنَزّل الله الملائكة بالروح. وقرأ ذلك بعض البصريين وبعض المكيين: «يُنَزّلُ المَلائِكَةَ» بالياء وتخفيف الزاي ونصب الملائكة.

وحُكي عن بعض الكوفـيـين أنه كان يقرؤه: «تَنَزّلُ الـمَلائِكَةَ» بـالتاء وتشديد الزاي والـملائكة بـالرفع، علـى اختلاف عنه فـي ذلك. وقد رُوي عنه موافقة سائر قرّاء بلده.

وأولـى القراءات بـالصواب فـي ذلك عندي قراءة من قرأ: يُنَزّلُ الـمَلائِكَةَ بـمعنى: ينزّل الله ملائكة. وإنـما اخترت ذلك، لأن الله هو الـمنزّل ملائكته بوحيه إلـى رسله، فإضافة فعل ذلك إلـيه أولـى وأحقّ واخترت «ينزّل» بـالتشديد علـى التـخفـيف، لأنه تعالـى ذكره كان ينزّل من الوحي علـى من نزّله شيئا بعد شيء، والتشديد به إذ كان ذلك معناه أولـى من التـخفـيف.

فتأويـل الكلام: ينزّل الله ملائكته بـما يحيا به الـحقّ ويضمـحلّ به البـاطل من أمره علـى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَـادِهِ يعنـي علـى من يشاء من رسله أنْ أنْذِرُوا ف «أنْ» الأولـى فـي موضع خفض، ردّا علـى «الروح»، والثانـية فـي موضع نصب ب «أنْذِرُوا». ومعنى الكلام: ينزل الـملائكة بـالروح من أمره علـى من يشاء من عبـاده، بأن أنذروا عبـادي سطوتـي علـى كُفرهم بـي وإشراكهم فـي اتـخاذهم معي الآلهة والأوثان، فإنه لا إله إلاّ أنا يقول: لا تنبغي الأولوهة إلا لـي، ولا يصلـح أن يُبعد شيء سواي، فـاتّقُونِ يقول: فـاحذرونـي بأداء فرائضي وإفراد العبـادة وإخلاص الربوبـية لـي، فإن ذلك نـجاتكم من الهلكة.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

16203ـ حدثنا الـمثنى، قال: حدثنا أبو صالـح، قال: ثنـي معاوية، عن علـيّ، عن ابن عبـاس، قوله: يُنَزّلُ الـمَلائِكَةَ بـالرّوحِ يقول: بـالوحي.

حدثنـي مـحمد بن سعد، قال: ثنـي أبـي، قال: ثنـي عمي، قال: ثنـي أبـي، عن أبـيه، عن ابن عبـاس، قوله: يُنَزّلُ الـمَلائِكَةَ بـالرّوحِ مِنْ أمْرِهِ علـى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبـادِهِ يقول: ينزل الـملائكة....

16204ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثنـي الـحرث، قال: حدثنا الـحسن، قال: حدثنا ورقاء وحدثنـي الـمثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل وحدثنـي الـمثنى، قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا عبد الله، عن ورقاء جميعا، عن ابن أبـي نـجيح، عن مـجاهد، فـي قول الله: بـالرّوحِ مِنْ أمْرِهِ إنه لا ينزل ملَك إلا ومعه روح.

16205ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الـحسين، قال: ثنـي حجاج، قال: قال ابن جريج، قال مـجاهد: قوله: يُنَزّلُ الـمَلائِكَةَ بـالرّوحِ مِنْ أمْرِهِ قال: لا ينزل ملك إلا معه روح يُنَزّلُ الـمَلائِكَةَ بـالرّوحِ مِنْ أمْرِهِ علـى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبـادِهِ قال بـالنبوّة. قال ابن جريج: وسمعت أن الروح خـلق من الـملائكة نزل به الروح وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرّوحِ قُلِ الرّوحِ مِنْ أمْرِ رَبّـي.

16206ـ حدثنـي الـمثنى، قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا عبد الله، عن أبـيه، عن الربـيع بن أنس، فـي قوله: يُنَزّلُ الـمَلائِكَةَ بـالرّوحِ مِنْ أمْرِهِ علـى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبـادِهِ أنْ أنْذِرُوا أنّهُ لا إلَهَ إلاّ أنَا فـاتّقُونِ قال: كل كَلِـم تكلـم به ربنا فهو روح منه، وكذلكَ أوْحَيْنا إلَـيْكَ رُوحا منْ أمْرِنا... إلـى قوله: ألا إلـى اللّهِ تَصِيرُ الأمُورُ.

16207ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: يُنَزّلُ الـمَلائِكَةَ بـالرّوحِ مِنْ أمْرِهِ يقول: ينزّل بـالرحمة والوحي من أمره، علـى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبَـادِهِ فـيصطفـي منهم رسلاً.

16208ـ حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى، قال: حدثنا مـحمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: يُنَزّلُ الـمَلائِكَةَ بـالرّوحِ مِنْ أمْرِهِ علـى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبـادِهِ قال: بـالوحي والرحمة.
وأما قوله: أنْ انْذِرُوا أنّهُ لا إلهَ إلاّ أنا فـاتّقُونِ فقد بـيّنا معناه.
وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:
16205حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: أنْ أنْذِرُوا أنّهُ لا إلهَ إلاّ أنا فـاتّقُونِ إنـما بعث الله الـمرسلـين أن يوحّدَ الله وحده، ويُطاع أمره، ويجتنب سخطه. (

الآية : 3

القول فـي تأويـل قوله تعالـى:
{خَلَقَ السّمَاوَاتِ وَالأرْضَ بِالْحَقّ تَعَالَىَ عَمّا يُشْرِكُونَ }.
يقول تعالـى ذكره معرّفـا خـلقه حجته علـيهم فـي توحيده، وأنه لا تصلـح الألوهة إلا له: خـلق ربكم أيها الناس السموات والأرض بـالعدل وهـو الـحقّ منفردا بخـلقها لـم يشركه فـي إنشـائها وإحـداثها شـريك ولـم يعنـه علـيه معين، فأنّى يكون له شريك. تَعالـى عَمّا يُشْرِكُونَ يقول جلّ ثناؤه: علا ربكم أيها القوم عن شرككم ودعواكم إلها دونه، فـارتفع عن أن يكـون لـه مثـل أو شـريك أو ظهيـر، لأنـه لا يكـون إلهـا إلا مـن يخـلق وينشـىء بقـدرته مثـل السموات والأرض ويبتدع الأجسام فـيحدثها من غير شيء، ولـيس ذلك فـي قُدرة أحد سوى الله الواحد القهّـار الـذي لا تنبغـي العبـادة إلا لـه ولا تصلـح الألوهة لشيء سواه.

الآية : 4

القول فـي تأويـل قوله تعالـى:
{خَلَقَ الإنْسَانَ مِن نّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مّبِينٌ }.
يقول تعالـى ذكره: ومن حججه علـيكم أيضا الناس، أنه خـلق الإنسان من نطفة، فأحدث من ماء مهين خـلقا عجيبـا، قلبه تاراتٍ خـلقا بعـد خـلق فـي ظلـمات ثلاث، ثم أخرجه إلـى ضياء الدنـيا بعـد مـا تـمّ خـلقه ونفـخ فـيه الروح، فغذّاه ورزقه القوت ونـماه، حتـى إذا استوى علـى سوقه كفر بنعمـة ربه وجحد مدبره وعبد من لا يضـرّ ولا ينفـع وخاصـم إلهـه فقـال مَـنْ يُحْيِـي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيـمٌ ونسي الذي خـلقه فسوّاه خـلقا سـويّا مـن مـاء مهيـن. ويعنـي بـالـمبـين: أنه يبـين عن خصـومته بـمنطقه ويجـادل بلسـانه، فـذلك إبـانته. وعنى بـالإنسان: جميع الناس، أخرج بلفـظ الواحـد وهـو فـي معنـى الـجميع.

الآية : 5

القول فـي تأويـل قوله تعالـى:
{وَالأنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ }.
يقول تعالـى ذكره: ومن حججه علـيكم أيها الناس مـا خـلق لكـم مـن الأنعام، فسخّرها لكم، وجعل لكم من أصـوافها وأوبـارها وأشـعارها ملابـس تدفئون بها ومنافع من ألبـانها وظهورها تركبونها. وَمِنْها تَأْكُلُونَ يقـول: ومـن

الأنعام ما تأكلون لحمه كالإبل والبقر والغنم وسائر ما يؤكل لحمه. وحذفت «ما» من الكلام لدلالة من عليها.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16209ـ حدثني المثنى، وعليّ بن داود، قال: المثنى أخبرنا، وقال ابن داود: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: والأنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ فِيها دِفْءٌ يقول: الثياب.

16210ـ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: والأنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ فِيها دِفْءٌ وَمَنافِعُ وَمِنْها تَأْكُلُونَ يعني بالدفء: الثياب، والمنافع: ما ينتفعون به من الأطعمة والأشربة.

16211ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء وحدثني المثنى، قال: أخبرنا إسحاق، قال: حدثنا عبد الله، عن ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله تعالى: لَكُمْ فِيها دِفْءٌ قال: لباس ينسج، ومنا مركب ولبن ولحم.

حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حُذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: لَكُمْ فِيهَا دفْءٌ لباس ينسج ومنافع، مركب ولحم ولبن.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

16212ـ حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، قوله: لَكُمْ فِيها دِفْءٌ وَمَنافِعُ قال: نسل كلّ دابة.

حدثنا أحمد، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا إسرائيل بإسناده، عن ابن عباس، مثله.

16213ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: والأنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ فِيها دِفْءٌ وَمَنافِعُ يقول: لكم فيها لباس ومنفعة وبلغة،

16214ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن منصور، قال: قال ابن عباس: والأنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ فِيها دِفْءٌ وَمَنافِعُ، وَمِنْها تَأْكُلُونَ قال: هو منافع ومآكل.

16215ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: والأنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ فِيها دِفْءٌ وَمَنافِعُ قال: دفء اللحف التي جعلها الله منها.

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا محمد بن بكر، عن ابن جريج، قال: بلغني، عن مجاهد: والأنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ فِيها دِفْءٌ وَمَنافِعُ قال: نتاجها وركوبها وألبانها ولحومها.

الآية : 6 - 7

القول في تأويل قوله تعالى:

{وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىَ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقّ الأنفُسِ إِنّ رَبّكُمْ لَرَؤُوفٌ رّحِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: ولكم في هذه الأنعام والمواشي التي خلقها لكم جَمالٌ حِينَ تُرِيحُونَ يعني: تردّونها بالعشيّ من مسارحها إلى مراحها ومنازلها التي تأوي إليها ولذلك سمي المكان المراح، لأنها تراح إليه عشيّا فتأوي إليه، يقال منه: أراح فلان ماشيته فهو يريحها إراحة. وقوله: وَحِينَ تَسْرَحُونَ يقول: وفي وقت إخراجكموها غدوة من مُراحها إلى مسارحها، يقال منه: سَرّح فلان ماشيته يُسَرّحُها تسريحا، إذا أخرجها للرعي غدوة، وسرَحَتِ الماشيةُ: إذا خرجت للمرعى تَسْرَحُ سَرْحا وسُرُوحا، فالسرح بالغداة والإراحة بالعشي، ومنه قوله الشاعر:

كأنّ بَقايا الأثْنِ فَوْقَ مُتُونِهِمدَبّ الدّبَى فَوْقَ النّقا وَهْوَ سارِحُ

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16216ـ حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَلَكُمْ فِيها جَمالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وذلك أعجب ما يكون إذا راحت عظاما ضروعها طوالاً أسنمتها، وحين تسرحون إذا سرحت لرعيها.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: وَلَكُمْ فِيها جَمالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ قال: إذا راحت كأعظم ما تكون أسنمة، وأحسن ما تكون ضروعا.

وقوله: وَتَحْمِلُ أثقالَكُمْ إلى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بالِغِيهِ إلاّ بِشِقّ الأنْفُس يقول: وتحمل هذه الأنعام أثقالكم إلى بلد آخر لم تكونوا بالغِيهِ إلا بجهد من أنفسكم شديد ومشقة عظيمة. كما:

16217ـ حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا شريك، عن جابر، عن عكرمة: وَتَحْمِلُ أثْقالَكُمْ إلى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بالِغِيهِ إلاّ بِشِقّ الأنْفُسِ قال: لو تكلفونه لم تبلغوه إلا بجهد شديد.

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا يحيى بن آدم، عن شريك، عن سماك، عن عكرمة: إلى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بالِغِيهِ إلاّ بِشِقّ الأنْفُسِ قال: لو كلفتموه لم تبلغوه إلا بشقّ الأنفس.

16218ـ حدثني المثنى، قال: حدثنا الحِماني، قال: حدثنا شريك، عن سماك، عن عكرمة: إلى بَلَدٍ لَمْ تَكُونوا بالِغِيهِ إلاّ بِشقّ الأنْفُسِ قال: البلد: مكة.

16219ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء وحدثني المثنى، قال: أخبرنا أبو حُذيفة، قال: حدثنا شبل وحدثني المثنى، قال: أخبرنا إسحاق، قال: حدثنا عبد الله، عن ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: إلاّ بِشِقّ الأنْفُسِ قال: مشقة عليكم.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

16220ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَتَحْمِلُ أثْقالَكُمْ إلى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بالِغِيهِ إلاّ بِشِقّ الأنْفُسِ يقول: بجهد الأنفس.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، بنحوه.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامّة قرّاء الأمصار بكسر الشين: إلاّ بِشِقّ الأنْفُسِ سوى أبي جعفر القارىء، فإن:

16221ـ المثنى حدثني، قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا عبد الرحمن بن أبي حماد، قال: ثني أبو سعيد الرازي، عن أبي جعفر قارىء المدينة، أنه كان يقرأ: «لَمْ تَكُونُوا بالِغِيهِ إلاّ بِشَقّ الأنْفُسِ» بفتح الشين، وكان يقول: إنما الشقّ: شقّ النفس. وقال ابن أبي حماد: وكان معاذ الهرّاء يقول: هي لغة، تقول العرب بشقّ وبشِقّ، وبرَق وبرِق.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قرّاء الأمصار وهي كسر الشين، لإجماع الحجة من القرّاء عليه وشذوذ ما خالفه. وقد يُنشد هذا البيت بكسر الشين وفتحها، وذلك قول الشاعر:

وذِي إبِلٍ يَسْعَى وَيحْسِبُها لَهُأخِي نَصَبٍ مِنْ شَقّها ودُءُوبِ

و «من شِقّيها» أيضا بالكسر والفتح وكذلك قول العجاج:

(أصبحَ مَسْحُولٌ يُوَازِي شَقّا)

و «شِقّا» بالفتح والكسر. ويعني بقوله: «يوازي شَقّا»: يقاسي مشقة. وكان بعض أهل العربية يذهب بالفتح إلى المصدر من شققت عليه أشقّ شقّا، وبالكسر إلى الاسم. وقد يجوز أن يكون الذين قرءوا بالكسر أرادوا إلا بنقص من القوّة وذهاب شيء منها حتى لا يبلغه إلا بعد نقصها، فيكون معناه عند ذلك: لم تكونوا بالغيه إلا بشقّ قوى أنفسكم وذهاب شقها الآخر. ويحكى عن العرب: خذ هذا الشّقّ: لشقة الشاة بالكسر، فأما في شقت عليك شَقّا فلم يحك فيه إلا نصب.

وقوله: إنّ رَبّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ يقول تعالى ذكره: إن ربكم أيها الناس ذو رأفة بكم ورحمة من رحمته بكم، خلق لكم الأنعام لمنافعكم ومصالحكم، وخلق السموات والأرض أدلة لكم على وحدانية ربكم ومعرفة إلهكم، لتشكروه على نعمة عليكم، فيزيدكم من فضله.

الآية : 8

القول في تأويل قوله تعالى:

{وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وخلق الخيل والبغال والحمير لكم أيضا لتَرْكَبُوهَا وزِينَةً يقول: وجعلها لكم زينةً تتزينون بها مع المنافع التي فيها لكم، للركوب وغير ذلك. ونصب الخيل والبغال عطفا على الهاء والألف في قوله: خَلَقَها. ونصب الزينة بفعل مضمر على ما بيّنت، ولو لم يكن معها واو وكان الكلام: «لتركبوها زينةً كانت منصوبة بالفعل الذي قبلها الذي هي به متصلة، ولكن دخول الواو أذنت بأن معها ضمير فعل وبانقطاعها عن الفعل الذي قبلها.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16222ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: لتَرْكَبُوها وَزِينَةً قال: جعلها لتركبوها، وجعلها زينة لكم.

وكان بعض أهل العلم يرى أن في هذه الآية دلالة على تحريم أكل لحوم الخيل. ذكر من قال ذلك:

16223ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، قال: حدثنا أبو ضمرة، عن أبي إسحاق، عن رجل، عن ابن عباس، قوله: والخَيْلَ والبغالَ والحَميرَ لتَرْكَبُوها قال: هذه للركوب. والأنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ فِيها دِفْءٌ قال: هذه للأكل.

حدثني يعقوب، قال: حدثنا ابن علية، قال: حدثنا هشام الدستوائي، قال: حدثنا يحيى بن أبي كثير، عن مولى نافع بن علقمة: أن ابن عباس كان يكره لحوم الخيل والبغال والحمير، وكان يقول: قال الله والأنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ فِيها دِفْءٌ وَمِنْها تَأْكُلُونَ فهذه للأكل، والخَيْلَ والبغالَ والحَميرَ لتَرْكَبُوها فهذه للركوب.

16224ـ حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبي، عن ابن أبي ليلى، عن المنهال، عن سعيد، عن ابن عباس: أنه سئل عن لحوم الخيل، فكرهها وتلا هذه الآية: والخَيْلَ والبغالَ والحَميرَ لتَرْكَبُوها... الآية.

حدثنا أحمد، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا قيس بن الربيع، عن ابن أبي ليلى عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: أنه سئل عن لحوم الخيل، فقال: اقرأ التي قبلها: والأنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ فِيها دِفْءٌ ومنَافِعُ ومَنْها تَأْكُلُونَ والخَيْلَ والبغالَ والحَميرَ لتَرْكَبُوها وَزِينَةً فجعل هذه للأكل، وهذه للركوب.

16225ـ حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا يحيى بن عبد الملك بن أبي غنية، عن أبيه، عن الحكم: والأنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ فِيها دِفْءٌ وَمَنافِعُ وَمِنْها تَأْكُلُونَ فجعل منه الأكل. ثم قرأ حتى بلغ: والخَيْلَ والبغالَ والحَميرَ لتَرْكَبُوها قال: لم يجعل لكم فيها أكلاً. قال: وكان الحكم يقول: والخيل والبغال والحمير حرام في كتاب الله.

16226ـ حدثنا أحمد، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا ابن أبي غنية، عن الحكم، قال: لحوم الخيل حرام في كتاب الله. ثم قرأ: والأنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ فِيها دِفْءٌ وَمَنافِعُ... إلى قوله: لتَرْكَبُوها.

وكان جماعة غيرهم من أهل العلم يخالفونهم في هذا التأويل، ويرون أن ذلك غير دالّ على تحريم شيء، وأن الله جلّ ثناؤه إنما عرّف عباده بهذه الآية وسائر ما في أوائل هذه السورة نعمة عليهم ونبههم به على حججه عليهم وأدلته على وحدانيته وخطأ فعل من يشرك به من أهل الشرك. ذكر بعض من كان لا يرى بأسا بأكل لحم الفرس:

16227ـ حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبي، عن شعبة، عن مغيرة، عن إبراهيم، عن الأسود: أنه أكل لحم الفرس.

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبي، عن شعبة، عن الحكم، عن إبراهيم، عن الأسود بنحوه.

16228ـ حدثنا أحمد، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم قال: نحر أصحابنا فرسا في النجع وأكلوا منه، ولم يروا به بأسا.

والصواب من القول في ذلك عندنا ما قاله أهل القول الثاني، وذلك أنه لو كان في قوله تعالى ذكره: لِتَرْكَبُوها دلالة على أنها لا تصلح إذ كانت للركوب للأكل لكان في قوله: فِيها دِفْءٌ ومنَافِعُ وَمِنْها تَأْكُلُونَ دلالة على

أنها لا تصلح إذ كانت للأكل والدفء للركوب. وفي إجماع الجميع على أن ركوب ما قال تعالى ذكره وَمِنْها تَأْكُلُونَ جائز حلال غير حرام، دليل واضح على أن أكل ما قال: لِتَرْكَبُوها جائز حلال غير حرام، إلا بما نصّ على تحريمه أو وضع على تحريمه دلالة من كتاب أو وحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأما بهذ الآية فلا يحرم أكل شيء. وقد وضع الدلالة على تحريم لحوم الحمُر الأهلية بوحيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى البغال بما قد بيّنا في كتابنا كتاب الأطعمة بما أغنى غعن إعادته في هذا الموضع، إذا لم يكن هذا الموضع من مواضع البيان عن تحريم ذلك، وإنما ذكرنا ما ذكرنا ليدلّ على أنه لا وجه لقول من استدلّ بهذه الآية على تحريم لحم الفرس.

16229ـ حدثنا أحمد، حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا إسرائيل، عن عبد الكريم، عن عطاء، عن جابر، قال: كنا نأكل لحم الخيل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. قلت: فالبغال؟ قال: أما البغال فلا.

وقوله: وَيَخْلُقُ ما لا تَعْلَمُونَ يقول تعالى ذكره: ويخلق ربكم مع خلقه هذه الأشياء التي ذكرها لكم ما لا تعلمون مما أعدّ في الجنة لأهلها وفي النار لأهلها مما لم تره عين ولا سمعته أذن ولا خطر على قلب بشر.

الآية : 9

القول في تأويل قوله تعالى:

{وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ }.

يقول تعالى ذكره: وعلى الله أيها الناس بيان طريق الحقّ لكم، فمن اهتدى فلنفسه ومن ضلّ فإنما يضلّ عليها. والسبيل: هي الطريق، والقصد من الطريق: المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، كما قال الراجز:

فصَدّ عَنْ نَهْجِ الطَّرِيقِ القاصِدِ

وقوله: وَمِنْها جائِرٌ يعني تعالى ذكره: ومن السبيل جائر عن الاستقامة معوّج، فالقاصد من السبل: الإسلام، والجائر منها: اليهودية والنصرانية وغير ذلك من ملل الكفر كلها جائر عن سواء السبيل وقصدها، سوى الحنيفية المسلمة. وقيل: ومنها جائر، لأن السبيل يؤنث ويذكر، فأنثت في هذا الموضع. وقد كان بعضهم يقول: وإنما قيل: «ومنها» لأن السبيل وإن كان لفظها لفظ واحد فمعناها الجمع.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16230ـ حدثني المثنى، قال: أخبرنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: وَعلى اللّهِ قَصْدُ السّبِيلِ يقول: البيان.

16231ـ حدثنا محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: وَعلى اللّهِ قَصْدُ السّبِيلِ يقول: على الله البيان، أن يبين الهدى والضلالة.

16232ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: حدثنا الحسن. قال: حدثنا ورقاء وحدثني المثنى، قال: أخبرنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل وحدثني المثنى، قال: أخبرنا إسحاق، قال: حدثنا عبد الله، عن ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: وَعلى اللّهِ قَصْدُ السّبِيلِ قال: طريق الحقّ على الله.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثل.
16233ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: وَعلى اللّهِ قَصْدُ السّبِيلِ يقول: على الله البيان، بيان حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته.
16234ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَعلى اللّهِ قَصْدُ السّبِيلِ قال: السبيل: طريق الهدى.
16235ـ حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبو معاوية، عن جويبر، عن الضحاك: وَعلى اللّهِ قَصْدُ السّبِيلِ قال إنارتها.
16236ـ حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَعلى اللّهِ قَصْدُ السّبِيلِ يقول: على الله البيان، يبين الهدى من الضلالة، ويبين السبيل التي تفرّقت عن سبله، ومنها جائر.
حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: وَمِنْها جائِرٌ: أي من السبل، سبل الشيطان. وفي قراءة عبد الله بن مسعود: «وَمِنْكُمْ جائِرٌ وَلَوْ شَاءَ اللّهُ لَهَدَاكُمْ أجمَعِينَ».
حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: وَمِنْها جائِرٌ قال: في حرف ابن مسعود: «وَمِنْكُمْ جائِرٌ».
16237ـ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله: وَمِنْها جائِرٌ يعني السبل المتفرّقة.
16238ـ حدثني عليّ بن داود، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: وَمِنْها جائِرٌ يقول: الأهواء المختلفة.
16239ـ حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقال: حدثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَمِنْها جائِرٌ يعني السبل التي تفرّقت عن سبيله.
16240ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: وَمِنْها جائِرٌ السبل المتفرقة عن سبيله.
16241ـ حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله:وَمِنْها جائِرٌ قال: من السبل جائر عن الحقّ قال: قال الله: وَلا تَتّبِعُوا السّبْلَ فَتَفَرّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ.
وقوله: وَلَوْ شاءَ لَهَدَاكُمْ أجْمَعِينَ يقول: ولو شاء الله للطف بجميعكم أيها الناس بتوفيقه، فكنتم تهتدون وتلزمون قصد السبيل ولا تجورون عنه فتتفرّقون في سبل عن الحقّ جائرة. كما:
16242ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَلَوْ شَاءَ لَهَداكُمْ أجْمَعِينَ قال: لو شاء لهداكم أجمعين لقصد السبيل الذي هو الحقّ. وقرأ: وَلَوْ شاءَ رَبّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأرْضِ كُلّهُمْ جَمِيعا... الآية، وقرأ: وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنا كُلّ نَفْسٍ هُدَاها... الآية.

الآية : 10

القول في تأويل قوله تعالى:
{هُوَ الّذِي أنْزَلَ مِنَ السّمَاءِ مَآءً لّكُم مّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ }.

يقول تعالى ذكره: والذي أنعم عليكم هذه النعم وخلق لكم الأنعام والخيل وسائر البهائم لمنافعكم ومصالحكم، هو الربّ الذي أنزل من السماء ماء، يعني: مطرا لكم من ذلك الماء شراب تشربونه ومنه شراب أشجاركم وحياة غروسكم ونباتها. فِيهِ تُسِيمُونَ يقول: في الشجر الذي ينبت من الماء الذي أنزل من السماء تسيمون، يعني ترعون، يقال منه: أسام فلان إبله يسيمها إسامة إذا أرعاها، وسوّمها أيضا يسوّمها، وسامت هي إذا رعت، فهي تسوم، وهي إبل سائمة ومن ذلك قيل للمواشي المطلقة في الفلاة وغيرها للرعي سائمة. وقد وجّه بعضهم معنى السوم في البيع إلى أنه من هذا، وأنه ذهاب كلّ واحد من المتبايعين فيما ينبغي له من زيادة ثمن ونقصانه، كما تذهب سوائم المواشي حيث شاءت من مراعيها ومنه قول الأعشى:

وَمَشَى القَوْمُ بالعمادِ إلى المَرْعَى وأعْيا المُسِيمَ أيْنَ المَساقُ

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16243ـ حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبي، عن النضْر بن عربي، عن عكرمة: وَمِنْهُ شَجَرٌ فيهِ تُسيمُونَ قال: ترعون.

حدثنا أحمد بن سهيل الواسطي، قال: حدثنا قرة بن عيسى، عن النضر بن عربي، عن عكرمة، في قوله: فيهِ تُسيمُونَ قال: ترعون.

16244ـ حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبي، عن سفيان، عن خصيف، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: ترعون.

حدثني عليّ بن داود، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، مثله.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: وَمِنْهُ شَجَرٌ فيهِ تُسيمُونَ يقول: يرعون فيه أنعامهم وشَاءَهُمْ.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: فيهِ تُسيمُونَ قال: ترعون.

16245ـ حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا معاوية وأبو خالد، عن جويبر، عن الضحاك: فيه ترعون.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد، عن الضحاك، في قوله: تُسيمُونَ يقول: ترعون أنعامكم.

16246ـ حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبي، عن طلحة بن أبي طلحة القناد، قال: سمعت عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزي، قال: فيه ترعون.

16247ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: شَجَرٌ فيهِ تُسيمُونَ يقول: ترعون.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: ترعون.

حدثنا محمد بن سنان، قال: حدثنا سليمان، قال: حدثنا أبو هلال، عن قتادة في قول الله: شَجَرٌ فيهِ تُسيمُونَ قال: تَرْعون.

16248ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَمِنْهُ شَجَرٌ فيهِ تُسيمُونَ قال: تَرْعون. قال: الإسامة: الرّعية.

وقال الشاعر:

لَ ابنِ بَزْعَةَ أو كآخَرَ مِثْلِهِ

أوْلى لَكَ ابنَ مُسِيمةِ الأجْمالِ
قال: يا ابن راعية الأجمال.

الآية : 11

القول في تأويل قوله تعالى:
{يُنبِتُ لَكُمْ بِهِ الزّرْعَ وَالزّيْتُونَ وَالنّخِيلَ وَالأعْنَابَ وَمِن كُلّ الثّمَرَاتِ إِنّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لّقَوْمٍ يَتَفَكّرُونَ }.
يقول تعالى ذكره: يُنبت لكم ربكم بالمَاء الذي أنزل لكم من السماء زرعَكم وزيتونَكم ونخيلكم وأعنابكم ومِنْ كُلّ الثّمراتِ يعني من كلّ الفواكه غير ذلك أرزاقا لكم وأقواتا وإداما وفاكهة، نعمة منه عليكم بذلك وتفضّلاً، وحُجة على من كفر به منكم. إنّ فِي ذلكَ لآيَةً يقول جلّ ثناؤه: إن في إخراج الله بما ينزل من السماء من ماء ما وصف لكم لآيةً يقول: لدلالة واضحة وعلامة بينة، لقومٍ يَتَفَكّرُونَ يقول: لقوم يعتبرون مواعظ الله ويتفكّرون في حججه، فيتذكرون وينيبون.

الآية : 12

القول في تأويل قوله تعالى:
{وَسَخّرَ لَكُمُ اللّيْلَ وَالنّهَارَ وَالشّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنّجُومُ مُسَخّرَاتٌ بِأمْرِهِ إِنّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ }.
يقول تعالى ذكره: ومن نِعَمه عليكم أيها الناس مع التي ذكرها قبل أن سخر لكم الليل والنهار يتعاقبان عليكم، هذا لتصرفكم في معاشكم وهذا لسكنكم فيه والشّمْسَ والقَمَرَ لمعرفة أوقات أزمنتكم وشهوركم وسنينكم وصلاح معايشكم. والنّجُومُ مُسَخّراتٌ لكم بأمر الله تجري في فلكها لتهتدوا بها في ظلمات البرّ والبحر. إنّ فِي ذلكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقَلُونَ يقول تعالى ذكره: إن في تسخير الله ذلك على ما سخره لدلالات واضحات لقوم يعقلون حجج الله ويفهمون عنه تنبيهه إياهم.

الآية : 13

القول في تأويل قوله تعالى:
{وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ إِنّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لّقَوْمٍ يَذّكّرُونَ }.
يعني جلّ ثناؤه بقوله: ومَا ذَرأَ لَكُمْ وسخر لكم ما ذرأ: أي ما خلق لكم في الأرض مختلفا ألوانه من الدواب والثمار. كما:
16249ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ومَا ذَرأَ لَكُمْ فِي الأرْضِ يقول: وما خلق لكم مختلفا ألوانه من الدوابّ ومن الشجر والثمار، نِعَم من الله متظاهرة فاشكروها لله.
16250ـ حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قال: من الدوابّ والأشجار والثمار.
ونصب قوله: «مختلفا» لأن قوله: «وَما» في موضع نصب بالمعنى الذي وصفت. وإذا كان ذلك كذلك، وجب أن يكون «مختلفا ألوانه» حالاً من «ما»، والخبر دونه تامّ، ولو لم تكن «ما» في موضع نصب، وكان

الكلام مبتدأ من قوله: وَما ذَرأَ لَكُمْ لـم يكن فـي مختلف إلا الرفع، لأنـه كـان يصير مرافع «ما» حينئذ.

الآية : 14

القول فـي تأويـل قوله تعالـى:

{وَهُــوَ الّــذي سَــخّرَ الْبَحْــرَ لِتَــأْكُلُواْ مِنْــهُ لَحْمــاً طَرِيّــاً وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَـوَاخِرَ فِيـهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلّكُمْ تَشْكُرُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: والذي فعل هذه الأفعال بكم وأنعم علـيكم أيها النـاس هذه النعم، الذي سخر لكم البحر، وهو كلّ نهر ملـحا مـاؤه أو عذبــا. لتَـأْكُلُوا مِنْهُ لَـحْما طرِيّا وهـو السـمك الـذي يصـطاد منـه. وتَسْتَــخْرِجُوا منْـهُ حلْـيَةً تَلْبَسُونَها وهو اللؤلؤ والـمرجان. كما:

16251ـ حدثنـي الـمثنى، قال: أخبرنا إسحاق، قال: أخبرنـا هشـام، عـن عمرو، عن سعيد، عن قتادة، فـي قوله: وَهُوَ الّذِي سَـخّرَ البَحْـرَ لتَـأْكُلُوا منْـهُ لَـحْما طَرِيّا قال: منهما جميعا. وتَسْتَـخْرِجُوا مِنْهُ حلْـيَةً تَلْبَسُـونَهَا قـال: هـذا اللؤلؤ.

16252ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَـحْما طَرِيّا يعنـي حيتان البحر.

16253ـ حدثنـي الـمثنى، قال: أخبرنـا إسـحاق، قـال: حـدثنا حمـاد، عـن يحيى، قال: حدثنا إسماعيــل بـن عبـد الــملك، قـال: جـاء رجـل إلــى أبــي جعفر، فقال: هل فــي حلــيّ النسـاء صـدقة؟ قـال: لا، هـي كمـا قـال اللـه تعالـى: حِلْـيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الفُلْكَ يعنـي السـفن، مَـوَاخرَ فِــيهِ وهـي جمـع ماخرة.

وقد اختلف أهل التأويـل فـي تأويـل قوله: مَوَاخرَ فقال بعضهم: الـمواخر: الـمواقر. ذكر من قال ذلك:

16254ـ حدثنا عمرو بن موسى القزاز، قـال: حـدثنا عبـد الـوارث، قـال: حـدثنا يـونس، عـن الــحسن، فــي قـوله: وَتَـرَى الفُلْـكَ مَـوَاخرَ فِــيهِ قـال: الـمواقر.

وقال آخرون فـي ذلك ما:

16255ـ حدثنا به عبد الرحمن بن الأسود، قال: حدثنا مـحمد بـن ربــيعة، عن أبـي بكر الأصمّ، عن عكرمة، فـي قوله: وَتَرَى الفُلْكَ مَـوَاخرَ فِــيهِ قـال: ما أخذ عن يـمين السفـينة وعن يسارها من الـماء، فهو الـمواخر.

16256ـ حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبـي، عن أبـي مكيـن، عـن عكرمـة، فـي قوله: وَتَرَى الفُلْكَ مَوَاخرَ فِـيهِ قال: هي السفـينة تقول بـالــماء هكـذا، يعنـي تشقه.

وقال آخرون فـيه، ما:

16257ـ حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبو أسامة، عن إسماعيـل، عن أبــي صالـح: وَتَرَى الفُلْكَ مَوَاخرَ فِـيهِ قال: تـجري فـيه متعرضّة.

وقال آخرون فـيه، بـما:

16258ـ حدثني به محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: وَتَرَى الفُلْكَ مَوَاخرَ فِيهِ قال: تمخر السفينة الرياح، ولا تمخر الريحَ من السفن إلا الفلك العظامُ.

حدثني الحرث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء وحدثني المثنى، قال: أخبرنا أبو حُذيفة، قال: حدثنا شبل وحدثني المثنى، قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا عبد الله، عن ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه، غير أن الحرث قال في حديثه: ولا تمخر الرياح من السفن.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، نحوه.

16259ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: مَوَاخرَ قال: تمخر الريح.

وقال آخرون فيه، ما:

16260ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: وَتَرَى الفُلْكَ مَوَاخرَ فِيهِ تجري بريح واحدة، مُقبلة ومُدبرة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: تجري مقبلة ومدبرة بريح واحدة.

16261ـ حدثنا المثنى، قال: أخبرنا إسحاق، قال: حدثنا يحيى بن سعيد، عن يزيد بن إبراهيم، قال: سمعت الحسن: وَتَرَى الفُلْكَ مَوَاخرَ فِيهِ قال: مقبلة ومدبرة بريح واحدة.

والمخْر في كلام العرب: صوت هبوب الريح إذا اشتدّ هبوبها، وهو في هذا الموضع: صوت جري السفينة بالريح إذا عصفت وشقها الماء حينئذ بصدرها، يقال منه: مخرت السفينة تمخر مخرا ومخورا، وهي ماخرة، ويقال: امتخرت الريح وتمخرتها: إذا نظرتَ من أين هبوبها وتسمّعت صوت هبوبها. ومنه قول واصل مولى ابن عيينة: كان يقال: إذا أراد أحدكم البول فليتمخر الريح، يريد بذلك: لينظر من أين مجراها وهبوبها ليستدبرها فلا ترجع عليه البول وتردّه عليه.

وقوله: وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ يقول تعالى ذكره: ولتتصرّفوا في طلب معايشكم بالتجارة سخر لكم. كما:

16262ـ حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ قال: تجارة البرّ والبحر.

وقوله: وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ يقول: ولتشكروا ربكم على ما أنعم به عليكم من ذلك سخر لكم ما سخر من هذه الأشياء التي عدّدها في هذه الآيات.

الآية : 15

القول في تأويل قوله تعالى:

{وَأَلْقَىَ فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُبُلاً لّعَلّكُمْ تَهْتَدُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ومن نِعمه عليكم أيها الناس أيضا، أن ألقى في الأرض رواسي، وهي جمع راسية، وهي الثوابت في الأرض من الجبال. وقوله: أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ يعني: أن لا تميد بكم، وذلك كقوله: يُبَيّنُ اللّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلّوا، والمعنى: أن لا تضلوا. وذلك أنه جلّ ثناؤه أرسى الأرض بالجبال

لئلا يـميد خـلقه الذي علـى ظهرها، بل وقد كانت مائدة قبـل أن تُرْسـى بهـا. كما:

16263ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عـن قتـادة، عـن الـحسن، عن قـيس بـن عبـاد: أن اللـه تبـارك وتعالـى لـما خـلق الأرض جعلت تـمور، قالت الـملائكة: ما هذه بـمقرّة علـى ظهرهـا أحـدا فأصـبحت صبحا وفـيها رواسيها.

16264ـ حدثنـي الـمثنى، قال: حدثنا الـحجاج بـن الـمنهال، قـال: حـدثنا حماد، عن عطاء بن السائب، عن عبد الله بـن حبـيب، عـن علـيّ بـن أبـي طالب، قال: لـما خـلق الله الأرض قَمَصَـت، وقـالت: أي ربّ أتـجعل علـيّ بنـي آدم يعملون علـيّ الـخطايا ويجعلون علـيّ الـخبث؟ قال: فأرسـى اللـه علـيها من الـجبـال ما ترون وما لا ترون، فكان قرارها كاللـحم يترجرج.

والـميد: هو الاضطراب والتكفؤ، يقـال: مـادت السفـينة تـميد ميـدا: إذا تكفأت بأهلها ومالت، ومنه الـميد الذي يعتري راكب البحر، وهو الدوار.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

16265ـ حدثنـي الـمثنى، قال: حدثنا أبو حُذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبـي نـجيح، عن مـجاهد: أنْ تَـمِيدَ بِكُمْ: أن تكفأ بكم.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الـحسين، قال: ثنـي حجاج، عن ابن جريج، عن مـجاهد، مثله.

16266ـ حدثنا الـحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الـرزاق، قـال: أخبرنـا معمر، عن قتادة، عن الـحسن، فـي قـوله: وألْقَـى فِـي الأرْضِ رَوَاسِـيَ أنْ تَـمِيدُ بِكُمْ قال: الـجبـال أن تـميد بكم. قال: قتادة: سمعت الـحسن يقـول: لـما خـلقت الأرض كادت تـميد، فقالوا: ما هذه بـمقرّة علـى ظهرهـا أحـدا فأصبحوا وقد خُـلقت الـجبـال، فلـم تدر الـملائكة مـم خُـلقت الـجبـال.

وقوله: وأنهَارا يقول: وجعل فـيها أنهارا، فعطف بـالأنهار علـى الرواسي، وأعمل فـيها ما أعمل فـي الرواسي، إذ كان مفهومـا معنـى الكلام والـمراد منه وذلك نظير قول الراجز:

تَسْمَعُ فـي أجْوَافِهِنّ صَوْرَاوفـي الـيَدَيْنِ حَشّةً وبَوْرَا

والـحشة: الـيُبس، فعطف بـالـحشة علـى الصـوت، والـحشة لا تسـمع، إذ كان مفهوما الـمراد منه وأن معناه وترى فـي الـيدين حَشّةً.

وقوله: وَسُبُلاً وهي جمع سبـيـل، كما الطرق جمع طريق. ومعنـى الكلام: وجعل لكم أيها الناس فـي الأرض سُـبلاً وفجاجـا تسـلكونها وتسـيرون فـيها فـي حوائجكم وطلب معايشكم رحمـة بكـم ونعمـة منـه بـذلك علـيكم ولـو عماها لهلكتـم ضلالاً وحيرة.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

16267ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: سُبُلاً: أي طرقا.

16268ـ حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى، قال: حـدثنا مـحمد بـن ثـور، عـن معمر، عن قتادة: سُبُلاً قال: طرقا. وقوله لَعَلّكُمْ تَهْتَدُونَ يقول: لكي تهتـدوا بهـذه السـبل التـي جعلها لكـم فـي الأرض إلـى الأماكن التـي تقصـدون والـمواضع التـي تريدون، فلا تضلوا وتتـحيروا.

الآية : 16

القول فـي تأويـل قوله تعالـى:

{وَعَلامَاتٍ وَبِالنّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ }.

اختلف أهل التأويل في المعنّى بالعلامات، فقال بعضهم: عُني بها معالم الطرق بالنهار. ذكر من قال ذلك:

16269ـ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: وَعَلاماتٍ وبالنّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ يعني بالعلامات: معالم الطرق بالنهار، وبالنجم هم يهتدون بالليل.

وقال آخرون: عُني بها النجوم. ذكر من قال ذلك:

16270ـ حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا يحيى، عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم: وَعَلاماتٍ وبالنّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ قال: منها ما يكون علامات، ومنها ما يهتدون به.

16271ـ حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبي، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد: وَعَلاماتٍ وبالنّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ قال: منها ما يكون علامة، ومنها ما يهتدي به.

حدثني المثنى، قال: أخبرنا إسحاق، قال: حدثنا وكيع، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد، مثله.

حدثني المثنى، قال: أخبرنا إسحاق، قال: حدثنا قبيصة، عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، مثله.

قال: المثنى، قال: حدثنا إسحاق خالف قبيصة وكيعا في الإسناد.

16272ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَعَلاماتٍ وبالنّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ والعلامات: النجوم، وإن الله تبارك وتعالى إنما خلق هذه النجوم لثلاث خصلات: جعلها زينة للسماء، وجعلها يهتدي بها، وجعلها رجوما للشياطين. فمن تعاطى فيها غير ذلك، فَقَدَ رَأيه وأخطأ حظه وأضاع نصيبه وتكلّف ما لا علم له به.

16273ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتاد: وَعَلاماتٍ قال النجوم.

وقال آخرون: عُني بها الجبال. ذكر من قال ذلك:

16274ـ حدثنا محمد، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الكلبي: وَعَلاماتٍ قال: الجبال.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره عدّد على عباده من نعمه، إنعامَهُ عليهم بما جعل لهم من العلامات التي يهتدون بها في مسالكهم وطرقهم التي يسيرونها، ولم يخصص بذلك بعض العلامات دون بعض، فكلّ علامة استدلّ بها الناس على طرقهم وفجاج سُبلهم فداخل في قوله: وَعَلاماتٍ. والطرق المسبولة: الموطوءة، علامة للناحية المقصودة، والجبال علامات يهتدي بهنّ إلى قصد السبيل، وكذلك النجوم بالليل. غير أن الذي هو أولى بتأويل الآية أن تكون العلامات من أدلة النهار، إذ كان الله قد فصل منها أدلة الليل بقوله: وبالنّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ. وإذا كان ذلك أشبه وأولى بتأويل الآية، فالواجب أن يكون

القول في ذلك ما قاله ابن عباس في الخبر الذي رويناه عن عطية عنه، وهو أن العلامات معالم الطرق وأماراتها التي يهتدى بها إلى المستقيم منها نهارا، وأن يكون النجم الذي يهتدى به ليلاً هو الجدي والفرقدان، لأن بها اهتداء السفر دون غيرها من النجوم. فتأويل الكلام إذن: وجعل لكم

أيها الناس علامات تستدلون بها نهارا على طرقكم في أسفاركم. ونجوما تهتدون بها ليلاً في سُبلكم.

الآية : 17 و 18

القول في تأويل قوله تعالى:

{أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكّرُونَ * وَإِن تَعُدّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَآ إِنّ اللّهَ لَغَفُورٌ رّحِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره لعبدة الأوثان والأصنام: أفمن يخلق هذه الخلائق العجيبة التي عددناها عليكم وينعم عليكم هذه النعم العظيمة، كمن لا يخلق شيئا ولا ينعم عليكم نعمة صغيرة ولا كبيرة؟ يقول: أتشركون هذا في عبادة هذا؟ يعرّفهم بذلك عظم جهلهم وسوء نظرهم لأنفسهم وقلّة شكرهم لمن أنعم عليهم بالنعم التي عدّدها عليهم التي لا يحصيها أحد غيره، قال لهم جلّ ثناؤه موبخهم: أفَلا تَذَكّرُونَ أيها الناس يقول: أفلا تذكرون نعم الله عليكم وعظيم سُلطانه وقُدرته على ما شاء، وعجز أوثانكم وضعفها ومهانتها، وأنها لا تجلب إلى نفسها نفعا ولا تدفع عنها ضرّا، فتعرفوا بذلك خطأ ما أنتم عليه مقيمون من عبادتكموها وإقراركم لها بالألوهة؟ كما:

16275ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: أفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لاَ يخْلُقُ أفَلا تَذَكّرُونَ واللهِ هو الخالق الرازق، وهذه الأوثان التي تعبد من دون الله تُخْلق ولا تَخْلُق شيئا، ولا تملك لأهلها ضرّا ولا نفعا، قال الله: أفلا تذكّرون.

وقيل: كَمَنْ لاَ يَخْلُقُ هو الوثن والصنم، و «من» لذوي التمييز خاصة، فجعل في هذا الموضع لغيرهم للتمييز، إذ وقع تفصيلاً بين من يُخْلق ومن لا يَخْلُق. ومحكّى عن العرب: اشتبه عليّ الراكب وجمله، فما أدري مَنْ ذا ومَنْ ذا، حيث جمعا وأحدهما إنسان حسنت «مَنْ» فيهما جميعا ومنه قول الله عزّ وجلّ: فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي على بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي على رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي على أرْبَعٍ.

وقوله: وَإنْ تَعُدّوا نِعْمَةَ اللّهِ لا تُحْصُوها لا تطيقوا أداء شكرها. إنّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ يقول جلّ ثناؤه: إن الله لغفور لما كان منكم من تقصير في شكر بعض ذلك إذا تبتم وأنبتم إلى طاعته واتباع مرضاته، رحيم بكم أن يعذّبكم عليه بعد الإنابة إليه والتوبة.

الآية : 19 و 20

القول في تأويل قوله تعالى:

{وَاللّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * وَالّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ }.

يقول تعالى ذكره: والله الذي هو إلهكم أيها الناس، يعلم ما تسرّون في أنفسكم من ضمائركم فتخفونه عن غيركم، فما تبدونه بألسنتكم وجوارحكم وما تعلنونه بألسنتكم وجوارحكم وأفعالكم، وهو محص ذلك كله عليكم، حتى يجازيكم به يوم القيامة، المحسن منكم بإحسانه والمسيء منكم بإساءته، ومُسائلكم عما كان منكم من الشكر في الدنيا على نعمة

التي أنعمها عليكم فما التي أحصيتم والتي لم تحصوا. وقوله: والّذِين تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئا وَهُمْ يُخْلَقُونَ يقول تعالى ذكره: وأوثانكم الذين تدعون من دون الله أيها الناس آلهة لا تَخْلُق شيئا وهي تُخْلَقَ، فكيف يكون إلها ما كان مصنوعا مدّبرا لا تملك لأنفسها نفعا ولا ضرّا؟

الآية : 21

القول في تأويل قوله تعالى: {أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيّانَ يُبْعَثُونَ }.

يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين من قريش: والذين تدعون من دون الله أيها الناس أمْوَاتٌ غيرُ أحْياءٍ. وجعلها جلّ ثناؤه أمواتا غير أحياء، إذ كانت لا أرواح فيها. كما:

16276ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: أمْوَاتٌ غيرُ أحْياءٍ ومَا يَشْعُرُونَ أيّانَ يُبْعَثُونَ وهي هذه الأوثان التي تُعبد من دون الله أموات لا أرواح فيها، ولا تملك لأهلها ضرّا ولا نفعا.

وفي رفع الأموات وجهان: أحدهما أن يكون خبرا للذين، والآخر على الاستئناف. وقوله: ومَا يَشْعُرُونَ يقول: وما تدري أصنامكم التي تدعون من دون الله متى تبعث. وقيل: إنما عنى بذلك الكفار، أنهم لا يدرون متى يبعثون.

الآية : 22

القول في تأويل قوله تعالى: {إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مّنكِرَةٌ وَهُم مّسْتَكْبِرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: معبودكم الذي يستحقّ عليكم العبادة وإفراد الطاعة له دون سائر الأشياء معبود واحد، لأنه لا تصلح العبادة إلا له، فأفردوا له الطاعة وأخلصوا له العبادة ولا تجعلوا معه شريكا سواه. فالّذِينَ لا يُوءْمِنُونَ بالآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ يقول تعالى ذكره: فالذين لا يصدّقون بوعد الله ووعيده ولا يقرّون بالمعاد إليه بعد الممات قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ يقول تعالى ذكره: مستنكرة لما نقص عليهم من قدرة الله وعظمته وجميل نعمة عليهم، وأن العبادة لا تصلح إلا له والألوهة ليست لشيء غيره يقول: وهم مستكبرون عن إفراد الله بالألوهة والإقرار له بالوحدانية، اتباعا منهم لما مضى عليه من الشرك بالله أسلافهم. كما:

16277ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: فالّذِينَ لا يُوءْمِنُونَ بالآخِرةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ لهذا الحديث الذي مضى، وهم مستكبرون عنه.

الآية : 23

القول في تأويل قوله تعالى: {لاَ جَرَمَ أَنّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنّهُ لاَ يُحِبّ الْمُسْتَكْبِرِينَ }.

يعني تعالى ذكره بقوله: لا جرم حقّا أن الله يعلم ما يسرّ هؤلاء المشركون من إنكارهم ما ذكرنا من الأنباء في هذه السورة، واعتقادهم نكير قولنا لهم: إلهكم إله واحد، واستكبارهم على الله، وما يعلنون من كفرهم بالله وفريتهم عليه. إنّهُ لا يُحِبّ المُسْتَكْبِرِينَ يقول: إن الله لا يحبّ المستكبرين عليه أن يوحدوه ويخلعوا ما دونه من الآلهة والأنداد. كما:

16278ـ حدثنا محمد بن عمرو، قال: حدثنا جعفر بن عون، قال: حدثنا مِسْعر، عن رجل: أن الحسن بن عليّ كان يجلس إلى المساكين، ثم يقول: إنّهُ لا يُحِبّ المُسْتَكْبِرينَ.

الآية : 24

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مّاذَآ أَنْزَلَ رَبّكُمْ قَالُواْ أَسَاطِيرُ الأوّلِينَ }.

يقول تعالى ذكره: وإذا قيل لهؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة من المشركين: ماذَا أَنْزَلَ رَبّكُمْ أيّ شيء أنزل ربكم؟ قالوا: الذي أنزل ما سطّره الأوّلون من قبلنا من الأباطيل. وكان ذلك كما:

16279ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ماذَا أَنْزَلَ رَبّكُمْ قالُوا أساطِيرُ الأوّلِينَ يقول: أحاديث الأوّلين وباطلهم، قال ذلك قوم من مشركي العرب كانوا يقعدون بطريق من أتى نبيّ الله صلى الله عليه وسلم، فإذا مرّ بهم أحد من المؤمنين يريد نبيّ الله صلى الله عليه وسلم، قالوا لهم: أساطير الأوّلين، يريد: أحاديث الأوّلين وباطلهم.

16280ـ حدثني المثنى، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: أساطِيرُ الأوّلِينَ يقول: أحاديث الأوّلين.

الآية : 25

القول في تأويل قوله تعالى: {لِيَحْمِلُواْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الّذِينَ يُضِلّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلاَ سَآءَ مَا يَزِرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: يقول هؤلاء المشركون لمن سألهم ماذا أنزل ربكم: الذي أنزل ربنا فيما يزعم محمد عليه أساطير الأوّلين، لتكون لهم ذنوبهم التي هم عليها مقيمون من تكذيبهم الله، وكفرهم بما أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم، ومن ذنوب الذين يصدّونهم عن الإيمان بالله يضلون يفتنون منهم بغير علم. وقوله: ألا ساءَ ما يَزِرُونَ يقول: ألا ساء الإثم الذي يأثمون والثقل الذي يتحملون.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16281ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن نجيح، عن مجاهد، قوله: لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كامِلَةً يَوْمَ القِيامَةِ ومن أوزار من أضلوا احتمالهم ذنوب أنفسهم وذنوب من أطاعهم، ولا يخفف ذلك عمن أطاعهم من العذاب شيئا.

حدثنا الحرث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، نحوه، إلا أنه قال: ومن أوزار الذين يضلونهم حملهم ذنوب أنفسهم، وسائر الحديث مثله.

حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حُذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد وحدثني المثنى، قال: أخبرنا إسحاق، قال: حدثنا عبد الله، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كامِلَةً يَوْمَ القِيامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الّذِينَ يُضِلّونَهُمْ قال: حملهم ذنوب أنفسهم وذنوب من أطاعهم، ولا يخفف ذلك عمن أطاعهم من العذاب شيئا.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، نحوه.

16282ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كامِلَةً يَوْمَ القِيامَةِ أي ذنوبهم وذنوب الذين يضلونهم بغير علم، ألا ساءَ ما يَزِرُونَ.

16283ـ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كامِلَةً يَوْمَ القِيامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الّذِينَ يُضِلّونَهُمْ بغيرِ عِلْمٍ يقول: يحملون ذنوبهم، وذلك مثل قوله: وأثْقالاً مَعَ أثْقالِهِمْ يقول: يحمّلون مع ذنوبهم ذنوب الذين يُضِلّونهم بغير علم.

16284ـ حدثني المثنى، قال: أخبرنا إسحاق، قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كامِلَةً يَوْمَ القِيامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الّذِينَ يُضِلّونَهُمْ بغيرِ عِلْمٍ ألا ساءَ ما يَزِرُونَ قال: قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «أيّمَا دَاعٍ دَعا إلى ضَلالَةٍ فاتّبِعَ، فإنّ عَلَيْهِ مِثْلَ أَوْزَارِ مَن اتّبَعَهُ مِنْ غيرِ أنْ يُنْقَصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ. وأيّمَا دَاعٍ دَعا إلى هُدًى فاتّبِعَ، فَلَهُ مِثْلُ أجُورِهِمْ مِنْ غيرِ أنْ يُنْقَصَ مِنْ أجُورِهِمْ شَيْءٌ».

16285ـ حدثني المثنى، قال: أخبرنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن رجل، قال: قال زيد بن أسلم: إنه بلغه أنه يتمثل للكافر عمله في صورة أقبح ما خلق الله وجها وأنتنه ريحا، فيجلس إلى جنبه، كلما أفزعه شيء زاده فزعا وكلما تخوّف شيئا زاده خوفا، فيقول: بئس الصاحب أنت ومن أنت؟ فيقول: وما تعرفني؟ فيقول: لا، فيقول: أنا عملك كان قبيحا فلذلك تراني قبيحا، وكان منتنا فلذلك تراني منتنا، طأطىء إليّ أركبك فطالما ركبتني في الدنيا فيركبه، وهو قوله: لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كامِلَةً يَوْمَ القِيامَةِ.

الآية : 26

القول في تأويل قوله تعالى: {قَدْ مَكَرَ الّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللّهُ بُنْيَانَهُمْ مّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرّ عَلَيْهِمُ السّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: قد مكر الذين من قبل هؤلاء المشركين الذين يصدّون عن سبيل الله من أراد اتباع دين الله، فراموا مغالبة الله ببناءٍ بَنَوه، يريدون بزعمهم الارتفاع إلى السماء لحرب من فيها. وكان الذي رام ذلك فيما ذُكر لنا جبار من جبابرة النّبَط فقال بعضهم: هو نمرو بن كنعان، وقال بعضهم: هو بختنصر، وقد ذكرت بعض أخبارهما في سورة إبراهيم. وقيل: إن الذي ذُكر في هذا الموضع هو الذي ذكره الله في سورة إبراهيم. ذكر من قال ذلك:

16286ـ حدثني موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو، قال: حدثنا أسباط، عن السديّ، قال: أمر الذين حاجّ إبراهيم في ربه بإبراهيم فأُخْرِجَ، يعني من مدينته، قال: فلقي لوطا على باب المدينة وهو ابن أخيه، فدعاه فآمن به، وقال: إني مهاجر إلى ربي. وحلف نمرود أن يطلب إله إبراهيم، فأخذ أربعة أفراخ من فِراخ النسور، فربّاهنّ باللحم والخبز حتى كبرن وغلظن واستعجلن، فربطهنّ في تابوت، وقعد في ذلك التابوت ثم رفع لهنّ رجلاً من لحم، فطرن، حتى إذا ذهبن في السماء أشرف ينظر إلى الأرض، فرأى الجبال تدبّ كدبيب النمل. ثم رفع لهنّ اللحم، ثم نظر فرأى الأرض محيطا بها بحر كأنها فلكة في ماء. ثم رفع طويلاً

فوقع في ظلمة، فلم ير ما فوقه وما تحته، ففزع، فألقى اللحم، فاتّبعته منقضّات. فلما نظرت الجبال إليهنّ، وقد أقبلن منقضات وسمعت حفيفهنّ، فزعت الجبال، وكادت أن تزول من أمكنتها ولم يفعلن وذلك قول الله تعالى: وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبالُ، وهي في قراءة ابن مسعود: «وَإِنْ كادَ مَكْرُهُمْ». فكان طَيْرُورتهن به من بيت المقدس ووقوعهن به في جبل الدخان. فلما رأى أنه لا يطيق شيئا أخذ في بنيان الصرح، فبنى حتى إذا شيده إلى السماء ارتقى فوقه ينظر، يزعم إلى إله إبراهيم، فأحدث، ولم يكن يُحدث وأخذ الله بنيانه من القواعد فَخَرّ عَلَيْهِمُ السّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وأتاهُمُ العَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ يقول: من مأمنهم، وأخذهم من أساس الصرح، فتنقّض بهم فسقط. فتبلبلت ألسن الناس يومئذ من الفزع، فتكلموا بثلاثة وسبعين لسانا، فلذلك سميت بابل. وإنما كان لسان الناس من قبل ذلك بالسريانية.

16287ـ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: وَقَدْ مَكَرَ الّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فأتَى اللّهُ بُنيانَهُمْ مِنَ القَوَاعِدِ قال: هو نمرود حين بنى الصرح.

16288ـ حدثني المثنى، قال: أخبرنا إسحاق، قال: حدثنا قال: عبد الرزاق، عن معمر، عن زيد بن أسلم: إن أوّل جبار كان في الأرض نمرود، فبعث الله عليه بعوضة فدخلت في منخره، فمكث أربع مئة سنة يُضرب رأسُه بالمطارق، أرحم الناس به من جمع يديه، فضرب رأسه بهما، وكان جبارا أربع مئة سنة، فعذّبه الله أربع مئة سنة كمُلكه، ثم أماته الله. وهو الذي كان بنى صَرْحا إلى السماء، وهو الذي قال الله: فَأَتَى اللّهُ بُنْيانَهُمْ مِنَ القَوَاعِدِ فَخَرّ عَلَيْهِمُ السّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ.

وأما قوله: فأتَى اللّهُ بُنْيانَهُمْ مِنَ القَوَاعِدِ فإن معناه: هدم الله بنيانهم من أصله. والقواعد: جمع قاعدة، وهي الأساس. وكان بعضهم يقول: هذا مثل للاستئصال وإنما معناه: إن الله استأصلهم. وقال: العرب تقول ذلك إذا استؤصل الشيء.

وقوله: فَخَرّ عَلَيْهِمُ السّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معناه: فخرّ عليهم السقف من فوقهم أعالي بيوتهم من فوقهم. ذكر من قال ذلك:

16289ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: قَدْ مَكَرَ الّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فأتَى اللّهُ بُنْيانَهُمْ مِنَ القَوَاعِدِ إي والله، لأتاها أمر الله من أصلها فَخَرّ عَلَيْهِمُ السّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ والسقف: أعالي البيوت، فائتفكت بهم بيوتهم فأهلكهم الله ودمرهم، وأتاهُمُ العَذابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ.

16290ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: فَخَرّ عَلَيْهِمُ السّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ قال: أتى الله بنيانهم من أصوله، فخرّ عليهم السقف.

16291ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء وحدثني المثنى، قال: أخبرنا أبو حُذيفة، قال: حدثنا شبل وحدثني المثنى، قال: أخبرنا إسحاق، قال: حدثنا عبد الله، عن ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح،

عن مـجاهد: فأَتَـى اللّهُ بُنْـيانَهُمْ مِنَ القَوَاعِـدِ قـال: مكـر نــمرود بـن كنعـان الذي حاجّ إبراهيـم فـي ربه.
حدثنا القاسم، قال: حدثنا الـحسين، قال: ثنـي حجاج، عن ابن جريج، عن مـجاهد، مثله.
وقال آخرون: عنى بقوله: فَخَرّ عَلَـيْهِمُ السّقْــفُ مِـنْ فَـوْقِهِمْ أن العـذاب أتاهم من السماء. ذكر من قال ذلك:
16292ـ حدثنـي مـحمد بن سعد، قال: ثنـي أبـي، قال: ثنـي عمي، ق ال: ثنـي أبـي، عن أبـيه، عن ابن عبـاس، قوله: فَخَرّ عَلَـيْهِمُ السّقْـفُ مِنْ فَوْقِهِمْ يقول: عذاب من السماء لَـما رأوه استسلـموا وذلوا.
وأولـى القولـين بتأويـل الآية، قول من قال: معنى ذلك: تساقطت علـيهم سقوف بـيوتهم، إذ أتـى أصولها وقواعدها أمر الله، فــائتفكت بهـم منـازلهم لأن ذلك هو الكلام الــمعروف مـن قواعـد البنــيان وخـرّ السقــف، وتـوجيه معانـي كلام الله إلـى الأشهر الأعرف منها، أولـى من توجيهها إلـى غير ذلـك ما وُجِد إلـيه سبيــل. وأتـاهُمُ العَـذَابُ مِـنْ حَيْـثُ لا يَشْـعُرُونَ يقـول تعالــى ذكره: وأتـى هؤلاء الذين مكروا من قَبْل مشـركي قريـش، عـذاب اللـه مـن حيث لا يدرون أنه أتاهم منه.

الآية : 27

القول فــي تأويــل قـوله تعالــى: {ثُـمّ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ يُخْزِيهِـمْ وَيَقُـولُ أَيْـنَ شُرَكَآئِيَ الّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقّونَ فِيهِمْ قَالَ الّذِينَ أُوتُـواْ الْعِلْـمَ إِنّ الْخِـزْيَ الْيَـوْمَ وَالْسّوَءَ عَلَى الْكَافِرِينَ }.
يقول تعالـى ذكره: فعل الله بهؤلاء الذين مكروا الذين وصف الله جـلّ ثناؤه أمرهم مـا فعـل بهـم فــي الدنــيا مـن تعجيــل العـذاب لهـم والانتقـام بكفرهم وجحودهم وحدانـيته، ثم هو مع ذلك يوم القــيامة مخزيهـم فمـذلهم بعذاب أليــم وقائـل لهـم عنـد ورودهـم علـيه: أيْـنَ شُـرَكائيَ الّـذِينَ كُنْتُـمْ تُشاقّونَ فِـيهم؟ أصله: من شاققت فلانا فهو يشاقّنــي، وذلـك إذا فعـل كـلّ واحد منهما بصاحبه ما يشقّ علـيه. يقول تعالـى ذكـره يـوم القـيامة تقريعـا للــمشركين بعبــادتهم الأصـنام: أيـن شـركائي؟ يقـول: أيـن الـذين كنتــم تزعمون فـي الدنـيا أنهم شركائي الــيوم؟ مـا لهـم لا يحضـرونكم فــيدفعوا عنكـم مـا أنـا مــحلّ بكـم مـن العـذاب، فقـد كنتــم تعبـدونهم فــي الدنــيا وتتولونهم والولـيّ ينصر ولـيه؟ وكانت مشاقتهم الله فـي أوثانهم مخــالفتهم إياه فـي عبـادتهم، كما:
16293ـ حدثنـي الـمثنى، قـال: حـدثنا عبـد اللـه بـن صالــح، قـال: ثنــي معاوية، عن علـي، عن ابن عبـاس، قوله: أيْنَ شُرَكائيَ الّذِينَ كُنْتُـمْ تُشـاقّونَ فِـيهم يقول: تـخالفونـي.
وقوله: قالَ الّذِينَ أُتُوا العلْـمَ إنّ الـخِزْي الــيَوْمَ والسّـوءَ علــى الكـافرِينَ يعنـي: الذلة والهوان، والسّوءَ يعنـي: عذاب الله علـى الكافرين.

الآية : 28

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {الّذِينَ تَتَوَفّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِـهِمْ فَأَلْقَوُاْ السّلَمَ مَا كُنّا نَعْمَلُ مِن سُوَءٍ بَلَىَ إِنّ اللّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ }.
يقول تعالـى ذكره: قال الذين أوتوا العلـم: إن الـخزي الـيوم والسـوء علـى من كفر بـالله فجحد وحدانـيته، الّذِينَ تَتَوَفّـاهُمُ الـمَلائِكَةُ يقول: الــذين

تقبض أرواحهم الملائكة، ظالِمِي أنْفُسِهِمْ يعني: وهم على كفرهم وشركهم بالله. وقيل: إنه عنى بذلك من قتل من قريش ببدر وقد أخرج إليها كرها.

16294ـ حدثني المثنى، قال: أخبرنا إسحاق، قال: حدثنا يعقوب بن محمد الزهري، قال: ثني سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة، قال: كان ناس بمكة أقرّوا بالإسلام ولم يهاجروا، فأخرج بهم كرها إلى بدر، فقتل بعضهم، فأنزل الله فيهم: الّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ المَلائكَةُ ظالِمِي أنْفُسِهِمْ.

وقوله: فَألْقُوا السّلَمَ يقول: فاستسلموا لأمره، وانقادوا له حين عاينوا الموت قد نزل بهم. ما كُنّا نَعْمَلُ منْ سُوءٍ وفي الكلام محذوف استغني بفهم سامعيه ما دلّ عليه الكلام عن ذكره، وهو: قالوا ما كنا نعمل من سوء. يخبر عنهم بذلك أنهم كذّبوا وقالوا: ما كنا نعصِي الله اعتصاما منهم بالباطل رجاء أن ينجوا بذلك،، فكذّبهم الله فقال: بل كنتم تعملون السوء وتصدّون عن سبيل الله. إنّ اللّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ يقول: إن الله ذو علم بما كنتم تعملون في الدنيا من معاصيه وتأتون فيها ما يسخطه.

الآية : 29

القول في تأويل قوله تعالى: {فَادْخُلُواْ أَبْوَابَ جَهَنّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبّرِينَ }.

يقول تعالى ذكره، يقول لهؤلاء الظلمة أنفسهم حين يقولون لربهم: ما كنا نعمل من سوء: ادخلوا أبواب جهنم، يعني: طبقات جهنم، خالِدِينَ فيها يعني: ماكثين فيها، فَلَبِئْسَ مَثْوَى المُتَكَبّرِين يقول: فلبئس منزل من تكبر على الله ولم يقرّ بربوبيته ويصدّق بوحدانيته جهنم.

الآية : 30

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقِيلَ لِلّذِينَ اتّقَوْاْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبّكُمْ قَالُواْ خَيْراً لّلّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَـذِهِ الْدّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الاَخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتّقِينَ }.

يقول تعالى ذكره: وقيل للفريق الآخر الذين هم أهل إيمان وتقوى لله: ماذَا أنْزَل رَبّكُمْ قالُوا خَيْرا يقول: قالوا: أنزل خيرا. وكان بعض أهل العربية من الكوفيين يقول: إنما اختلف الأعراب في قوله: قالُوا أساطِيرُ الأوّلِينَ، وقوله: خَيْرا، والمسئلة قبل الجوابين كليهما واحدة، وهي قوله: ماذَا أنْزَل رَبّكُمْ لأن الكفار جحدوا التنزيل، فقالوا حين سمعوه: أساطير الأوّلين، أي هذا الذي جئت به أساطير الأوّلين ولم ينزل الله منه شيئا. وأما المؤمنون فصدّقوا التنزيل، فقالوا خيرا بمعنى أنه أنزل خيرا، فانتصب بوقوع الفعل من الله على الخير، فلهذا افترقا ثم ابتدأ الخبر فقال: لِلّذِينَ أحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدّنْيا حَسَنَةٌ. وقد بيّنا القول في ذلك فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته.

وقوله: لِلّذِينَ أحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدّنْيا حَسَنَةٌ يقول تعالى ذكره: للذين آمنوا بالله في هذه الدنيا ورسوله وأطاعوه فيها ودعوا عباد الله إلى الإيمان والعمل بما أمر الله به حَسَنَةٌ يقول: كرامة من الله، وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ يقول: ولدار الآخرة خير لَهُمْ مِنْ دَارِ الدّنْيا، وكرامة الله التي أعدّها لهم فيها أعظم من كرامته التي عجلها لهم في الدنيا وَلَنِعْمَ دَارُ المُتّقِينَ

يقول: ولنعم دار الذين خافوا الله في الدنيا فاتقوا عقابه بأداء فرائضه وتجنب معاصيه دار الآخرة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16295ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقُوا ماذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قالُوا خَيْرا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةٌ وهؤلاء مؤمنون، فيقال لهم: ماذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ فيقولون خَيْرا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةٌ: أي آمنوا بالله وأمروا بطاعة الله، وحثوا أهل طاعة الله على الخير ودعوهم إليه.

الآية : 31

القول في تأويل قوله تعالى: {جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآؤونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ }.

يعني تعالى ذكر بقوله: جَنَّاتُ عَدْنٍ بساتين للمقام، وقد بيّنا اختلاف أهل التأويل في معنى عدن فيما مضى بما أغنى عن إعادته. يَدْخُلُونَها يقول: يدخلون جنات عدن. وفي رفع «جناتٌ» أوجه ثلاث: أحدها: أن يكون مرفوعا على الابتداء، والآخر: بالعائد من الذكر في قوله: «يَدْخُلُونَها»، والثالث: على أن يكون خبر النعم، فيكون المعنى إذا جعلت خبر النعم: ولنعم دار المتقين جنات عدن، ويكون «يَدْخُلُونَها» في موضع حال، كما يقال: نعم الدار دار تسكنها أنت. وقد يجوز أن يكون إذا كان الكلام بهذا التأويل «يدخلونها» من صلة «جنات عدن». وقوله: تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنهَارُ يقول: تجري من تحت أشجارها الأنهار. لَهُمْ فِيها ما يشاءُونَ يقول: للذين أحسنوا في هذه الدنيا في جنات عدن ما يشاءون مما تشتهي أنفسهم وتلذّ أعينهم. كَذلكَ يَجْزِي اللَّهُ المُتّقِينَ يقول: كما يجزي الله هؤلاء الذين أحسنوا في هذه الدنيا بما وصف لكم أيها الناس أنه جزاهم به في الدنيا والآخرة، كذلك يجزي الذين اتقوه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه.

الآية : 32

القول في تأويل قوله تعالى: {الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ }.

يقول تعالى ذكره: كذلك يجزي الله المتقين الذين تَقْبِض أرواحَهم ملائكةُ الله، وهم طيبون بتطييب الله إياهم بنظافة الإيمان، وطهر الإسلام في حال حياتهم وحال مماتهم. كما:

16296ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: ثني عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء وحدثني المثنى، قال: أخبرنا أبو حُذيفة، قال: حدثنا شبل وحدثني المثنى، قال: أخبرنا إسحاق، قال: حدثنا عبد الله، عن ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ المَلائِكَةُ طَيِّبِينَ قال: أحياء وأمواتا، قدّر الله ذلك لهم.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

وقوله: يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمْ يعني جلّ ثناؤه أن الملائكة تقبض أرواح هؤلاء المتقين، وهي تقول لهم: سلام عليكم صيروا إلى الجنة بشارة من الله تبشرهم بها الملائكة. كما:

16297ـ حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني أبو صخر، أنه سمع محمد بن كعب القُرَظيّ يقول: إذا استنقعت نفس العبد المؤمن جاءه ملك فقال: السلام عليك وليّ الله، الله يقرأ عليك السلام. ثم نزع بهذه الآية: الَّذِينَ تَتَوَفّاهُمُ الـمَلائِكَةُ طَيّبِـينَ... إلى آخر الآية.

16298ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء الخراسانيّ، عن ابن عباس، قوله: فَسَلامٌ لَكَ مِنْ أصحَابِ اليَمِينِ قال: الملائكة يأتونه بالسلام من قِبَل الله، وتخبره أنه من أصحاب اليمين.

16299ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا الأشبّ أبو عليّ، عن أبي رجاء، عن محمد بن مالك، عن البراء، قال: قوله: سَلامٌ قَوْلاً مِنْ ربّ رَحِيمٍ قال: يسلم عليه عند الموت.

وقوله: بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ يقول: بما كنتم تصيبون في الدنيا أيام حياتكم فيها طاعة الله طلب مرضاته.

الآية : 33

القول في تأويل قوله تعالى: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّهُ وَلَـكِن كَانُواْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ }.

يقول تعالى ذكره: هل ينتظر هؤلاء المشركون إلا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم، أو يأتي أمر ربك بحشرهم لموقف القيامة. كَذلكَ فَعَلَ الّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ يقول جلّ ثناؤه: كما يفعل هؤلاء من انتظارهم ملائكة الله لقبض أرواحهم أو إتيان أمر الله فعل أسلافهم من الكفرة بالله لأن ذلك في كلّ مشرك بالله. وَما ظَلَمَهُمُ اللّهُ يقول جلّ ثناؤه: وما ظلمهم الله بإحلال سُخْطه، ولكِنْ كانُوا أنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ بمعصيتهم ربهم وكفرهم به، حتى استحقوا عقابه، فعجّل لهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16300ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: هَلْ يَنْظُرُونَ إلاّ أنْ تَأْتِيهُمُ الـمَلائِكَةُ قال: بالموت، وقال في آية أخرى: وَلَوْ تَرَى إذْ يَتَوَفّى الّذِينَ كَفَرُوا الـمَلائِكَةُ وهو ملك الموت وله رسل، قال الله تعالى: أوْ يَأْتِيَ أمْرُ رَبّكَ ذاكم يوم القيامة.

16301ـ حدثني المثنى، قال: أخبرنا أبو حُذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: هَلْ يَنْظُرُونَ إلاّ أنْ تَأْتِيَهُمُ الـمَلائِكَةُ يقول: عند الموت حين تتوفاهم، أو يأتي أمر ربك ذلك يوم القيامة.

الآية : 34

القول في تأويل قوله تعالى: {فَأَصَابَهُمْ سَيّئَاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ }.

يقول تعالى ذكره: فأصاب هؤلاء الذين فعلوا من الأمم الماضية فعل هؤلاء المشركين من قريش سيئات ما عملوا يعني عقوبات ذنوبهم ونقم معاصيه التي اكتسبوها. وَحاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ يقول: وحلّ بهم من عذاب الله ما كانوا يستهزئون منه ويسخرون عند إنذارهم ذلك رُسل الله، ونزل ذلك بهم دون غيرهم من أهل الإيمان بالله.

الآية : 35

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقَالَ الّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ اللّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نّحْنُ وَلآ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرّسُلِ إِلاّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ }.

يقول تعالى ذكره: وقال الذين أشركوا بالله فعبدوا الأوثان والأصنام من دون الله: ما نعبد هذه الأصنام إلا لأن الله قد رضي عبادتنا هؤلاء، ولا نحرم ما حرمنا من البحائر والسوائب إلا أن الله شاء منا ومن آبائنا تحريمناها ورضيه، لولا ذلك لقد غير ذلك ببعض عقوباته أو بهدايته إيانا إلى غيره من الأفعال. يقول تعالى ذكره: كذلك فعل الذين من قبلهم من الأمم المشركة الذين استنّ هؤلاء سنتهم، فقالوا مثل قولهم، وسلكوا سبيلهم في تكذيب رسل الله واتباع أفعال آبائهم الضلال. وقوله: فَهَلْ على الرّسُلِ إلاّ البَلاغُ المُبِينُ يقول جلّ ثناؤه: فهل أيها القائلون لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا على رسلنا الذين نرسلهم بانذاركم عقوبتنا على كفركم، إلا البلاغ المبين يقول: إلا أن تبلغكم ما أرسلنا إليكم من الرسالة. ويعني بقوله المُبِينُ: الذي يبين عن معناه لمن أبلغه، ويفهمه من أرسل إليه.

الآية : 36

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلّ أُمّةٍ رّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الْطّاغُوتَ فَمِنْهُم مّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُمْ مّنْ حَقّتْ عَلَيْهِ الضّلاَلَةُ فَسِيرُواْ فِي الأرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذّبِينَ }.

يقول تعالى ذكره: ولقد بعثنا أيها الناس في كلّ أمة سلفت قبلكم رسولاً كما بعثنا فيكم بأن اعبدوا الله وحده لا شريك له وأفردوا له الطاعة وأخلصوا له العبادة، وَاجْتَنِبُوا الطّاغُوتَ يقول: وابعدوا م ن الشيطان، واحذروا أن يغويكم ويصدّكم عن سبيل الله فتضلوا. فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللّهُ يقول: فممن بعثنا فيهم رسلنا من هدى الله، فوفّقه لتصديق رسله والقبول منها والإيمان بالله والعمل بطاعته، ففاز وأفلح ونجا من عذاب الله وَمِنْهُمْ مَنْ حَقّتْ عَلَيْهِ الضّلاَلَةُ يقول: ومن بعثنا رسلنا إليه من الأمم آخرون حقّت عليهم الضلالة، فجاروا عن قصد السبيل، فكفروا بالله وكذّبوا رسله واتبعوا الطاغوت، فأهلكهم الله بعقابه وأنزل عليهم بأسه الذي لا يردّ عن القوم المجرمين. فَسِيرُوا فِي الأرْضِ فانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ المُكَذّبِينَ يقول تعالى ذكره لمشركي قريش: إن كنتم أيها الناس غير مصدّقي رسولنا فيما يخبركم به عن هؤلاء الأمم الذين حلّ بهم ما حلّ من بأسنا بكفرهم بالله وتكذيبهم رسوله، فسيروا في الأرض التي كانوا يسكنونها والبلاد التي كانوا يعمرونها فانظروا إلى آثار الله فيهم وآثار سخطه النازل بهم، كيف أعقبهم تكذيبهم رسل الله ما أعقبهم، فإنكم ترون حقيقة ذلك وتعلمون به صحة الخبر الذي يخبركم به محمد صلى الله عليه وسلم.

الآية : 37

القول في تأويل قوله تعالى: {إِن تَحْرِصْ عَلَىَ هُدَاهُمْ فَإِنّ اللّهَ لاَ يَهْدِي مَن يُضِلّ وَمَا لَهُمْ مّن نّاصِرِينَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: إن تحرص يا محمد على هدى هؤلاء المشركين إلى الإيمان بالله واتباع الحقّ فإنّ اللّهَ لا يَهْدِي مَنْ يُضِلّ.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامّة قرّاء الكوفيين: فإنّ اللّهَ لا يَهْدِي مَنْ يَضِلّ بفتح الياء من «يهدي»، وضمها من «يضلّ». وقد اختلف في معنى ذلك قارئوه كذلك، فكان بعض نحويي الكوفة يزعم أن معناه: فإن الله من أضله لا يهتدي، وقال: العرب تقول: قد هُدي الرجل يريدون قد اهتدى، وهُدي واهتدي بمعنى واحد. وكان آخرون منهم يزعمون أن معناه: فإن الله لا يهدي من أضله، بمعنى: أن من أضله الله فإن الله لا يهديه. وقرأ ذلك عامّة قرّاء المدينة والشام والبصرة: «فإنّ اللّهَ لاَ يُهْدَى» بضم الياء من «يُهدى» ومن «يُضل» وفتح الدال من «يُهدَى» بمعنى: من أضله الله فلا هادي له.

وهذه القراءة أولى القراءتين عندي بالصواب، لأن يَهْدي بمعنى يهتدى قليل في كلام العرب غير مستفيض، وأنه لا فائدة في قول قائل: من أضله الله فلا يهديه، لأن ذلك مما لا يجهله أحد. وإذ كان ذلك كذلك، فالقراءة بما كان مستفيضا في كلام العرب من اللغة بما فيه الفائدة العظيمة أولى وأحرى.

فتأويل الكلام لو كان الأمر على ما وصفنا: إن تحرص يا محمد على هداهم، فإن من أضله الله فلا هادي له، فلا تجهد نفسك في أمره وبلغه ما أرسلت به لتتمّ عليه الحجة. وَما لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ يقول: وما لهم من ناصر ينصرهم من الله إذا أراد عقوبتهم، فيحول بين الله وبين ما أراد من عقوبتهم.

وفي قوله: إنْ تَحْرِصْ لغتان: فمن العرب من يقول: حَرَصَ يَحْرِصُ بفتح الراء في فعَل وكسرها في يفعل. وحَرِصَ يَحْرَصُ بكسر الراء في فعِل وفتحها في يفعَل. والقراءة على الفتح في الماضي والكسر في المستقبل، وهي لغة أهل الحجاز.

الآية : 38

القول في تأويل قوله تعالى {وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ اللّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً وَلَـكِنّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وحلف هؤلاء المشركون من قريش بالله جَهْد أيْمانِهِمْ حلفهم، لا يبعث الله من يموت بعد مماته، وكذبوا وأبطلوا في أيمانهم التي حلفوا بها كذلك، بل سيبعثه الله بعد مماته، وعدا عليه أن يبعثهم وعد عباده، والله لا يخلف الميعاد. ولَكِنّ أكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ يقول: ولكن أكثر قريش لا يعلمون وعد الله عباده أنه باعثهم يوم القيامة بعد مماتهم أحياء.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16302ـ حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وأقْسَمُوا باللّهِ جَهْدَ أيمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللّهُ مَنْ يَمُوتُ تكذيبا بأمر الله أو بأمرنا، فإن الناس صاروا في البعث فريقين: مكذّب ومصدّق. ذُكر لنا أن رجلاً قال لابن عباس: إن ناسا بهذا العراق يزعمون أن عليّا مبعوث قبل يوم القيامة، ويتأوّلون هذه الآية فقال ابن عباس: كذب أولئك،

إنـما هذه الآية للناس عامّة، ولعمري لو كان علـيّ مبعوثا قبـل يـوم القــيامة ما أنكحنا نساءه ولا قسمنا ميراثه

16303ـ حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى، قال: حـدثنا مــحمد بـن ثـور، عـن معمر، عن قتادة، قال: قال ابن عبـاس: إن رجالاً يقولون: إن علـيّا مبعــوث قبل يوم القـيامة، ويتأوّلون: وأقْسَمُوا بـاللّهِ جَهْدَ أيـمَانِهِمْ لا يَبْعَـثُ اللّـهُ مَـنْ يَـمُوتُ بَلـى وَعْدا عَلَـيْهِ حَقّا وَلكِنّ أكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَـمُونَ قال: لـو كنـا نعلــم أن علـيّا مبعوث، ما تزوّجنا نساءه ولا قسمنا ميراثه، ولكن هذه للناس عامة.

16304ـ حدثنـي الـمثنى، قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا عبـد اللـه، عـن أبـيه، عن الربـيع، فـي قوله: وأقْسَمُوا بـاللّهِ جَهْدَ أيـمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللّـهُ مَـنْ يَـمُوتُ قال: حلف رجل من أصحاب النبـيّ صلى الله علَيه وسلم عنـد رجـل من الـمكذّبـين، فقال: والذي يرسـل الـروح مـن بعـد الــموت فقـال: وإنـك لتزعم أنك مبعوث من بعد الـموت؟ وأقسم بـالله جهـد يــمينه لا يبعـث اللـه من يـموت.

16305ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الـحسين، قال: ثنـي حجاج، عن أبــي جعفر، عن الربـيع، عن أبـي العالـية، قال: كان لرجل من الـمسلـمين علــى رجل من الـمشركين ديـن، فأتـاه يتقاضـاه، فكـان فـيــما تكلــم بـه: والـذي أرجوه بعد الــموت إنـه لكـذا فقـال الــمشرك: إنـك تزعـم أنـك تُبعـث بعـد الـموت؟ فأقسم بـالله جهـد يــمينه لا يبعـث اللـه مـن يــموت فـأنزل اللـه: وأقْسَمُوا بـاللّهِ جَهْدَ أيـمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللّهُ مَنْ يَـمُوتُ بَلــى وَعْـدا عَلَـيْهِ حَقّـا وَلكِنّ أكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَـمُونَ.

16306ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الـحسين، قال: ثنـي حجاج، عن عطاء بن أبـي ربـاح أنه أخبره أنه سمع أبـا هريرة يقول: «قـال اللـه: سبنــي ابـن آدم، ولـم يكن ينبغي له أن يسبنـي، وكذّبنـي ولـم يكن ينبغي له أن يكذّبنــي فأما تكذيبه إياي فقال: وأقْسَمُوا بـاللّهِ جَهْدَ أيـمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللّهُ مَنْ يَـمُوتُ قال: قلت: بَلـى وَعْدا عَلَـيْهِ حَقّا. وأما سَبّه إياي فقَال: إنّ اللّـهَ ثـالثُ ثَلاثَـةٍ، وقلت: قُلْ هُوَ اللّهُ أحَدٌ اللّهُ الصّمَدُ لَـمْ يَـلِدْ ولَــمْ يُولَـدْ ولَــمْ يَكُـنْ لَـهُ كُفُـوا أحَدٌ».

الآية : 39

القول فِـي تأويـل قوله تعالـى {لِيُبَيّنَ لَهُمُ الّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الّـذِينَ كَفَرُواْ أَنّهُمْ كَانُواْ كَاذِبِينَ }.

يقول تعالـى ذكره: بل لَـيبعثنّ الله من يـموت وعدا علـيه حقّا، لـيبــين لهؤلاء الذين يزعمون أن الله لا يبعث مـن يــموت ولغيرهـم الـذي يختلفـون فـيه من إحياء اللـه خــلقه بعـد فنـائهم، ولـيعلــم الـذين جحـدوا صـحة ذلـك وأنكروا حقـيقته أنهم كانوا كاذبـين فــي قـيــلهم لا يبعـث اللـه مـن يــموت. كما:

16307ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: لِـيُبَـيّنَ لَهُمُ الّذِي يَخْتَلِفُونَ فِـيهِ قال: للناس عامّة.

الآية : 40 و 41

القول في تأويل قوله تعالى {إِنّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَاهُ أَن نّقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * وَالّذِينَ هَاجَرُواْ فِي اللّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوّئَنّهُمْ فِي الدّنْيَا حَسَنَةً وَلأجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ }.

يقول تعالى ذكره: إنا إذا أردنا أن نبعث من يموت فلا تعب علينا ولا نصب في إحيائناهم، ولا في غير ذلك مما نخلق ونكوّن ونحدث لأنا إذا أردنا خلقه وإنشاءه فإنما نقول له كن فيكون، لا معاناة فيه ولا كُلفة علينا.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: «يكون» فقرأه أكثر قرّاء الحجاز والعراق على الابتداء، وعلى أن قوله: إنّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إذَا أَرَدْناهُ أنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ كلام تامّ مكتف بنفسه عما بعده، ثم يبتدأ فيقال: «فيكونُ»، كما قال الشاعر:

(يُرِيدُ أنْ يُعْرِبَهُ فيعجِمُهْ)

وقرأ ذلك بعض قرّاء أهل الشام وبعض المتأخرين من قرّاء الكوفيين: «فَيَكُونَ» نصبا، عطفا على قوله: أنْ نَقُولَ لَهُ. وكأن معنى الكلام على مذهبهم: ما قولنا لشيء إذا أردناه إلاّ أن نقول له: كن، فيكون. وقد حُكي عن العرب سماعا: أريد أن آتيك فيَمْنَعَني المطر، عطفا ب «يَمْنَعَني» على «آتيك».

وقوله: وَالّذِينَ هاجَرُوا في اللّهِ مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا لَنُبَوّئَنّهُمْ فِي الدّنْيا حَسَنَةً يقول تعالى ذكره: والذين فارقوا قومهم ودورهم وأوطانهم عداوة لهم في الله على كفرهم إلى آخرين غيرهم. مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا يقول: من بعد ما نيل منهم في أنفسهم بالمكاره في ذات الله. لَنُبَوّئَنّهُمْ فِي الدّنْيا حَسَنَةً يقول: لنسكننهم في الدنيا مسكنا يرضونه صالحا.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16308ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَالّذِينَ هاجَرُوا فِي اللّهِ مِنْ بَعْدِ م ا ظُلِمُوا لَنُبَوّئَنّهُمْ ق ال: هؤلاء أصحاب محمد ظلمهم أهل مكة، فأخرجوهم من ديارهم حتى لحق طوائف منهم بالحبشة، ثم بوأهم الله المدينة بعد ذلك فجعلها لهم دار هجرة، وجعل لهم أنصارا من المؤمنين.

16309ـ حُدثت عن القاسم بن سلام، قال: حدثنا هشيم، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي: لَنُبَوّئَنّهُمْ فِي الدّنْيا حَسَنَةً قال: المدينة.

16310ـ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، ق ال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: وَالّذِينَ هاجَرُوا فِي اللّهِ مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا لَنُبَوّئَنّهُمْ فِي الدّنْيا حَسَنَةً قال: هم قوم هاجروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل مكة بعد ظلمهم، وظَلَمَهُم المشركون.

وقال آخرون: عنى بقوله: لَنُبَوّئَنّهُمْ فِي الدّنْيا حَسَنَةً لنرزقنهم في الدنيا رزقا حسنا. ذكر من قال ذلك:

16311ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء وحدثني المثنى، قال: أخبرنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد لَنُبَوّئَنّهُمْ لنرزقنهم في الدنيا رزقا حسنا.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

16312ـ حدثني الحرث، قال: حدثنا القاسم، قال: حدثنا هشيم، عن العوامّ، عمن حدثه أن عمر بن الخطاب كان إذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاءه يقول: خذ بارك الله لك فيه، هذا ما وعدك الله في الدنيا، وما ذخره لك في الآخرة أفضل. ثم تلا هذه الآية: لَنُبَوّئَنّهُمْ فِي الدّنْيا حَسَنَةً ولأَجْرُ الآخرَةِ أكْبَرُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معنى لَنُبَوّئَنّهُمْ: لنحلنهم ولنسكننهم، لأن التبوأ في كلام العرب الحلول بالمكان والنزول به. ومنه قول الله تعالى: وَلَقَدْ بَوّأْنا بَني إسْرَائيلَ مُبَوّأَ صدْق. وقيل: إن هذه الآية نزلت في أبي جندل بن سهيل. ذكر من قال ذلك:

16313ـ حدثني المثنى، قال: أخبرنا إسحاق، قال: حدثنا عبد الرزاق، قال: حدثنا جعفر بن سليمان، عن داود بن أبي هند، قال: نزلت والّذِينَ هاجَرُوا فِي اللّهِ مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا... إلى قوله: وَعَلى رَبّهِمْ يَتَوَكّلُونَ في أبي جندل بن سهيل.

وقوله: وَلأَجْرُ الآخِرَةِ أكْبَرُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ يقول: ولثواب الله إياهم على هجرتهم فيه في الآخرة أكبر، لأن ثوابه إياهم هنالك الجنة التي يدوم نعيمها ولا يبيد.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16314ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قال: قال الله: وَلأَجْرُ الآخرَةِ أكْبَرُ أي والله لما يثيبهم الله عليه من جنته أكبر لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ.

الآية : 42

القول في تأويل قوله تعالى {الّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىَ رَبّهِمْ يَتَوَكّلُونَ }.

يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين وصفنا صفتهم، وآتيناهم الثواب الذي ذكرناه، الذين صبروا في الله على ما نابهم في الدنيا. وَعَلى رَبّهِمْ يَتَوَكّلُونَ يقول: وبالله يثقون في أمورهم، وإليه يستندون في نوائب الأمور التي تنوبهم.

الآية : 43

القول في تأويل قوله تعالى {وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاّ رِجَالاً نّوحِيَ إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذّكْرِ إِن كُنْتُم لاَ تَعْلَمُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وما أرسلنا من قبلك يا محمد إلى أمة من الأمم، للدعاء إلى توحيدنا والانتهاء إلى أمرنا ونهينا، إلاّ رجالاً من بني آدم نوحي إليهم وحينا لا ملائكة، يقول: فلم نرسل إلى قومك إلاّ مثل الذي كنا نرسل إلى من قَبلهم من الأمم من جنسهم وعلى منهاجهم. فاسْئَلُوا أهْلَ الذّكْرِ يقول لمشركي قريش: وإن كنتم لا تعلمون أن الذين كنا نرسل إلى من قبلكم من الأمم رجال من بني آدم مثل محمد صلى الله عليه وسلم وقلتم هم ملائكة أي ظننتم أن الله كلمهم قبلاً، فاسْئَلُوا أَهْلَ الذّكْرِ وهم الذين قد قرءوا الكتب من قبلهم: التوراة والإنجيل، وغير ذلك من كتب الله التي أنزلها على عباده.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
16315ـ حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا المحاربيّ، عن ليث، عن مجاهد: فاسْئَلُوا أهْلَ الذّكْرِ قال: أهل التوراة.
16316ـ حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا المحاربي، عن سفيان، قال: سألت الأعمش، عن قوله: فاسْئَلُوا أهْلَ الذّكْرِ قال: سمعنا أنه من أسلم من أهل التوراة والإنجيل.
16317ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: وَما أرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إلاّ رِجالاً نُوحِي إلَيْهِمْ فاسْئَلُوا أهْلَ الذّكْرِ إنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ قال: هم أهل الكتاب.
16318ـ حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا عبيد الله، عن إسرائيل، عن أبي يحيى، عن مجاهد، عن ابن عباس: فاسْئَلُوا أهْلَ الذّكْرِ إنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ قال: قال لمشركي قريش: إن محمدا في التوراة والإنجيل.
16319ـ حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا عثمان بن سعيد، قال: حدثنا بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك عن ابن عباس، قال: لما بعث الله محمدا رسولاً، أنكرت العرب ذلك، أو من أنكر منهم، وقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا مثل محمد. قال: فأنزل الله: أكانَ للنّاسِ عَجَبا أنْ أوْحَيْنا إلى رَجُلٍ مِنْهُمْ وقال: وَما أرْسلنَا مِنْ قبلكَ إلاّ رِجالاً نُوحِي إلَيهِمْ فاسْئَلُوا أهْلَ الذّكْرِ إنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ بالبيّناتِ والزّبُرِ فاسئلوا أهل الذكر: يعني أهل الكتب الماضية، أبشرا كانت الرسل التي أتتكم أم ملائكة؟ فإن كانوا ملائكة أنكرتم، وإن كانوا بشرا فلا تنكروا أن يكون محمد رسولاً. قال: ثم قال: وما أرْسَلْنَا منْ قَبْلك إلاّ رِجَالاً نُوحي إليهم مِنْ أهْلِ القُرَى أي ليسوا من أهل السماء كما قلتم.
وقال آخرون في ذلك ما:
16320ـ حدثنا به ابن وكيع، قال: حدثنا ابن يمان، عن إسرائيل، عن جابر، عن أبي جعفر: فاسْئَلُوا أهْلَ الذّكْرِ إنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ قال: نحن أهل الذكر.
16321ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: فاسْئَلُوا أهْلَ الذّكْرِ إنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ قال: الذكر: القرآن. وقرأ: إنّا نَحْنُ نَزّلْنا الذّكْرَ وإنّا لَهُ لَحافظُونَ، وقرأ: إنّ الّذِينَ كَفَرُوا بالذّكْرِ لَمّا جاءَهُمْ... الآية.

الآية : 44

القول في تأويل قوله تعالى {بِالْبَيّنَاتِ وَالزّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذّكْرَ لِتُبَيّنَ لِلنّاسِ مَا نُزّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلّهُمْ يَتَفَكّرُونَ }.
يقول تعالى ذكره: أرسلنا بالبينات والزّبُر رجالاً نوحي إليهم.
فإن قال قائل: وكيف قيل بالبينات والزّبُر؟ وما الجالب لهذه الباء في قوله بالبَيّناتِ فإن قلت: جالبها قوله أرْسَلْنَا وَهي من صلته، فهل يجوز أن تكون صلة «ما» قبل «إلاّ» بَعدها؟ وإن قلت: جالبها غير ذلك، فما هو؟ وأين الفعل الذي جلبها؟ قيل: قد اختلف أهل العربية في ذلك، فقال بعضهم: الباء التي في قوله: «بالبَيّناتِ» من صلة «أرسلنا»، وقال: «إلاّ» في هذا الموضع، ومع الجحد والاستفهام في كلّ موضع بمعنى «غير». وقال: معنى الكلام: وما أرسلنا من قبلك بالبينات والزبر غير رجال نوحي إليهم، ويقول على ذلك: ما ضرب إلاّ أخوك زيدا، وهل كلم إلاّ أخوك عمرا،

بـمعنى: ما ضرب زيدا غير أخيك، وهل كلـم عمـرا إلاّ أخـوك؟ ويحتـجّ فـي ذلك بقول أوْس بن حَجَر:

أبَنِـي لُبَـيْنَى لَسْتُـمُ بِـيَدٍإلا يَدٍ لَـيْسَتْ لَهَا عَضُدُ

ويقول: لو كانت «إلا» بغير معنى لفسد الكلام، لأن الذي خفض الباء قبل «إلا» لا يقدر على إعادته بعد «إلا» لخفض اليد الثانية، ولكن معنى «إلا» معنى «غير». ويستشهد أيضا بقول الله عزّ وجلّ: لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إلاّ اللّهُ ويقول: «إلا» بمعنى «غير» في هذا الموضع. وكان غيره يقول: إنما هذا على كلامين، يريد: وما أرسلنا من قبلك إلاّ رجالاً أرسلنا بالبينات والزبر. قال: وكذلك قول القائل: ما ضرب إلا أخوك زيدا معناه: ما ضرب إلا أخوك، ثم يبتدىء ضرب زيدا، وكذلك ما مَرّ إلا أخوك بزيد ما مرّ إلا أخوك، ثم يقول: مرّ بزيد ويستشهد على ذلك ببيت الأعشى:

ولَـيْسَ مُـجِيرا إنْ أتَـى الـحَيّ خائِفٌوَلا قائِلاً إلاّ هُوَ الـمُتَعَيّبـا

ويقول: لو كان ذلك على كلمة لكان خطأ، لأن «المُتَعَيّبا» من صلة القائل، ولكن جاز ذلك على كلامين. وكذلك قول الآخر:

نُبِّئْتُهُمْ عَذّبُوا بالنّارِ جارَهُمُوَهَلْ يُعَذّبُ إلاّ اللّهُ بالنّارِ

فتأويل الكلام إذن: وما أرسلنا من قبلك إلاّ رجالاً نوحي إليهم أرسلناهم بالبينات والزبر، وأنزلنا إليك الذكر. والبينات: هي الأدلة والحجج التي أعطاها الله رسله أدلة على نبوّتهم شاهدة لهم على حقيقة ما أتوا به إليهم من عند الله. والزّبُر: هي الكتب، وهي جمع زَبُور، من زَبَرْت الكتاب وذَبَرته: إذا كتبته.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16322ـ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: بالبَيّناتِ والزّبُرِ قال: الزبر: الكتب.

16323ـ حدثنا محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: بالبَيّناتِ والزّبُرِ قال: الآيات. والزبر: الكتب.

16324ـ حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حُذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: الزّبُر: الكُتُب.

16325ـ حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَالزّبُرِ يعني: بالكتب.

وقوله: وأنْزَلْنا إلَيْكَ الذّكْرَ يقول: وأنزلنا إليك يا محمد هذا القرآن تذكيرا للناس وعظة لهم. لِتُبَـيّنَ للنّاسِ يقول: لتعرفهم ما أنزل إليهم من ذلك. وَلَعَلّهُمْ يَتَفَكّرُونَ يقول: وليتذكروا فيه ويعتبروا به أي بما أنزلنا إليك. وقد:

16326ـ حدثني المثنى، قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا عبد الرزاق، قال: حدثنا الثوري، قال: قال مجاهد: وَلَعَلّهُمْ يَتَفَكّرُونَ قال: يطيعون.

الآية : 45

القول في تأويل قوله تعالى {أَفَأَمِنَ الّذِينَ مَكَـرُواْ السّيّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللّهُ بِهِمُ الأرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: أفأمن الذين ظلموا المؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فراموا أن يفتنوهم عن دينهم من مشركي قريش الذين قالوا إذ قيل لهم ماذا أنزل ربكم: أساطير الأوّلين، صدّا

منهم لـمن أراد الإيـمان بـالله عـن قصـد السبيـل، أن يخسـف اللـه بهـم الأرض علـى كفرهم وشركهم، أو يأتـيهم عذاب الله من مكان لا يشعر به ولا يدري من أين يأتـيه؟ وكان مـجاهد يقول: عنى بذلك نـمرود بن كنعان.

16327ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو، قـال: حـدثنا أبـو عاصـم، قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحرث، قال: حدثنا الـحسن، قـال: حـدثنا ورقـاء وحدثنـي الـمثنى، قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا عبد الله، عن ورقاء جميعا عـن ابـن أبـي نـجيح عن مـجاهد: أفَأمِنَ الّذِينَ مَكَـرُوا السّـيّئاتِ أنْ يَخْسِـفَ اللّـهُ بِهِـمُ الأرْضَ... إلـى قوله: أوْ يَأخُذَهُمْ علـى تَـخَوّفٍ قـال: هـو نـمرود بـن كنعـان وقومه.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الـحسين، قال: ثنـي حجاج، عن ابن جريج، عن مـجاهد، مثله.

وإنـما اخترنا القول الذي قلناه فـي تأويـل ذلك، لأن ذلك تهديد من الله أهل الشرك به، وهو عقـيب قوله: وَما أرْسَلْنا مِنْ قَبْلِـكَ إلاّ رِجـالاً نُـوحِي إلَـيْهِمْ فَـاسْئَلُوا أهْلَ الذّكْرِ إنْ كُنْتُـمْ لا تَعلَـمونَ فكان تهديد من لـم يقـرّ بحجـة اللّـه الذي جرى الكلام بخطابه قبل ذلك أحرى من الـخبر عمن انقطع ذكره عنه.

وكان قتادة يقول فـي معنى السيئات فـي هذا الـموضع، ما:

16328ـ حدثنا به بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سـعيد، عـن قتادة، قوله: أفَأمنَ الّذِينَ مَكَرُوا السّيّئاتِ: أي الشرك.

الآية : 46 و 47

القول فـي تأويـل قوله تعالـى {أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلّبِهِمْ فَمَا هُـم بِمُعْجِزِيـنَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىَ تَخَوّفٍ فَإِنّ رَبّكُمْ لَرَؤُوفٌ رّحِيمٌ }.

يعنـي تعالـى ذكره بقوله: أوْ يَأْخُذَهُمْ فِـي تَقَلّبِهِمْ أو يهلكهم فـي تصرّفهم فـي البلاد وتردّدهم فـي أسفـارهم. فمَـا هُـمْ بِـمعجِزِين يقـول جـلّ ثنـاؤه: فإنهم لا يعجزون الله من ذلك إن أراد أخذهم كذلك.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

16329ـ حدثنـي الـمثنى وعلـيّ بن داود، قالا: حدثنا عبد الله بـن صالـح، قال: ثنـي معاوية، عن علـيّ، عن ابن عبـاس، قوله: أوْ يَأخُذَهُمْ فِـي تَقَلّبِهِـمْ يقول: فـي اختلافهم.

16330ـ حدثنـي مـحمد بن سعد، قال: ثنـي أبـي، قال: ثنـي عمي، ق ال: ثنـي أبـي، عن أبـيه، عن ابن عبـاس، قوله: أوْ يَأخُذَهُمْ فِـي تَقَلّبِهِـمْ فَمَـا هُـمْ بِـمُعْجِزِينَ قال: إنْ شئت أخذته فـي سفر.

16331ـ حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى، قال: حـدثنا مـحمد بـن ثـور، عـن معمر، عن قتادة: أوْ يَأخُذَهُمْ فِـي تَقَلّبِهِمْ فـي أسفـارهم.

حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، مثله.

وقال ابن جريج فـي ذلك ما:

16332ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الـحسين، قال: ثنـي حجاج، عـن ابـن جريج: أوْ يَأخُذَهُمْ فِـي تَقَلّبِهِمْ قال: التقلب: أن يأخذهم بـاللـيـل والنهار.

وأما قوله: أوْ يَأخُذَهُمْ علَـى تَـخَوّفٍ فإنه يعنـي: أو يهلكهم بتـخوّف، وذلـك بنقص من أطرافهم ونواحيهم الشيء بعد الشيء حتـى يهلك جميعهم، يقـال منه: تـخوّف مـال فلان الإنفـاق: إذا انتقصـه، ونـحو تـخوّفه مـن التـخوّف بـمعنى التنقص، وقول الشاعر:

تَـخَوّفَ السّيْرُ مِنْها تامِكا قَرِداكما تَـخَوّفَ عُودَ النّبْعَةِ السّفَنُ

يعني بقوله: تخوّف السير: تنقص سَنامها. وقد ذكرنا عن الهيثم بن عديّ أنه كان يقول: هي لغة لأزد شَنوءة معروفة لهم ومنه قول الآخر:

تَخَوّفَ عَدْوُهُمْ مالي وأهْدَسَلاسِل في الحُلُوقِ لَهَا صَلِيلُ

وكان الفرّاء يقول: العرب تقول: تحوّفته: أي تنقصته، تحوّفا: أي أخذته من حافاته وأطرافه، قال: فهذا الذي سمعته، وقد أتى التفسير بالحاء وهما بمعنى. قال: ومثله ما قرىء بوجهين قوله: إن لكَ في النّهارِ سَبْحا و «سَبْخا».

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16333ـ حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبي، عن المسعودي، عن إبراهيم بن عامر بن مسعود، عن رجل، عن عُمَر أنه سألهم عن هذه الآية: أوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ أوْ يَأْخُذَهُمْ على تَخَوّفٍ فقالوا: ما نرى إلاّ أنه عند تنقص ما يردّده من الآيات، فقال عمر: ما أرى إلاّ أنه على ما تنتقصون من معاصي الله. قال: فخرج رجل ممن كان عند عمر، فلقى أعرابيّا، فقال: يا فلان ما فعل ربك؟ قال: قد تَخَيفته، يعني تنقصته. قال: فرجع إلى عمر فأخبره، فقال: قدّر الله ذلك.

16334ـ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: أوْ يَأْخُذَهُمْ على تَخُوّفٍ يقول: إن شئت أخذته على أثر موت صاحبه وتخوّف بذلك.

16335ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء الخراسانيّ، عن ابن عباس: على تَخَوّفٍ قال: التنقص والتفزيع.

16336ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: أوْ يَأْخُذَهُمْ على تَخَوّفٍ على تنقص.

حدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء وحدثني المثنى، قال: أخبرنا إسحاق، قال: حدثنا عبد الله، عن ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: على تَخَوّفٍ قال: تنقص.

حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حُذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

16337ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: أو يَأْخُذَهُمْ على تَخَوّفٍ فيعاقب أو يتجاوز.

16338ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: أوْ يَأْخُذَهُمْ على تَخَوّفٍ قال: كان يقال: التخوّف: التنقّص، ينتقصهم من البلدان من الأطراف.

16339ـ حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: أوْ يَأْخُذَهُمْ على تَخَوّفٍ يعني: يأخذ العذاب طائفة ويترك أخرى، ويعذّب القرية ويهلكها، ويترك أخرى إلى جنبها.

وقوله: فإنّ رَبّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ يقول: فإن ربكم إن لم يأخذ هؤلاء الذين مكروا السيئات بعذاب معجّل لهم، وأخذهم بموت وتنقص بعضهم في أثر بعض، لرءوف بخلقه، رحيم بهم، ومن رأفته ورحمته بهم لم يخسف بهم الأرض، ولم يعجّل لهم العذاب، ولكن يخوّفهم وينقّصهم بموت.

الآية : 48

القول في تأويل قوله تعالى {أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىَ مَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيّأُ ظِلاَلُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشّمَآئِلِ سُجّداً لِلّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ }.

اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامّة قرّاء الحجاز والمدينة والبصرة: أو لَمْ يَرَوْا بالياء على الخبر عن الذين مكروا السيئات. وقرأ ذلك بعض قراء الكوفيين: «أو لَمْ تَرَوا» بالتاء على الخطاب.

وأولى القراءتين عندي الصواب قراءة من قرأ بالياء على وجه الخبر عن الذين مكروا السيئات لأن ذلك في سياق قَصَصِهم والخبر عنهم، ثم عقب ذلك الخبر عن ذهابهم عن حجة الله عليهم وتركهم النظر في أدلته والاعتبار بها. فتأويل الكلام إذن: أو لم ير هؤلاء الذين مكروا السيئات إلى ما خلق الله من جسم قائم شجر أو جبل أو غير ذلك يَتَفَيّأُ ظِلالَهُ عَنِ اليَمِينِ والشّمَائِلِ يقول: يرجع من موضع إلى موضع، فهو في أوّل النهار على حال، ثم يتقلّص، ثم يعود إلى حال أخرى في آخر النهار.

وكان جماعة من أهل التأويل يقولون في اليمين والشمائل ما:

16340ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد عن قتادة، قوله: أو لَمْ يَرَوْا إلى ما خَلَقَ اللّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيّأُ ظِلالُهُ عَنِ اليَمِينِ والشمائِلِ سُجّدا لِلّهِ أما اليمين: فأوّل النهار وأما الشمال: فآخر النهار.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، بنحوه.

16341ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: يَتَفَيّأُ ظِلالُه عَنِ اليَمِينِ والشّمائِلِ قال: الغدوّ والآصال، إذا فاءت الظّلال ظلال كلّ شيء بالغدوّ سجدت لله، وإذا فاءت بالعشيّ سجدت لله.

16342ـ حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: يَتَفَيّأُ ظِلالُه عَنِ اليَمِينِ والشّمائِلِ يعني: بالغدوّ والآصال، تسجد الظلال لله غدوة إلى أن يفيء الظلّ، ثم تسجد لله إلى الليل، يعني: ظلّ كلّ شيء.

وكان ابن عباس يقول في قوله يَتَفَيّأُ ظِلالُهُ ما:

16343ـ حدثنا المثنى، قال: أخبرنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: يَتَفَيّأُ ظِلالُهُ يقول: تتميل.

واختلف في معنى قوله: سُجّدا لِلّهِ فقال بعضهم: ظلّ كلّ شيء سجوده. ذكر من قال ذلك:

16344ـ حدثني محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: يَتَفَيّأُ ظِلالُهُ قال: ظلّ كلّ شيء سجوده.

16345ـ حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا إسحاق الرازيّ، عن أبي سنان، عن ثابت عن الضحاك: يَتَفَيّأُ ظِلالُهُ قال: سجد ظلّ المؤمن طوعا، وظلّ الكافر كَرْها.

وقال آخرون: بل عنى بقوله يَتَفَيّأُ ظِلالُهُ كلاّ عن اليمين والشمائل في حال سجودها، قالوا: وسجود الأشياء غير ظلالها. ذكر من قال ذلك:

16346ـ حدثنا ابن حميد وحدثني نصر بن عبد الرحمن الأوديّ، قالا: حدثنا حَكّام، عن أبي سنان، عن ثابت عن الضحاك، في قول الله: أو لَمْ يَرَوْا

إلـى ما خَـلَقَ اللّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَـيّأُ ظِلالُـهُ قـال: إذا فــاء الفــيء تـوجه كـلّ شيء ساجدا قبَل القبلة من نبت أو شـجر، قـال: فكـانوا يستــحبون الصـلاة عند ذلك.

16347ـ حدثنـي الـمثنى، قال: أخبرنا الـحِمّانـيّ، قـال: حـدثنا يحيـى بـن يـمان، قال: حدثنا شريك، عن منصور، عـن مــجاهد فـي قـول اللـه: يَتَفَـيّأُ ظِلالُهُ قال: إذا زالت الشمس سجد كلّ شيء لله عزّ وجلّ.

وقال آخرون: بل الذي وصف الله بـالسجود فـي هذه الآية ظلال الأشـياء، فإنـما يسجد ظلالها دون التـي لها الظلال. ذكر من قال ذلك:

16348ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الـحسين، قال: ثنـي حجاج، عـن ابـن جريج، عن مـجاهد، قوله: أو لَـمْ يَرَوْا إلـى مـا خَــلَقَ اللّـهُ مِـنْ شَـيْءٍ يَتَفَـيأُ ظِلالُهُ قال: هو سجود الظلال، ظلال كلّ شيء ما فــي السـموات ومـا فــي الأرض من دابة، قال: سجود ظلال الدوابّ، وظلال كلّ شيء.

16349ـ حدثنـي مـحمد بن سعد، قال: ثنـي أبـي، قال: ثنـي عمي، قال: ثنـي أبـي، عن أبـيه، عن ابن عبـاس، قوله: أو لَـمْ يَرَوْا إلــى مـا خَــلَقَ اللّـهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَـيّأُ ظِلالُهُ ما خـلق من كلّ شيء عن يـمينه وشمائله، فلفـظ مـا لفظ عن الـيـمين والشمائل، قال: ألـم تر أنك إذا صلـيت الفجر كان ما بـين مطلع الشمس إل مغربها ظلاّ؟ ثم بعث اللـه علــيه الشـمس دلــيلاً، وقبـض الله الظلّ.

وأولـى الأقوال فـي ذلك بـالصواب أن يقال: إن الله أخبر فـي هذه الآية أن ظلال الأشياء هي التـي تسجد، وسجودها: مَيَلانها ودورانهـا مـن جـانب إلــى جانب وناحية إلــى ناحيـة، كمـا قـال ابـن عبــاس يقـال مـن ذلـك: سـجدت النـخـلة إذا مالت، وسجد البعير وأسجد: إذا أميـل للركوب. وقد بــيّنا معنـى السجود فـي غير هذا الـموضع بـما أغنى عن إعادته.

وقوله: وَهُمْ دَاخِرُونَ يعنـي: وهم صاغرون، يقال منه: دخر فلان لله يدخر دخرا ودخورا: إذا ذلّ له وخضع ومنه قول ذي الرّمّة:

فَلَـمْ يَبْقَ إلاّ داخِرٌ فِـي مُخَيّسِومُنْـجَحِرٌ فِـي غيرِ أرْضِكَ فـي جُحْرِ

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

16350ـ حدثنـي الـمثنى، قال: حدثنا أبو حُذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبـي نـجيح، عن مـجاهد: وَهُمْ دَاخِرُونَ: صاغرون.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الـحسين، قال: ثنـي حجاج، عن ابن جريج، عن مـجاهد، مثله.

16351ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: وَهُـمْ دَاخِرُونَ: أي صاغرون.

16352ـ حدثنا ابن عبد الأعلـى، قال: حدثنا مـحمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة مثله.

وأما توحيد الـيـمين فـي قوله: عَنِ الـيَـمِينِ و «الشّمائِلِ» فجمعهـا، فـإن ذلك إنـما جاء كذلك، لأن معنى الكلام: أو لـم يـروا إلــى مـا خــلق اللـه مـن شيء يتفـيأ ظلال ما خـلق مـن شـيء ع ن يــمينه: أي مـا خــلق، وشـمائله. فلفـظ «مـا» لفـظ واحـد، ومعنـاه معنـى الــجمع، فقـال: «عـن الـيــمين» بـمعنى: عن يـمين ما خـلق، ثم رجع إلـى معناه فـي الشـمائل. وكـان بعـض أهل العربـية يقول: إنـما تفعل العرب ذلك، لأن أكـثر الكلام مواجهـة الواحـد الواحد، فـيقال للرجل: خذ عن يـمينك، قال: فكأنه إذا وحد ذهب إلـى واحــد

من القوم، وإذا جمع فهو الذي لا مساءلة فيه واستشهد لفعل العرب ذلك بقول الشاعر:

بِفي الشّامِتِينَ الصّخْرُ إنْ كانَ هَدّنِيرَزِيّةُ شِبْلَيْ مُخْدِرٍ في الضّراغمِ

فقال: «بِفي الشامتين»، ولم يقل: «بأفواه وقول الآخر:

الوَارِدُونَ وتَيْمٌ فِي ذَرَا سَبإٍقد عَضّ أعْنَاقَهُمْ جِلْدُ الجَوَامِيسِ

ولم يقل: جلود.

الآية : 49

القول في تأويل قوله تعالى {وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ مِن دَآبّةٍ وَالْمَلآئِكَةُ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ولله يخضع ويستسلم لأمره ما في السموات وما في الأرض من دابّة يدبّ عليها، والملائكة التي في السموات، وهم لا يستكبرون عن التذلل له بالطاعة. وَالّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ قُلُوبهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ وظلالهم تتفيأ عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون.

وكان بعض نحويّي البصرة يقول: اجتزىء بذكر الواحد من الدوابّ عن ذكر الجميع. وإنما معنى الكلام: ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من الدوابّ والملائكة، كما يقال: ما أتاني من رجل، بمعنى: ما أتاني من الرجال.

وكان بعض نحويّي الكوفة يقول: إنما قيل: من دابة، لأن «ما» وإن كانت قد تكون على مذهب الذي، فإنها غير مؤقتة، فإذا أبهمت غير مؤقتة أشبهت الجزاء، والجزاء يدخل من فيما جاء من اسم بعده من النكرة، فيقال: من ضربه من رجل فاضربوه، ولا تسقط «مِن» مِن هذا الموضع كراهية أن تشبه أن تكون حالاً ل «من» و «ما»، فجعلوه بمن ليدلّ على أنه تفسير لما ومن لأنهما غير موقتتين، فكان دخول من فيما بعدهما تفسيرا لمعناهما، وكان دخول من أدلّ على ما لم يوقت من من وما، فلذلك لم تلغيا.

الآية : 50

القول في تأويل قوله تعالى {يَخَافُونَ رَبّهُمْ مّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: يخاف هؤلاء الملائكة التي في السموات وما في الأرض من دابة، ربّهم من فوقهم، أن بعذّبهم إن عَصَوا أمره. ويَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ يقول: ويفعلون ما أمرهم الله به، فيؤدّون حقوقه ويجتنبون سُخْطه.

الآية : 51

القول في تأويل قوله تعالى {وَقَالَ اللّهُ لاَ تَتّخِذُواْ إِلَـهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنّمَا هُوَ إِلَـهٌ وَاحِدٌ فَإيّايَ فَارْهَبُونِ }.

يقول تعالى ذكره: وقال الله لعباده: لا تتخذوا لي شريكا أيها الناس، ولا تعبدوا معبودَين، فإنكم إذا عبدتم معني غيري جعلتم لي شريكا، ولا شريك لي، إنما هو إله واحد ومعبود واحد، وأنا ذلك. فإيّايَ فارْهَبُونِ يقول: فإياي فاتقوا وخافوا عقابي بمعصيتكم إياي إن عصيتموني وعبدتم غيري، أو أشركتم في عبادتكم لي شريكا.

الآية : 52

القول في تأويل قوله تعالى {وَلَهُ مَا فِي الْسّـمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَلَـهُ الـدّينُ وَاصِباً أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتّقُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ولله ملك ما في السموات والأرض من شيء، لا شريك له في شيء من ذلك، هو الذي خلقهم، وهو الذي يرزقهم، وبيده حياتهم وموتهم. وقوله: وَلَهُ الدّينُ وَاصِبا يقول جلّ ثناؤه: وله الطاعة والإخلاص دائما ثابتا واجبا، يقال منه: وَصَبَ الدّينُ يَصِبُ وُصُوبا ووَصْبا كما قال الدّيليّ:

لا أبْتَغِي الحَمْدَ القَلِيلَ بَقاؤُهُيَوْما بِذَمّ الدّهْرِ أجمَعَ وَاصِبا

ومنه قول الله: ولَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ وقول حسان:

غَيّرَتْهُ الرّيحُ تَسْفِي بِهوهَزِيمٌ رَعْدُهُ وَاصِبُ

فأما من الألم، فإنما يقال: وصب الرجل يُوصَبُ وَصَبا، وذلك إذا أعيا وملّ ومنه قول الشاعر:

لا يغْمِزُ السّاقَ مِنْ أيْنٍ ولا وَصَبٍولا يعَضّ على شُرْسُوفِهِ الصّفَرُ

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل الواصب، فقال بعضهم: معناه، ما قلنا. ذكر من قال ذلك:

16353ـ حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا يحيى بن آدم، عن قيس، عن الأغرّ بن الصباح، عن خليفة بن حصين عن أبي نضرة، عن ابن عباس: وَلَهُ الدّينُ وَاصِبا قال: دائما.

16354ـ حدثني إسماعيل بن موسى، قال: أخبرنا شريك، عن أبي حصين، عن عكرمة، في قوله: وَلَهُ الدّينُ وَاصِبا قال: دائما.

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا يحيى بن آدم، عن قيس، عن يعلى بن النعمان، عن عكرمة، قال: دائما.

16355ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء وحدثني المثنى، قال أخبرنا: إسحاق، قال: حدثنا عبد الله، عن ورقاء وحدثني المثنى، قال: أخبرنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل جميعا، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد: وَلَهُ الدّينُ وَاصِبا قال: دائما.

حدثنا القاسم قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: ولَه الدّين وَاصبا قال: دائما.

16356ـ حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا عبدة وأبو معاوية، عن جويبر، عن الضحاك: وَلَهُ الدّينُ وَاصِبا قال: دائما.

حدثني المثنى، قال: أخبرنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هُشيم، عن جويبر، عن الضحاك، مثله.

16357ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: وَلَهُ الدّينُ وَاصِبا: أي دائما، فإن الله تبارك وتعالى لم يدع شيئا من خلقه إلاّ عبده طائعا أو كارها.

16358ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: وَاصِبا قال: دائما، ألا ترى أنه يقول: عَذَابٌ وَاصِبٌ: أي دائم؟

16359ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَلَهُ الدّينُ وَاصِبا قال: دائما، والواصب: الدائم.

وقال آخرون: الواصب في هذا الموضع: الواجب. ذكر من قال ذلك:
16360ـ حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن عطية، عن قيس، عن يَعْلَى بن النعمان، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قوله: وَلَهُ الدّينُ وَاصِبا قال: واجبا.
وكان مجاهد يقول: معنى الدين في هذا الموضع: الإخلاص. وقد ذكرنا معنى الدين في غير هذا الموضع بما أغنى عن إعادته.
16361ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء وحدثني المثنى، قال: أخبرنا أبو حُذيفة، قال: حدثنا شبل وحدثني المثنى، قال: أخبرنا إسحاق، قال: حدثنا عبد الله، عن ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: وَلَهُ الدّينُ وَاصِبا قال: الإخلاص.
حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قال: الدّينُ: الإخلاص.
وقوله: أَفَغَيْرَ اللّهِ تَتّقُونَ يقول تعالى ذكره: أفغير الله أيها الناس تتقون، أي ترهبون وتحذرون أن يسلبكم نعمة الله عليكم بإخلاصكم العبادة لربكم، وإفرادكم الطاعة له، وما لكم نافع سواه.

الآية : 53

القول في تأويل قوله تعالى {وَمَا بِكُم مّن نّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ ثُمّ إِذَا مَسّكُمُ الضّرّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ }.
اختلف أهل العربية في وجه دخول الفاء في قوله: فَمِنَ اللّهِ فقال بعض البصريين: دخلت الفاء، لأن «ما» بمنزلة «من» فجعل الخبر بالفاء. وقال بعض الكوفيين: «ما» في معنى جزاء، ولها فعل مضمر، كأنك قلت: ما يكن بكم من نعمة فمن الله، لأن الجزاء لا بدّ له من فعل مجزوم، إن ظهر فهو جزم، وإن لم يظهر فهو مضمر كما قال الشاعر:
إن العَقْلُ في أمْوَالِنا لا نَضِقْ بِهِذِرَاعا وَإنْ صَبْرا فنَعْرِفُ للصّبْرِ
وقال: أراد: إن يكن العقل فأضمره. قال: وإن جعلت «ما بكم» في معنى «الذي» جاز، وجعلت صلته «بكم» و «ما» في موضع رفع بقوله: فَمِنَ اللّهِ وأدخل الفاء كما قال: إنّ المَوْتَ الّذِي تَفِرّونَ مِنْهُ فإنّه مُلاقِيكُمْ وكل اسم وصل مثل «من» و «ما» و «الذي»، فقد يجوز دخول الفاء في خبره لأنه مضارع للجزاء والجزاء قد يجاب بالفاء، ولا يجوز أخوك فهو قائم، لأنه اسم غير موصول، وكذلك تقول: مالك لي، فإن قلت: مالك، جاز أن تقول: مالك فهو لي، وإن ألقيت الفاء فصواب.
وتأويل الكلام: ما يكن بكم في أبدانكم أيها الناس من عافية وصحة وسلامة وفي أموالكم من نماء، فالله المنعم عليكم بذلك لا غيره، لأن ذلك إليه وبيده. ثُمّ إذَا مَسّكُمُ الضّرّ يقول: إذا أصابكم في أبدانكم سَقَم ومرض وعلة عارضة وشدّة من عيش، فإلَيْهِ تَجْأَرُونَ يقول: فإلى الله تصرخون بالدعاء وتستغيثون به، ليكشف ذلك عنكم. وأصله: من جؤار الثور، يقال منه: جأر الثور يجأر جُؤارا، وذلك إذا رفع صوتا شديدا من جوع أو غيره ومنه قول الأعشى:
وَما أيْبُلِيّ عَلى هَيْكَلٍبَناهُ وَصَلّبَ فِيهِ وصَارَا
يُرَاوِحُ مِنْ صَلَوَاتِ المَلِيكِ طَوْرا سُجُودا وَطَوْرا جُؤَارا
يعني بالجؤار: الصياح، إما بالدعاء وإما بالقراءة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
16362ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء وحدثني المثنى، قال: أخبرنا أبو حُذيفة، قال: حدثنا شبل وحدثني المثنى، قال: أخبرنا إسحاق، قال: حدثنا عبد الله، عن ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: فإلَيْهِ تَجأَرُونَ قال: تضرعون دعاء.
حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.
16363ـ حدثني المثنى، قال: أخبرنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: الضّرّ: السّقْم.

الآية : 54 و 55

القول في تأويل قوله تعالى {ثُمّ إِذَا كَشَفَ الضّرّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مّنْكُم بِرَبّهِمْ يُشْرِكُونَ * لِيَكْفُرُواْ بِمَآ آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ }.
يقول تعالى ذكره: ثم إذا وهب لكم ربكم العافية، ورفع عنكم ما أصابكم من المرض في أبدانكم ومن الشدّة في معاشكم، وفرّج البلاء عنكم إذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبّهِمْ يُشْرِكُونَ يقول: إذا جماعة منكم يجعلون لله شريكا في عبادتهم، فيعبدون الأوثان ويذبحون لها الذبائح شكرا لغير من أنعم عليهم بالفرج مما كانوا فيه من الضرّ. لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ يقول: ليجحدوا الله نعمته فيما آتاهم من كشف الضرّ عنهم. فَتَمَتّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ، وهذا من الله وعيد لهؤلاء الذين وصف صفتهم في هذه الآيات وتهديد لهم، يقول لهم جلّ ثناؤه: تمتعوا في هذه الحياة الدنيا إلى أن توافيكم آجالكم، وتبلغوا الميقات الذي وقته لحياتكم وتمتعكم فيها، فإنكم من ذلك ستصيرون إلى ربكم، فتعلمون بلقائه وبال ما كسبت أيديكم، وتعرفون سوء مغبة أمركم، وتندمون حين لا ينفعكم الندم.

الآية : 56

القول في تأويل قوله تعالى {وَيَجْعَلُونَ لِمَا لاَ يَعْلَمُونَ نَصِيباً مّمّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللّهِ لَتُسْأَلُنّ عَمّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ }.
يقول تعالى ذكره: ويجعل هؤلاء المشركون من عَبَدة الأوثان، لما لا يعلمون منه ضرّا ولا نفعا نَصِيبا يقول: حظّا وجزاء مما رزقناهم من الأموال، إشراكا منهم له الذي يعلمون أنه خلقهم، وهو الذي ينفعهم ويضرّهم دون غيره. كالذي:
16364ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: ويَجْعَلُونَ لِمَا لا يَعْلَمُونَ نَصِيبا مِمّا رَزَقْناهُمْ قال: يعلمون أن الله خلقهم ويضرّهم وينفعهم، ثم يجعلون لما لا يعلمون أنه يضرّهم ولا ينفعهم نصيبا مما رزقناهم.
16365ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ويَجْعَلُونَ لِمَا لا يَعْلَمُونَ نَصِيبا مِمّا رَزَقْناهُمْ وهم مشركو العرب، جعلوا لأوثانهم نصيبا مما رزقناهم، وجزءا من أموالهم يجعلونه لأوثانهم.
16366ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ويَجْعَلُونَ لِمَا لا يَعْلَمُونَ نَصِيبا مِمّا رَزَقْناهُمْ قال: جعلوا لآلهتهم

التي ليس لها نصيب ولا شيء، جعلوا لها نصيبا مما قال الله من الحرث والأنعام، يسمون عليها أسماءها ويذبحون لها.

وقوله: تاللّهِ لَتُسْئَلُنّ عَمّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ يقول تعالى ذكره: والله أيها المشركون الجاعلون الآلهة والأنداد نصيبا فيما رزقناكم شركا بالله وكفرا، ليسألنكم الله يوم القيامة عما كنتم في الدنيا تفترون، يعني: تختلقون من الباطل والإفك على الله بدعواكم له شريكا، وتصييركم لأوثانكم فيما رزقكم نصيبا، ثم ليعاقبنكم عقوبة تكون جزاء لكفرانكم نعمه وافترائكم عليه.

الآية : 57 و 58

القول في تأويل قوله تعالى {وَيَجْعَلُونَ لِلّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مّا يَشْتَهُونَ * وَإِذَا بُشّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَىَ ظَلّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: ومن جهل هؤلاء المشركين وخُبث فعلهم وقبح فِرْيتهم على ربهم، أنهم يجعلون لمن خلقهم ودبّرهم وأنعم عليهم، فاستوجب بنعمه عليهم الشكر، واستحقّ عليهم الحمد البَنَاتِ، ولا ينبغي أن يكون لله ولد ذكر ولا أنثى سبحانه، نزّه جلّ جلاله بذلك نفسه عما أضافوا إليه ونسبوه من البنات، فلم يرضوا بجهلهم إذ أضافوا إليه ما لا ينبغي إضافته إليه. ولا ينبغي أن يكون له من الولد أن يضيفوا إليه ما يشتهونه لأنفسهم ويحبونه لها، ولكنهم أضافوا إليه ما يكرهونه لأنفسهم ولا يرضونه لها من البنات ما يقتلونها إذا كانت لهم. وفي «ما» التي في قوله: ولَهُمْ ما يَشْتَهُونَ وجهان من العربية: النصب عطفا لها على «البنات»، فيكون معنى الكلام إذا أريد ذلك: ويجعلون لله البنات ولهم البنين الذين يشتهون، فتكون «ما» للبنين، والرفع على أن الكلام مبتدأ من قوله: ولَهُمْ ما يَشْتَهُونَ فيكون معنى الكلام: ويجعلون لله البنات ولهم البنون.

وقوله: وَإِذَا بُشّرَ أَحَدُهُمْ بالأُنْثَى ظَلّ وَجْهُهُ مُسْوَدّا يقول: وإذا بشر أحد هؤلاء الذين جعلوا لله البنات بولادة ما يضيفه إليه من ذلك له، ظلّ وجهه مسودّا من كراهته له وَهُوَ كَظِيمٌ يقول قد كَظَم الحزنَ، وامتلأ غمّا بولادته له، فهو لا يظهر ذلك.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16367ـ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: وَيَجْعَلُونَ لِلّهِ البَناتِ سُبْحانَهُ ولَهُمْ ما يَشْتَهُونَ، ثم قال: وَإِذَا بُشّرَ أَحَدُهُمْ بالأُنثَى ظَلّ وَجْهُهُ مُسْوَدّا وَهُوَ كَظِيمٌ... إلى آخر الآية، يقول: يجعلون لله البنات ترضونهنّ لي ولا ترضونهنّ لأنفسكم وذلك أنهم كانوا في الجاهلية إذا وُلد للرجل منهم جارية أمسكها على هون، أو دسها في التراب وهي حية.

16368ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَإِذَا بُشّرَ أَحَدهُمْ بالأُنْثى ظَلّ وَجْهَهُ مُسْوَدّا وَهُوَ كَظِيمٌ وهذا صنيع مشركي العرب، أخبرهم الله تعالى ذكره بخبث صنيعهم فأما المؤمن فهو حقيق أن يرضى بما قسم الله له، وقضاء الله خير من قضاء المرء لنفسه، ولعمري ما يدري أنه خير، لرُبّ جارية خير لأهلها من غلام. وإنما أخبركم الله بصنيعهم لتجتنبوه وتنتهوا عنه، وكان أحدهم يغذو كلبه ويئد ابنته.

16369ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: وَهُوَ كَظِيمٌ قال: حزين.
16370ـ حدثني المثنى، قال: حدثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هشيم، عن جويبر، عن الضحاك، في قوله: وَهُوَ كَظِيمٌ قال: الكظيم: الكميد.
وقد بيّنا ذلك بشواهده في غير هذا الموضع.

الآية : 59

القول في تأويل قوله تعالى: {يَتَوَارَىَ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوَءِ مَا بُشّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىَ هُونٍ أَمْ يَدُسّهُ فِي التّرَابِ أَلاَ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ }.
يقول تعالى ذكره: يتوارى هذا المبشّر بولادة الأنثى من الولد له من القوم، فيغيب عن أبصارهم مِنْ سُوءِ ما بُشّرَ بِهِ يعني: من مساءته إياه مميلاً بين أن يمسكه على هُون: أي على هوان، وكذلك ذلك لغة قريش فيما ذكر لي، يقولون للهوان: الهُون ومنه قول الحطيئة:
فلَمّا خَشِيتُ الهُونَ والعَيْرُ مُمْسِكٌعلى رَغْمِهِ ما أثبتَ الحبلَ حافِرُهْ
وبعض بني تميم جعل الهُونَ مصدرا للشيء الهين. ذكر الكسائي أنه سمعهم يقولون: إن كنت لقليل هون المؤنة منذ اليوم قال: وسمعت: الهوان في مثل هذا المعنى، سمعت منهم قائلاً يقول لبعير له: ما به بأس غير هوانه، يعني خفيف الثمن، فإذا قالوا: هو يمشي على هَوْنه، لم يقولوه إلا بفتح الهاء، كما قال تعالى: وَعبادُ الرّحْمَنِ الّذِينَ يَمْشُونَ على الأرْضِ هَوْنا. أمْ يَدسّهُ فِي التّرَابِ يقول: يدفنه حيّا في التراب فيئده. كما:
16371ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: أيُمْسكُهُ على هُونٍ أمْ يَدُسّهُ في التّرَابِ يئد ابنته.
وقوله: ألا ساءَ ما يَحْكُمُونَ يقول: ألا ساء الحكم الذي يحكم هؤلاء المشركون وذلك أن جعلوا لله ما لا يرضون لأنفسهم، وجعلوا لما لا ينفعهم ولا يضرّهم شركا فيما رزقهم الله، وعبدوا من خلقهم وأنعم عليهم.

الآية : 60

القول في تأويل قوله تعالى: {لِلّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالاَخِرَةِ مَثَلُ السّوْءِ وَلِلّهِ الْمَثَلُ الأعْلَىَ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }.
وهذا خبر من الله جلّ ثناؤه أن قوله: وَإذَا بُشّرَ أحدَهُمْ بالأنْثَى ظَلّ وَجْهُهُ مُسْوَدّا وَهُوَ كَظِيمٌ، والآية التي بعدها مثل ضربه الله لهؤلاء المشركين الذين جعلوا لله البنات، فبين بقوله: للّذِينَ لا يُوءْمِنُونَ بالآخِرَةِ مَثَلُ السّوْءِ أنه مثل، وعنى بقوله جلّ ثناؤه: للّذِينَ لا يُوءْمِنُونَ بالآخِرَةِ للذين لا يصدّقون بالمعاد والثواب والعقاب من المشركين مَثَلُ السّوْءِ وهو القبيح من المثل، وما يسوء من ضرب له ذلك المثل. ولِلّهِ المَثَلُ الأعْلى يقول: ولله المثل الأعلى، وهو الأفضل والأطيب، والأحسن، والأجمل، وذلك التوحيد والإذعان له بأنه لا إله غيره.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
16372ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: وَلِلّهِ المَثَلُ الأعْلَى قال: شهادة أن لا إله إلا الله.

16373ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سيعد، عن قتادة، قوله: لّلـذِينَ لا يُوءْمِنُـونَ بـالآخِرَةِ مَثَـلُ السّـوْءِ وَلِلّـهِ الـمَثَلْ الأعْلَـى الإخلاص والتوحيد.

وقوله: وَهُوَ العَزِيزُ الـحَكِيـمُ يقول تعالى ذكـره: والله ذو العـزّة التـي لا يـمتنع علـيه معها عقوبة هؤلاء الـمشركين الـذين وصـف صـفتهم فـي هـذه الآيات، ولا عقوبة من أراد عقوبته علـى معصيته إياه، ولا يتعذّر علـيه شـيء أراده وشاءه لأن الـخـلق خـلقه والأمـر أمـره، الـحكيـم فـي تدبـيره، فلا يدخـل تدبـيره خَـلَل ولا خطأ.

الآية : 61

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللّـهُ النّـاسَ بِظُلْمِهِـمْ مّا تَـرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبّةٍ وَلَكِن يُؤَخّرُهُمْ إِلَىَ أَجَلٍ مّسَمّىَ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْـتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: وَلَوْ يُوءَاخِذُ اللّهُ عصاة بنـي آدم بـمعاصيهم، ما تَرَكَ عَلَـيْها يعنـي علـى الأرض مِنْ دَابّةٍ تدبّ علـيها. ولَكِنْ يُوءَخّرُهُمْ يقول: ولكـن بحلـمه يؤخر هؤلاء الظلـمة فلا يُعاجلهم بـالعقوبة، إلـى أجَلٍ مُسَـمّى يقـول: إلـى وقتهم الذي وُقّت لهم. فإذَا جاءَ أجَلُهُـمْ يقـول: فـإذا جـاء الـوقت الـذي وُقّت لهلاكهم، لا يَسْتَأْخِرُونَ عن الهلاك ساعة فـيـمهلون، وَلا يَسْـتَقْدِمُونَ لـه حتـى يستوفُوا آجالهم.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

16374ـ حدثنا مـحمد بن بشار، قـال: حـدثنا عبـد الرحمـن، قـال: حـدثنا سفـيان، عن أبـي إسحاق، عن أبـي الأحـوص، قـال: كـاد الـجُعَل أن يعـذّب بذنب بنـي آدم. وقرأ: لَوْ يُوءَاخِذُ اللّهُ النّـاسَ بِظُلْـمِهِمْ مـا تَـرَكَ عَلَـيْها مِـنْ دَابّةٍ.

16375ـ حـدثنا مـحمد بـن الـمثنى، ق ال: حـدثنا إسماعيـل بـن حكيـم الـخزاعيّ، قال: حدثنا مـحمد بن جابر الـجعفـي، عن يحيى بـن أبـي كثـير، عن أبـي سلـمة، قال: سمع أبو هريرة رجلاً وهو يقـول: إن الظالـم لا يضـرّ إلا نفسه، قال: فـالتفت إلـيه فقال: بلـى، والله إن الـحبـاري لتـموت فـي وكرها هزالاً بظلـم الظالـم

16376ـ حدثنـي يعقوب، قال: حدثنا أبو عبـيدة الـحداد، قال: حدثنا قـرة بن خالد السدوسي، عن الزبـير بن عديّ، قال: قال ابن مسعود: خطيئة ابـن آدم قتلت الـجُعَل.

حدثنا أبو السائب، قال: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبـي إسحاق، عن أبـي عبـيدة، قال: قال عبد الله: كاد الـجُعَل أن يهلك فـي حُجْرَهِ بخطيئة ابن آدم.

16377ـ حدثنـي الـمثنى، قال: حدثنا أخبرنـا إسـحاق، قـال: أخبرنا عبـد الرزاق، عن معمر، عن الزهـري، قـال اللـه: فـإذَا جـاءَ أجَلُهُـمْ لا يَسْـتَأْخِرُونَ ساعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ قال: نرى أنه إذا حضر أجله فلا يـؤخر سـاعة ولا يقـدّم ما لـم يحضر أجله، فإن الله يؤخّر ما شاء ويُقدّم ما شاءَ.

الآية : 62

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَيَجْعَلُونَ لِلّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِـنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنّ لَهُمُ الْحُسْنَىَ لاَ جَرَمَ أَنّ لَهُمُ النّارَ وَأَنّهُمْ مّفْرَطُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ويجعل هؤلاء المشركون لله ما يكرهونه لأنفسهم. وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الكَذِبَ يقول: وتقول ألسنتهم الكذب وتفتريه أنّ لهم الحُسْنَى فأن في موضع نصب، لأنها ترجمة عن الكذب. وتأويل الكلام: ويجعلون لله ما يكرهونه لأنفسهم، ويزعمون أن لهم الحسنى الذي يكرهونه لأنفسهم، البنات يجعلونهن لله تعالى، وزعموا أن الملائكة بنات الله. وأما الحُسنى التي جعلوها لأنفسهم: فالذكور من الأولاد وذلك أنهم كانوا يئدون الإناث من أولادهم ويستبقون الذكور منهم، ويقولون: لنا الذكور ولله البنات. وهو نحو قوله: وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ البَناتِ سُبْحانَهُ وَلهُمْ ما يَشْتَهونَ.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16378ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء وحدثني المثنى، قال: أخبرنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل وحدثني المثنى، قال: أخبرنا إسحاق، قال: حدثنا عبد الله، عن ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الكَذِبَ أنّ لَهُمُ الحُسْنَى قال: قول قريش: لنا البنون ولله البنات.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله، إلا أنه قال: قول كفّار قُريش.

16379ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ما يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتِهُمُ الكَذِبَ: أي يتكلمون بأن لهم الحُسنى أي الغلمان.

16380ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: أنّ لَهُمُ الحُسْنَى قال: الغلمان.

وقوله: لا جَرَمَ أن لَهُمُ النّارَ وأنّهُمْ مُفْرَطُونَ يقول تعالى ذكره: حقّا واجبا أن لهؤلاء القائلين لله البنات الجاعلين له ما يكرهونه لأنفسهم ولأنفسهم الحسنى عند الله يوم القيامة النار.

وقد بيّنا تأويل قول الله: لا جَرَمَ في غير موضع من كتابنا هذا بشواهده بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

ورُوي عن ابن عباس في ذلك، ما:

16381ـ حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: لا جَرَمَ يقول: بلى.

وقوله: لا جَرَمَ كان بعض أهل العربية يقول: لم تُنْصَب جَرَمَ ب «لا» كما نصبت الميم من قول: لا غلام لك قال: ولكنها نُصِبَت لأنها فعل ماض، مثل قول القائل: قَعَدَ فلان وجلس، والكلام: لا ردّ لكلامهم أي ليس الأمر هكذا، جَرَم: كَسَبَ، مثل قوله: لا أقسم، ونحو ذلك. وكان بعضهم يقول: نصب «جَرَمَ» ب «لا»، وإنما بمعنى: لا بدّ، ولا محالة ولكنها كثرت في الكلام حتى صارت بمنزلة «حقّا».

وقوله: وأنّهُمْ مُفْرَطُونَ يقول تعالى ذكره: وأنهم مُخَلّفون متروكون في النار، منسيّون فيها.

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال أكثرهم بنحو ما قلنا في ذلك. ذكر من قال ذلك:

16382ـ حدثنا محمد بن بشار وابن وكيع، قالا: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير في هذه الآية: لا جَرَمَ أنّ لهُمُ النّارَ وأنّهُمْ مُفْرَطُونَ قال: منسيّون مُضَيّعون.
حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي، قال: حدثنا زيد بن حباب، قال: أخبرنا سعيد، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، مثله.
حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا بهز بن أسد، عن شعبة، قال: أخبرني أبو بشر، عن سعيد بن جبير، مثله.
حدثني يعقوب، قال: حدثنا هشيم، قال: أخبرنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير، في قوله: لا جَرَمَ أنّ لَهُمْ النّارَ وأنّهُمْ مُفْرَطُونَ قال: متروكون في النار، منسيّون فيها.
حدثني يعقوب، قال: حدثنا هشيم، قال: حصين، أخبرنا، عن سعيد بن جبير، بمثله.
حدثني المثنى، قال: أخبرنا الحجاج بن المنهال، قال: حدثنا هشيم، عن حصين، عن سعيد بن جبير بمثله.
16383ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: وأنّهُم مُفْرَطُونَ قال: منسيّون.
حدثني الحرث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء وحدثني المثنى، قال: أخبرنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل وحدثني المثنى، قال: أخبرنا إسحاق، قال: حدثنا عبد الله، عن ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.
16384ـ حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا عبدة وأبو معاوية وأبو خالد، عن جويبر، عن الضحاك: وأنّهُم مُفْرَطُونَ قال: متروكون في النار.
حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن القاسم، عن مجاهد: مُفْرَطُونَ قال: مَنْسيّون.
16385ـ حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد، قال: ثني أبي، عن الحسين، عن قتادة: وأنّهُم مُفْرَطُونَ يقول: مُضَاعُون.
16386ـ حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا بدل، قال: حدثنا عباد بن راشد، قال: سمعت داود بن أبي هند، في قول الله: وأنّهُم مُفْرَطُونَ قال: منسيون في النار.
وقال آخرون: معنى ذلك مُعْجَلُون إلى النار مقدّمون إليها. وذهبوا في ذلك إلى قول العرب: أفرطنا فلانا في طلب الماء، إذا قدّموه لإصلاح الدّلاء والأرشية وتسوية ما يحتاجون إليه عند ورودهم عليه فهو مُفْرَط. فأما المتقدّم نفسه فهو فارط، يقال: قد فَرَط فلان أصحابَه يَفْرُطهم فُرْطا وفُروطا: إذا تقدمهم. وجمع فارط: فَرّاط ومنه قول القُطامِيّ:
واسْتَعْجَلُونا وكانُوا مِنْ صَحَابَتِناكمَا تَعَجّلَ فُرّاطٌ لِوُرّادِ
ومن قول النبيّ صلى الله عليه وسلم: «أنا فَرَطُكُمْ على الحَوْضِ»: أي متقدمكم إليه وسابقكم «حتى تَردُوه». ذكر من قال ذلك:
16387ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: وأنّهُم مُفْرَطُونَ يقول: مُعْجَلُون إلى النار.
حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: وأنّهُم مُفْرَطُونَ قال: قد أُفْرِطوا في النار أي مُعْجَلُون.
وقال آخرون: معنى ذلك: مُبْعَدُونَ في النار. ذكر من قال ذلك:

16388ـ حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبي، عن أشعث السّمان، عن الربيع، عن أبي بشر، عن سعيد: وأنّهُم مُفْرَطُونَ قال: مُخْسَئون مُبْعَدون.
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب القول الذي اخترناه، وذلك أن الإفراط الذي هو بمعنى التقديم، إنما يقال فيمن قدَم مقدمًا لإصلاح ما يقدم إليه إلى وقت ورود من قدّمه عليه، وليس بمُقَدّم من قُدّم إلى النار من أهلها لإصلاح شيء فيها لوارد يرد عليها فيها فيوافقه مصلحا، وإنما تَقَدّم مَن قُدّم إليها لعذاب يُعجّل له. فإذا كان معنى ذلك الإفراط الذي هو تأويل التعجيل ففسد أن يكون له وجه في الصحة، صحّ المعنى الآخر وهو الإفراط الذي بمعنى التخليف والترك وذلك أن يُحْكَى عن العرب: ما أفْرَطت ورائي أحدا: أي ما خَلّفته وما فرطته: أي لم أخلفه.
واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المِصرَين الكوفة والبصرة: وأنّهُم مُفْرَطُونَ بتخفيف الراء وفتحها، على معنى ما لم يُسَمّ فاعله من أفرِط فهو مُفْرَط. وقد بيّنت اختلاف قراءة ذلك كذلك في التأويل. وقرأه أبو جعفر القارىء: «وأنّهُم مُفْرَطُونَ» بكسر الراء وتشديدها، بتأويل: أنهم مفرّطون في أداء الواجب الذي كان لله عليهم في الدنيا، من طاعته وحقوقه، مضيعو ذلك، من قول الله تعالى: يا حَسْرتَا على ما فَرّطْتُ في جَنْبِ اللّهِ. وقرأ نافع بن أبي نعيم: «وأنّهُم مُفْرَطُونَ» بكسر الراء وتخفيفها.
16389ـ حدثني بذلك يونس، عن وَرْش عنه.
بتأويل: أنهم مُفْرِطون في الذنوب والمعاصي، مُسْرِفون على أنفسهم مكثرون منها، من قولهم: أفرط فلان في القول: إذا تجاوز حَدّه، وأسرف فيه.
والذي هو أولى القراءات في ذلك بالصواب قراءة الذين ذكرنا قراءتهم من أهل العراق لموافقتها تأويل أهل التأويل الذي ذكرنا قبل، وخروج القراءات الأخرى عن تأويلهم.

الآية : 63

القول في تأويل قوله تعالى: {تَاللّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىَ أُمَمٍ مّن قَبْلِكَ فَزَيّنَ لَهُمُ الشّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }.
يقول تعالى ذكره مقسما بنفسه عزّ وجلّ لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: والله يا محمد لقد أرسلنا رسلاً من قبلك إلى أممها بمثل ما أرسلناك إلى أمتك من الدعاء إلى التوحيد لله وإخلاص العبادة له والإذعان له بالطاعة وخلع الأنداد والآلهة. فَزَيّنَ لَهُمُ الشَيْطانُ أعْمَالَهُمْ يقول: فحسّن لهم الشيطان ما كانوا عليه من الكفر بالله وعبادة الأوثان مقيمين، حتى كذّبوا رسلهم، وردّوا عليهم ما جاءوهم به من عند ربهم. فَهُوَ وَلِيّهُمْ اليَوْمَ يقول: فالشيطان ناصرهم اليوم في الدنيا، وبئس الناصر. وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ في الآخرة عند ورودهم على ربهم، فلا ينفعهم حينئذ ولاية الشيطان، ولا هي نفعتهم في الدنيا بل ضرّتهم فيها وهي لهم في الآخرة أضرّ.

الآية : 64

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَآ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاّ لِتُبَيّنَ لَهُمُ الّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم: وما أنزلنا يا محمد عليك كتابنا وبعثناك رسولاً إلى خلقنا إلا لتبين لهم ما اختلفوا فيه من دين الله، فتعرفّهم الصواب منه والحقّ من الباطل، وتقيم عليهم بالصواب منه حجة الله الذي بعثك بها.

وقوله: وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُوءْمِنُونَ يقول: وهدى بيانا من الضلالة، يعني بذلك الكتاب، ورَحْمَةً لقَوْمٍ يُوءْمِنُونَ به، فيصدّقون بما فيه، ويقرّون بما تضمن من أمر الله ونهيه، ويعملون به. وعطف بالهدى على موضع «ليبين»، لأن موضعها نصب. وإنما معنى الكلام: وما أنزلنا عليك الكتاب إلا بيانا للناس فيما اختلفوا فيه هدى ورحمة.

الآية : 65

القول في تأويل قوله تعالى: {وَاللّهُ أَنْزَلَ مِنَ الْسّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنّ فِي ذَلِكَ لاَيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ }.

يقول تعالى ذكره منبه خَلقِه على حججه عليهم في توحيده، وأنه لا تنبغي الألوهة إلا له، ولا تصلح العبادة لشيء سواه: أيها الناس معبودكم الذي له العبادة دون كلّ شيء، أنْزَلَ مِنَ السّماء ماءً يعني: مطرا، يقول: فأنبت بما أنزل من ذلك الماء من السماء الأرض الميتة التي لا زرع بها ولا عُشْبَ ولا نبت بَعْدَ مَوْتِها بعد ما هي ميتة لا شيء فيها إن في ذلكَ لاَيةً يقول تعالى ذكره: إن في إحيائنا الأرض بعد موتها بما أنزلنا من السماء من ماء لدليلاً واضحا وحجة قاطعة عذر من فكر فيه لَقَوْمٍ يَسْمَعُونَ يقول: لقوم يسمعون هذا القول فيتدبرونه ويعقلونه ويطيعونَ الله بما دلهم عليه.

الآية : 66

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِنّ لَكُمْ فِي الأنْعَامِ لَعِبْرَةً نّسْقِيكُمْ مّمّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لّبَناً خَالِصاً سَآئِغاً لِلشّارِبِينَ }.

يقول تعالى ذكره: وإن لكم أيها الناس لعظة في الأنعام التي نُسْقيكم مما في بطونه.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: نُسْقِيكُمْ فقرأته عامة أهل مكة والعراق والكوفة والبصرة، سوى عاصم، ومن أهل المدينة أبو جعفر: نُسْقِيكُمْ بضم النون. بمعنى: أنه أسقاهم شرابا دائما. وكان الكسائي يقول: العرب تقول: أسقيناهم نَهْرا وأسقيناهم لبنا: إذا جعلته شِرْبا دائما، فإذا أرادوا أنهم أعطوه شربة قالوا: سقيناهم فنحن نَسْقِيهم بغير ألف. وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل المدينة سوى أبي جعفر، ومن أهل العراق عاصم: «نَسْقِيكم» بفتح النون من سقَاه الله فهو يَسْقيه. والعرب قد تدخل الألف فيما كان من السقي غير دائم وتنزعها فيما كان دائما، وإن كان أشهر الكلامين عندها ما قال الكسائي، يدلّ على ما قلنا من ذلك، قول لَبيد في صفة سحاب:

سَقَى قَوْمي بَنِي مَجْدٍ وأسْقَى نُمَيْرا والقَبائِلَ مِنْ هِلالِ

فجمع اللغتين كلتيهما في معنى واحد. فإذا كان ذلك كذلك، فبأية القراءتين قرأ القارىء فمصيب، غير أن أعجب القراءتين إليّ قراءة ضمّ النون لما ذكرت من أن الكلامين عند العرب فيما كان دائما من السقي أسقى بالألف فهو يُسْقِي، وما أسقى الله عباده من بطون الأنعام فدائم له غير منقطع عنهم. وأما قوله: مّمّا فِي بُطُونِهِ وقد ذكر الأنعام قبل ذلك،

وهي جمع والهاء في البطون موحدة، فإن لأهل العربية في ذلك أقوالاً، فكان بعض نحويي الكوفة يقول: النّعم والأنعام شيء واحد، لأنهما جميعا جمعان، فردّ الكلام في قوله: مِمّا فِي بُطُونِهِ إلى التذكير مرادا به معنى النّعم، إذ كان يؤدي عن الأنعام ويستشهد لقوله ذلك برجز بعض الأعراب:

إذا رأيْتَ أنْجُما منَ الأسَدْ جَبْهَتهُ أوِ الخَرَاةِ والكَتَدْ

بال سُهَيْلٌ في الفَضِيخِ فَفَسَدْ وطابَ ألْبانُ اللّقاحِ فَبَرَدْ

ويقول: رجع بقوله: «فبرد» إلى معنى اللبن، لأن اللبن والألبان تكون في معنى واحد. وفي تذكير النعم قول الآخر:

أكُلّ عامٍ نَعَمٌ تَحُوونَهْيُلْقحُهُ قَوْمٌ وتَنْتِجُونَهْ

فذكرّ النّعم. وكان غيره منهم يقول: إنما قال: مِمّا فِي بُطُونِهِ لأنه أراد: مما في بطون ما ذكرنا وينشد في ذلك رَجزا لبعضهم:

(مِثْلُ الفِراخِ نُتِّفَتْ حَوَاصِلُهْ)

وقول الأسود بن يَعْفُر:

إنّ المَنِيّةَ والحُتُوفَ كلاهُمايُوفي المخَارِمَ يَرْقُبانِ سَوَادِي

فقال: «كلاهما»، ولم يقل: «كلتاهما» وقول الصّلتان العَبْديّ:

إنّ السّماحَةَ والمُرُوءَة ضُمّناقَبْرا بمَرْوَ على الطّرِيقِ الوَاضِحِ

وقول الآخر:

وعَفْرَاءُ أدْنَى النّاس مِنّي مَوَدّةًوعَفْرَاءُ عَنّي المُعْرِضُ المُتَوَانِي

ولم يقل: المعرضة المتوانية.وقول الآخرة:

إذا النّاسُ ناسٌ والبِلادُ بِغبْطَةٍوَإذْ أُمّ عَمّارٍ صَديقٌ مُساعِفُ

ويقول: كل ذلك على معنى هذا الشيء وهذا الشخص والسواد، وما أشبه ذلك. ويقول: من ذلك قول الله تعالى ذكره: فَلَمّا رأى الشّمْسَ بازِغَةً قالَ هذَا رَبّي بمعنى: هذا الشيء الطالع، وقوله: إنّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ ولم يقل ذكرها، لأن معناه: فمن شاء ذكر هذا الشيء، وقوله: وَإنّي مُرْسِلَةٌ إلَيْهِمْ بِهَدِيّةٍ فَناظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ المُرْسَلُونَ فَلَمّا جاءَ سُلَيمانَ، ولم يقل «جاءت».

وكان بعض البصريين يقول: قيل: مِمّا فِي بُطُونِهِ لأن المعنى: نسقيكم من أيّ الأنعام كان في بطونه. ويقول: فيه اللبن مضمر، يعني أنه يسقي من أيها كان ذا لبن، وذلك أنه ليس لكلها لبن، وإنما يُسقى من ذوات اللبن. والقولان الأوّلان أصحّ مخرجا على كلام العرب من هذا القول الثالث.

وقوله: مِنْ بينِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنا خالِصا يقول: نسقيكم لبنا، نخرجه لكم من بين فرث ودم خالصا يقول: خلص من مخالطة الدم والفرث فلم يختلطا به. سائِغا للشّارِبِينَ يقول: يسوغ لمن شربه فلا يَغَصّ به كما يَغَصّ الغاصّ ببعض ما يأكله من الأطعمة. وقيل: إنه لم يَغَصّ أحد باللبن قَطّ.

الآية : 67

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمِن ثَمَرَاتِ النّخِيلِ وَالأعْنَابِ تَتّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً إنّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ولكم أيضا أيها النّاسُ عِبرةٌ فيما نسقيكم من ثمرات النخيل والأعناب ما تَتّخِذُونَ منه سَكَرا ورِزْقا حَسَنا مع ما نسقيكم من بطون الأنعام من اللبن الخارج من بين الفرث والدم. وحذف من قوله:

وَمِنْ ثَمَرَاتِ النّخِيلِ والأعنابِ الاسم، والمعنى ما وصفت، وهو: ومن ثمرات النخيل والأعناب ما تتخذون منه لدلالة «من» عليه، لأن «من» تدخل في الكلام مُبَعّضة، فاستغني بدلالتها ومعرفة السامعين بما يقتضي من ذكر الاسم معها. وكان بعض نحويي البصرة يقول في معنى الكلام: ومن ثمرات النخيل والأعناب شيء تتخذون منه سَكَرا، ويقول: إنما ذكرت الهاء في قوله: تَتّخِذُونَ مِنْهُ لأنه أريد بها الشيء، وهو عندنا عائد على المتروك، وهو «ما»، وقوله: تَتّخِذُونَ من صفة «ما» المتروكة.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله: تَتّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرا وَرِزْقا حَسَنا فقال بعضهم: عني بالسّكَر: الخمرُ، وبالرزق الحسن: التمرُ والزبيبُ، وقال: أنما نزلت هذه الآية قبل تحريم الخمر ثم حُرّمت بعد. ذكر من قال ذلك:

16390ـ حدثني محمد بن عبيد المحاربي، قال: حدثنا أيوب بن جابر السّحَيْمي، عن الأسود، عن عمرو بن سفيان، عن ابن عباس، قوله: تَتّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرا وَرِزْقا حَسَنا قال: السّكَر: ما حُرّم من شرابه، والرزق الحسن: ما أحلّ من ثمرته.

حدثنا ابن وكيع وسعيد بن الربيع الرازي، قالا: حدثنا ابن عيينة، عن الأسود بن قيس، عن عمرو بن سفيان، عن ابن عباس: تَتّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرا وَرِزْقا حَسَنا قال: الرزق الحسن: ما أحلّ من ثمرتها، والسكَر: ما حرّم من ثمرتها.

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبي، عن سفيان، عن الأسود، عن عمرو بن سفيان، عن ابن عباس مثله.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن الأسود بن قيس، عن عمرو بن سفيان، عن ابن عباس، بنحوه.

حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين، قال: حدثنا سفيان، عن الأسود بن قيس، عن عمرو بن سفيان، عن ابن عباس بنحوه.

حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن الأسود بن قيس، قال: سمعت رجلاً يحدّث عن ابن عباس في هذه الآية: تَتّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرا وَرِزْقا حَسَنا قال: السكر: ما حرّم من ثمرتيهما، والرزق الحسن: ما أحلّ من ثمرتيهما.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا الحسن بن صالح، عن الأسود بن قيس، عن عمرو بن سفيان، عن ابن عباس، بنحوه.

حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو غسان، قال: حدثنا زهير بن معاوية، قال: حدثنا الأسود بن قيس، قال: ثني عمرو بن سفيان، قال: سمعت ابن عباس يقول، وذكرت عنده هذه الآية: وَمِنْ ثَمَرَاتِ النّخِيلِ والأعْنابِ تَتّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرا وَرِزْقا حَسَنا قال: السكر: ما حرّم منهما، والرزق الحسن: ما أحلّ منهما.

حدثني يونس، قال: أخبرنا سفيان، عن الأسود بن قيس، عن عمرو بن سفيان البصري، قال: قال ابن عباس، في قوله: تَتّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرا وَرِزْقا حَسَنا قال: فأما الرزق الحسن: فما أحلّ من ثمرتهما، وأما السكر: فما حرّم من ثمرتهما.

حدثني المثنى، قال: أخبرنا الحِمّاني، قال: حدثنا شريك، عن الأسود، عن عمرو بن سفيان البصريّ، عن ابن عباس: تَتّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرا وَرِزْقا حَسَنا قال: السكر: حرامه، والرزق الحسن: حلاله.

حدثني المثنى، قال: أخبرنا العباس بن أبي طالب، قال: حدثنا أبو عوانة، عن الأسود، عن عمرو بن سفيان، عن ابن عباس قال: السّكَر: ما حرّم من ثمرتهما، والرزق الحسن: ما حلّ من ثمرتهما.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا إسرائيل، عن أبي حصين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: الرزق الحسن: الحلال، والسّكَر: الحرام.

16391ـ حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن أبي حصين، عن سعيد بن جبير: تَتّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرا وَرِزْقا حَسَنا قال: ما حرم من ثمرتهما، وما أحلّ من ثمرتهما.

حدثنا أحمد، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا سفيان، عن أبي حصين، عن سعيد بن جبير، قال: السكر خمر، والرزق الحسن الحلال.

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبي، عن مسعر وسفيان، عن أبي حصين، عن سعيد بن جبير، قال: الرزق الحسن: الحلال، والسّكَر: الحرام.

حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو نعيم، قال: حدثنا سفيان، عن أبي حصين، عن سعيد بن جبير، بنحوه.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، في هذه الآية: تَتّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرا وَرِزْقا حَسَنا قال: السكَر: الحرام، والرزق الحسن: الحلال.

16392ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن مغيرة، عن أبي رزين: تَتّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرا وَرِزْقا حَسَنا قال: نزل هذا وهم يشربون الخمر، فكان هذا قبل أن ينزل تحريم الخمر.

16393ـ حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا عبد الرحمن بن مَهديّ، قال: حدثنا شعبة، عن المغيرة، عن إبراهيم والشعبي وأبي رزين، قالوا: هي منسوخة في هذه الآية: تَتّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرا وَرِزْقا حَسَنا.

حدثنا الحسن بن عرفة، قال: حدثنا أبو قطن، عن سعيد، عن المُغيرة، عن إبراهيم والشعبيّ، وأبي رزين بمثله.

16394ـ حدثني المثنى، قال: حدثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هشيم، عن مغيرة، عن إبراهيم، في قوله: تَتّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرا وَرِزْقا حَسَنا قال: هي منسوخة نسخها تحريم الخمر.

16395ـ حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا هوذة، قال: حدثنا عوف، عن الحسن، في قوله: تَتّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرا وَرِزْقا حَسَنا قال: ذكر الله نعمته في السكر قبل تحريم الخمر،

16396ـ حدثني المثنى، قال: حدثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هشيم، عن منصور وعوف، عن الحسن، قال السكر: ما حرّم الله منه، والرزق: ما أحلّ الله منه.

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبي، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن الحسن، قال: الرزق الحسن: الحلال، والسكَر: الحرام.

16397ـ حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبي، عن سلمة، عن الضحاك، قال: الرزق الحسن: الحلال، والسكَر: الحرام.

16398ـ حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبو أسامة، عن أبـي كدينة يحيى بـن الـمهلب، عن لـيث، عن مـجاهد قـال: السـكر: الـخمر، والـرزق الـحسن، الرّطَب والأعناب.
16399ـ حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا شريك، عن لـيث، عن مـجاهد: تَتّـخِذُونَ مِنْهُ سَكَرا قال: هي الـخمر قبل أن تـحرّم.
16400ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو، قـال: حـدثنا أبـو عاصـم، قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحرث، قال: حدثنا الـحسن، قـال: حـدثنا ورقـاء وحدثنـي الـمثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل جميعا، عن ابن أبـي نـجيح، عن مـجاهد: تَتّـخِذُونَ مِنْهُ سَكَرا قال: الـخمر قبـل تـحريـمها، وَرِزْقـا حَسَـنا قال: طعاما.
حدثنا القاسم، قال: حدثنا الـحسين، قال: ثنـي حجاج، عن ابن جريج، عن مـجاهد بنـحوه.
16401ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَمِنْ ثَمَراتِ النّـخِيـلِ والأعنابِ تَتّـخِذُونَ مِنْهُ سَكَرا وَرِزْقا حَسَنا أمـا السّـكَر: فخمور هذه الأعاجم، وأما الرزق الـحسن: فما تنتبذون، ومـا تُـخَـلّلون، ومـا تأكلون. ونزلت هذه الآية ولـم تـحرّم الـخمر يومئذ، وإنـما جاء تـحريـمها بعد ذلك فـي سورة الـمائدة.
حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا عبدة بن سليـمان، قال: قرأت علـى ابن أبـي عُذرة، قال: هكذا سمعت قتادة: تَتّـخِذُونَ مِنْهُ سَـكَرا وَرِزْقـا حَسَـنا ثـم ذكـر نـحو حديث بشر.
حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى، قال: حدثنا مـحمد بن ثور، عن معمر، عـن قتادة: سَكَرا قال: هي خمور الأعاجم، ونُسخت فـي سورة الـمائدة. والرزق الـحسن قال: ما تنتبذون وتـخـلّلون وتأكلون،
16402ـ حدثنـي مـحمد بن سعد، قال: ثنـي أبـي، قال: ثنـي عمي، ق ال: ثنــي أبـ ي، عـ ن أبــيه، عـن ابـن عبـ اس: وَمِـنْ ثَمَـرَاتِ النّـخِيــلِ والأعْنـابِ تَتّـخِذُونَ مِنْهُ سَكَرا وَرِزْقا حَسَنا وذلك أن الناس كانوا يسمّون الـخمر سكراً، وكانوا يشربونها، قال ابن عباس: مـرّ رجـال بـوادي السـكران الـذي كـانت قريش تـجتـمع فـيه، إذا تَلَقّـوا مسـافريهم إذا جـاءوا مـن الشـام، وانطلقـوا معهم يشيعونهم حتـى يبلغوا وادي السكران ثم يرجعوا منه، ثم سـماها اللـه بعد ذلك الـخمر حين حرمت. وقد كان ابن عبـاس يزعم أنهـا الــخمر، وكـان يزعم أن الـحبشة يسمون الـخـلّ السكر. قوله: وَرِزْقـا حَسَـنا يعنــي بـذلك: الـحلال التـمر والزبـيب، وما كان حلالاً لا يسكر.
وقال آخرون: السّكَر بـمنزلة الـخمر فـي التـحريـم ولـيس بخمر، وقالوا: هي نقـيع التـمر والزبـيب إذا اشتدّ وصار يسكر شاربه. ذكر من قال ذلك:
16403ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا الـحكم بن بشير، قال: حدثنا عمرو، فـي قوله: وَمِنْ ثَمَرَاتِ النّـخِيـلِ والأعْنابِ تَتّـخِذُونَ مِنْهُ سَـكَرا وَرِزْقـا حَسَـنا قال ابن عباس: كان هذا قبل أن ينزل تـحريـم الـخمر والسـكر حـرام مثـل الـخمر وأما الـحلال منه فـالزبـيب والتـمر والـخـل ونـحوه.
16404ـ حدثنـي الـمثنى، وعلـي بن داود، قالا: حدثنا عبد الله بن صالــح، قال: ثنـي معاوية، عن علـيّ، عن ابـن عبــاس، قـوله: تَتّــخِذُونَ مِنْـهُ سَـكَرا فحرّم الله بعد ذلك، يعنـي بعد ما أنزل فـي سـورة البقـرة مـن ذكـر الــخمر والـميسر والأنصـاب والأزلام، السّـكَر مـع تـحريــم الــخمر لأنـه منـه، قـال:

وَرِزْقا حَسَنا فهو الحلال من الخلّ والنبيذ وأشباه ذلك، فأقرّه الله وجعله حلالاً للمسلمين.
16405ـ حدثنا أحمد، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا إسرائيل، عن موسى، قال: سألت مرّة عن السّكَر، فقال: قال عبد الله: هو خمر.
16406ـ حدثنا أحمد، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا إسرائيل، عن أبي فروة، عن أبي عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: السكر: خمر.
16407ـ حدثنا أحمد، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا سفيان، عن أبي الهيثم، عن إبراهيم، قال: السكر: خمر.
16408ـ حدثنا أحمد، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا حسن بن صالح، عن مغيرة، عن إبراهيم وأبي رزين، قالا: السكر: خمر.
16409ـ حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: تَتّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرا يعني: ما أسكر من العنب والتمر وَرِزْقا حَسَنا يعني: ثمرتها.
16410ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: تَتّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرا وَرِزْقا حَسَنا قال: الحلال ما كان على وجه الحلال حتى غيروها فجعلوا منها سَكَرا.
وقال آخرون: السّكَرَ: هو كلّ ما كان حلالاً شربه، كالنبيذ الحلال والخلّ والرطَب. والرزق الحسن: التمر والزبيب. ذكر من قال ذلك:
16411ـ حدثني داود الواسطيّ، قال: حدثنا أبو أسامة، قال: أبو رَوْق: ثني قال: قلت للشعبيّ: أرأيت قوله تعالى: تَتّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرا أهو هذا السّكَر الذي تصنعه النّبَط؟ قال: لا، هذا خمر، إنما السكر الذي قال الله تعالى ذكره: النبيذ والخلّ والرزق الحسن: التمر والزبيب.
حدثني يحيى بن داود، قال: حدثنا أبو أسامة، قال: وذكر مجالد، عن عامر، نحوه.
16412ـ حدثني أحمد بن إسحاق، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا مندل، عن ليث، عن مجاهد: تَتّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرا وَرِزْقا حَسَنا قال: ما كانوا يتخذون من النخل النّبيذ، والرزق الحسن: ما كانوا يصنعون من الزبيب والتمر.
حدثنا أحمد، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا مندل، عن أبي رَوْق، عن الشعبيّ، قال: قلت له: ما تتخذون منه سَكَرا؟ قال: كانوا يصنعون من النبيذ والخلّ قلت: والرزق الحسن؟ قال: كانوا يصنعون من التمر والزبيب.
حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبو أسامة وأحمد بن بشير، عن مجالد، عن الشعبيّ، قال: السّكَر: النبيذ والرزق الحسن: التمر الذي كان يؤكل.
وعلى هذا التأويل، الآية غير منسوخة، بل حكمها ثابت.
وهذا التأويل عندي هو أولى الأقوال بتأويل هذه الآية، وذلك أن السكر في كلام العرب على أحد أوجه أربعة: أحدها: ما أسكر من الشراب. والثاني: ما طُعِم من الطعام، كما قال الشاعر:
عَلْتُ عَيْبَ الأكْرَمِينَ سَكَرَا
أي طعما. والثالث: السّكُون، من قول الشاعر:
عَلَتْ عينْ الحَرُورِ تَسْكُرُ

وقد بـيّنا ذلك فـيـما مضى. والرابع: الـمصدر من قولهم: سَكِرَ فلان يَسْكَرُ سُكْرا وسَكْرا وسَكَرا. فإذا كان ذلـك كـذلك، وكـان مـا يُسْـكِر مـن الشـراب حراما بـما قد دللنا علـيه فـي كتابنا الـمسمى: «لطيـف القـول فـي أحكـام شرائع الإسلام» وكان غير جائز لنا أن نقول: هو منسوخ، إذ كـان الــمنسوخ هو ما نَفَـى حكمه الناسخ وما لا يجوز اجتـماع الـحكم به وناسخه، ولـم يكــن فـي حكم الله تعالـى ذكره بتـحريـم الـخمر دلـيـل علـى أن السّكَر الذي هـو غير الـخمر، وغير ما يسكر من الشراب، حرام إذ كـان السـكر أحـد معانــيه عند العرب، ومن نزل بلسانه القرآن هو كلّ ما طعم، ولـم يكن مـع ذلـك، إذ لـم يكن فـي نفس التنزيـل دلـيـل علـى أنه منسوخ، أو ورد بأنه منسوخ خبر من الرسول، ولا أجمعت علـيه الأمة، فوجب القول بــما قلنـا مـن أن معنـى السّكَرَ فـي هذا الـموضع: هو كلّ ما حلّ شربه مـما يتـخذ مـن ثمـر النـخــل والكرم، وفسد أن يكون معناه الـخمر أو ما يسكر من الشـراب، وخـرج مـن أن يكون معناه السّكَر نفسه، إذ كان السّكَر لـيس مــما يتــخذ مـن النّـخْــل والكَرْم، ومن أن يكون بـمعنى السكون.

وقوله: إنّ فِـي ذلكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ يقول: فـيــما إن وصـفنا لكـم مـن نعمنا التـي آتـيناكم أيها الناس من الأنعام والنـخــل والكـرم، لدلالـة واضـحة وآية بـينة لقوم يعقلون عن الله حججه ويفهمون عنه مواعظه فـيتعظون بها.

الآية : 68

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَأَوْحَىَ رَبّـكَ إِلَـىَ النّحْـلِ أَنِ اتّخِـذِي مِـنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشّجَرِ وَمِمّا يَعْرِشُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: وألهم ربك يا مـحمد النـحل إيحاء إلـيها أنِ أتّـخِذِي مِنَ الـجبِـالِ بُـيُوتا وَمِنَ الشّجَرِ ومـمّا يَعْرِشُونَ يعنـي: مـما يبنون من السـقوف، فرفعوها بـالبناء.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

16413ـ حدثنـي يعقوب بن إبراهيـم، قـال: حـدثنا مـروان، عـن إسـحاق التـميـمي، وهو ابن أبـي الصبـاح، عن رجل، عن مـجاهد: وأوْحَى رَبّـكَ إلــى النّـحْلِ قال: ألهمها إلهاما.

16414ـ حدثنا الـحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الـرزاق، قـال: أخبرنـا معمر، قال: بلغنـي، فـي قوله: وأوْحَى رَبّكَ إلــى النّــحْلِ قـال: قـذف فــي أنفسها.

16415ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الـحسين، قال: ثنـي أبو سفـيان، عن معمر، عن أصحابه، قوله: وأوْحَى رَبّكَ إلـى النّـحْلِ قال: قذف فــي أنفسـها أن اتـخذي من الـجبـال بـيوتا.

16416ـ حدثنـي مـحمد بن سعد، قال: ثنـي أبـي، قال: ثنـي عمي، قـال: ثنـي أبـي، عن أبـيه عن ابن عبـاس، قوله: وأوْحَى رَبّكَ إلـى النّـحْلِ.... الآية، قال: أمرها أن تأكل من الثمرات، وأمرها أن تتبع سبل ربها ذُلُلاً.

وقد بـيّنا معنى الإيحاء واختلاف الـمختلفـين فـيه فـيـما مضـى بشـواهده، بـما أغنى عن إعادته فـي هذا الـموضع، وكذلك معنى قوله: يَعْرِشُونَ.

وكان ابن زيد يقول فـي معنى يعرشون، ما:

16417ـ حدثنـي به يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد فـي قوله: يَعْرِشُونَ قال: الكَرْم.

الآية : 69

القول في تأويل قوله تعالى: {ثُمّ كُلِي مِن كُلّ الثّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَآءٌ لِلنّاسِ إِنّ فِي ذَلِكَ لاَيَةً لّقَوْمٍ يَتَفَكّرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ثم كلي أيتها النحل من الثمرات، فاسْلُكِي سُبُلَ رَبّكِ يقول: فاسلكي طرق ربك ذُلُلاً يقول: مُذَلّلَةً لك، والذّلُل: جمع ذَلُول.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16418ـ حدثنا محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء وحدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله تعالى: فاسْلُكِي سُبُلَ رَبّكِ ذُلُلاً قال: لا يتوعّر عليها مكان سلكته.

16419ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: فاسْلُكِي سُبُلَ رَبّكِ ذُلُلاً قال: طُرُقا ذُلُلا، قال: لا يتوعّر عليها مكان سلكته.

وعلى هذا التأويل الذي تأوّله مجاهد، الذلل من نعت السبل.

والتأويل على قوله: فاسْلُكِي سُبُلَ رَبّكِ ذُلُلاً الذّلُل لك: لا يتوعر عليكِ سبيل سلكتيه، ثم أسقطت الألف واللام فنصب على الحال.

وقال آخرون في ذلك بما:

16420ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: فاسْلُكِي سُبُلَ رَبّكِ ذُلُلاً: أي مطيعة.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ذُلُلاً قال: مطيعة.

16421ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: فاسْلُكِي سُبُلَ رَبّكِ ذُلُلاً قال: الذلول: الذي يُقاد ويُذهب به حيث أراد صاحبه، قال: فهم يخرجون بالنحل ينتجعون بها ويذهبون وهي تتبعهم. وقرأ: أوَلَمْ يَرَوْا أنّا خَلَقْنا لَهُمْ مِمّا عَمِلَتْ أيْدِينا أنْعاما فَهُمْ لَهَا مالِكُونَ وَذلّلْناها لَهُمْ.... الآية.

فعلى هذا القول، الذّلُل من نعت النحل، وكلا القولين غير بعيد من الصواب في الصحة وجهان مخرجان، غير أنا اخترنا أن يكون نعتا للسّبل لأنها إليها أقرب.

وقوله: يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِها شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ يقول تعالى ذكره: يخرج من بطون النحل شراب، وهو العسل، مختلف ألوانه، لأن فيها أبيض وأحمر وأسحر وغير ذلك من الألوان.

قال أبو جعفر: «أسحر»: ألوان مختلفة مثل أبيض يضرب إلى الحمرة.

وقوله: فِيهِ شِفاءٌ لِلنّاسِ اختلف أهل التأويل فيما عادت عليه الهاء التي في قوله: فِيهِ، فقال بعضهم: عادت على القرآن، وهو المراد بها. ذكر من قال ذلك:

16422ـ حدثنا نصر بن عبد الرحمن، قال: حدثنا المحاربيّ، عن ليث، عن مجاهد: فِيهِ شِفاءٌ لِلنّاسِ قال: في القرآن شفاء.

وقال آخرون: بل أريد بها العسل. ذكر من قال ذلك:

16423ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِها شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفاءٌ لِلنّاسِ ففيه شفاء كما قال الله تعالى من الأدواء، وقد كان ينهي عن تفريق النحل وعن قتلها.

16424ـ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: جاء رجل إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم، فذكر أن أخاه اشتكى بطنه، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «اذْهَبْ فاسْقِ أخاكَ عَسَلاً» ثم جاءه فقال: ما زاده إلا شدة، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «اذْهَبْ فاسْقِ أخاكَ عَسَلاً، فَقَدْ صَدَقَ اللّهُ وكَذَبَ بَطْنُ أخِيكَ» فسقاه، فكأنما نُشِط من عِقال.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، ع ن قتادة: يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِها شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفاءٌ للنّاسِ قال: جاء رجل إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم، فذكر نحوه.

16425ـ حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبي، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله، قال: شفاءان: العسل شفاء من كلّ داء، والقرآن شفاء لما في الصدور.

16426ـ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: فِيهِ شِفاءٌ للنّاسِ العسل.

وهذا القول، أعني قول قتادة، أولى بتأويل الآية لأن قوله: فِيهِ في سياق الخبر عن العسل، فأن تكون الهاء من ذكر العسل، إذ كانت في سياق الخبر عنه أولى من غيره.

وقوله: إنّ فِي ذلكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكّرُونَ يقول تعالى ذكره: إن في إخراج الله من بطون هذه النحل: الشراب المختلف، الذي هو شفاء للناس، لدلالة وحجة واضحة على من سخّر النحل وهداها لأكل الثمرات التي تأكل، واتخاذها البيوت التي تنحت من الجبال والشجر والعروش، وأخرج من بطونها ما أخرج من الشفاء للناس، أنه الواحد الذي ليس كمثله شيء، وأنه لا ينبغي أن يكون له شريك ولا تصحّ الألوهة إلا له.

الآية : 70

القول في تأويل قوله تعالى: {وَاللّهُ خَلَقَكُمْ ثُمّ يَتَوَفّاكُمْ وَمِنكُم مّن يُرَدّ إِلَىَ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لاَ يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً إِنّ اللّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ }.

يقول تعالى ذكره: والله خلقكم أيها الناس وأوجدكم ولم تكونوا شيئا، لا الآلهةُ التي تعبدون من دونه، فاعبدوا الذي خلقكم دون غيره. ثُمّ يَتَوَفّاكُمْ يقول: ثم يقبضكم. وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدّ إلى أرْذَلِ العُمُرِ يقول: ومنكم من يَهْرَم فيصير إلى أرذل العمر، وهو أردؤه، يقال منه: رذل الرجل وفسل، يرذل رذالة ورذولة ورذلته أنا. وقيل: إنه يصير كذلك في خمس وسبعين سنة.

16427ـ حدثني محمد بن إسماعيل الفزاريّ، قال: أخبرنا محمد بن سَوار، قال: حدثنا أسد بن عمران، عن سعد بن طريق، عن الأصبغ بن نَباتة، عن عليّ، في قوله: وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدّ إلى أرْذَلِ العُمُرِ قال: خمسٌ وسبعون سنة.

وقوله: لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئا يقول: إنما نردّه إلى أرذل العمر ليعود جاهلاً كما كان في حال طفولته وصباه. بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئا يقول: لئلا يعلم شيئا بعد علم كان يعلمه في شبابه، فذهب ذلك بالكبر ونسي، فلا يعلم منه شيئا، وانسلخ من عقله، فصار من بعد عقل كان له لا يعقل شيئا. إنّ اللّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ يقول: إن الله لا ينسى ولا يتغير علمه، عليم بكلّ ما كان ويكون، قدير على ما شاء، لا يجهل شيئا ولا يُعجزه شيءٌ أراده.

الآية : 71

القول في تأويل قوله تعالى: {وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىَ بَعْضٍ فِي الْرّزْقِ فَمَا الّذِينَ فُضّلُواْ بِرَآدّي رِزْقِهِمْ عَلَىَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللّهِ يَجْحَدُونَ }.

يقول تعالى ذكره: والله أيها الناس فضّل بعضكم على بعض في الرزق الذي رزقكم في الدنيا، فما الذين فضّلهم الله على غيرهم بما رزقهم بِرَادّي رِزْقِهِمْ على ما مَلَكَتْ أيمَانُهُمْ يقول: بمشركي ممالـيكِهم فيما رزقهم من الأموال والأزواج. فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ يقول: حتى يستووا هم في ذلك وعبيدهم، يقول تعالى ذكره: فهم لا يرضَون بأن يكونوا هم ومماليكهم فيما رزقتهم سواء، وقد جعلوا عبيدي شركائي في ملكي وسلطاني. وهذا مَثَل ضربه الله تعالى ذكره للمشركين بالله. وقيل: إنما عَنَى بذلك الذين قالوا: إن المسيح ابن الله من النصارى. وقوله: أَفَبِنِعْمَةِ اللّهِ يَجْحَدُونَ يقول تعالى ذكره: أفبنعمة الله التي أنعمها على هؤلاء المشركين من الرزق الذي رزقهم في الدنيا يجحدون بإشراكهم غير الله من خلقه في سلطانه ومُلكه؟

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16428ـ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: وَاللّهُ فَضّلَ بَعْضَكُمْ على بَعْضٍ فِي الرّزْقِ فَمَا الّذِينَ فُضّلُوا بِرَادّي رِزْقِهِمْ عَلى ما مَلَكَتْ أيمَانُهُمْ يقول: لم يكونوا يشركون عبيدهم في أموالهم ونسائهم، فكيف يشركون عبيدي معي في سلطاني؟ فذلك قوله: أَفَبِنِعْمَةِ اللّهِ يَجْحَدُونَ.

16429ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: هذه الآية في شأن عيسى ابن مريم، يعني بذلك نفسه، إنما عيسى عبد، فيقول الله: والله ما تشركون عبيدكم في الذي لكم فتكونوا أنتم وهم سواء، فكيف ترضَون لي بما لا ترضون لأنفسكم؟

16430ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء وحدثني المثنى، قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا عبد الله، عن ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: بِرَادّي رِزْقِهِمْ عَلى ما مَلَكَتْ أيمَانُهُمْ قال: مثل آلهة الباطل مع الله تعالى ذكره.

16431ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَاللّهُ فَضّلَ بَعْضَكُمْ على بَعْضٍ فِي الرّزْقِ فَمَا الّذِينَ فُضّلُوا بِرَادّي رِزْقِهِمْ عَلى ما مَلَكَتْ أيمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنَعْمَةِ اللّهِ يَجْحَدُونَ وهذا مثل ضربه الله، فهل منكم من أحد شارك مملوكه في زوجته وفي فراشه فتعدلون بالله خلقه وعباده؟ فإن لم ترض لنفسك هذا، فالله أحقّ أن ينزّه منه من نفسك، ولا تعدل بالله أحدا من عباده وخلقه.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: فَمَا الّذِينَ فُضّلُوا بِرَادّي رِزْقِهِمْ على ما مَلَكَتْ أيمَانُهُمْ قال: هذا الذي فضل في المال والولد، لا يشرك عبده في ماله وزوجته. يقول: قد رضيت بذلك لله ولم ترض به لنفسك، فجعلت لله شريكا في ملكه وخلقه.

الآية : 72

القول في تأويل قوله تعالى: {وَاللّهُ جَعَلَ لَكُمْ مّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُمْ مّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مّنَ الطّيّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وَاللّهُ الذي جَعَلَ لَكُمْ أيها الناس مِنْ أنْفُسِكُمْ أزْوَاجا يعني أنه خلق آدم زوجته حوّاء، وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أزواجكم بنين وحَفَدَةً، كما:

16432ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: وَالله جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أنْفُسِكُمْ أزْوَاجا: أي والله خلق آدم، ثم خلق زوجته منه ثم جعل لكم بنين وحفدة.

واختلف أهل التأويل في المعنيين بالحفدة، فقال بعضهم: هم الأختان، أختان الرجل على بناته. ذكر من قال ذلك:

16433ـ حدثنا أبو كريب وابن وكيع، قالا: حدثنا أبو معاوية، قال: حدثنا أبان بن تغلب، عن المنهال بن عمرو، عن ابن حبيش، عن عبد الله: بَنِينَ وَحَفَدَةً قال: الأخْتان.

16434ـ حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا أبو بكر، عن عاصم، عن ورقاء سألت عبد الله: ما تقول في الحَفَدَة؟ هم حَشَم الرجل يا أبا عبد الرحمن؟ قال: لا، ولكنهم الأختان.

حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن وحدثنا أحمد بن إسحاق، قال: حدثنا أبو أحمد، قالا جميعا: حدثنا سفيان، عن عاصم بن بَهْدَلة، عن زِرّ بن حُبَيش، عن عبد الله، قال: الحَفَدة: الأختان.

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبي، عن سفيان بإسناده عن عبد الله، مثله.

16435ـ حدثنا ابن بشار وأحمد بن الوليد القرشي وابن وكيع وسوار بن عبد الله العنبريّ ومحمد بن خلف بن خِراش والحسن بن خلف الواسطيّ، قالوا: حدثنا يحيى بن سعيد القطان، عن الأعمش، عن أبي الضحى، قال: الحَفَدة: الأختان.

16436ـ حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا هشيم، عن المغيرة، عن إبراهيم، قال: الحَفَدة: الأختان.

16437ـ حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا إسرائيل، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير: بَنِينَ وَحَفَدَةً قال: الحَفَدة: الأختان.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن مغيرة، عن إبراهيم، قال: الحَفَدَة: الخَتْن.

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا ابن عيينة، عن عاصم، عن زرّ، عن عبد الله، قال: الأختان.

16438ـ حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا حفص، عن أشعث، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: الأختان.

16439ـ وحدثني المثنى، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ عن ابن عباس، قوله: وحَفَدَةً قال: الأصهار.

حدثني المثنى، قال: حدثنا الحجاج، قال: حدثنا حماد، عن عاصم، عن زرّ، عن ابن مسعود، قال: الحَفَدة: الأختان.

16440ـ حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن عيينة، عن عاصم بن أبي النجود، عن زرّ بن حبيش، قال: قال لي عبد

الله بن مسعود: ما الحفَدة يا زِرّ؟ قال: قلت: هم أحفاد الرجل من ولده وولد ولده. قال: لا، هم الأصهار.
وقال آخرون: هم أعوان الرجل وخدمه. ذكر من قال ذلك:
16441ـ حدثني محمد بن خالد بن خداش، قال: ثني سليم بن قتيبة، عن وهب بن حبيب الأَسَدي، عن أبي حمزة، عن ابن عباس سئل عن قوله: بَنِينَ وَحَفَدَةً قال: من أعانك فقد حَفَدك، أما سمعت قوله الشاعر:
حَفَدَ الوَلائِدُ حَوْلَهنّ وأُسْلِمَتْبأكُفّهنّ أزِمّةُ الأجْمالِ
16442ـ حدثنا هناد، قال: حدثنا أبو الأحوص، عن سماك، عن عكرمة، في قوله: بَنِينَ وَحَفَدَةً قال: الحفدة: الخُدّام.
حدثني محمد بن خالد بن خداش، قال: ثني سَلْم بن قتيبة، عن حازم بن إبراهيم البَجَلي، عن سماك، عن عكرمة، قال: قال: الحَفَدة: الخُدّام.
حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا عمران بن عيينة، عن حصين، عن عكرمة، قال: هم الذين يُعينون الرجل من ولده وخدمه.
حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الحكَم بن أبان، عن عكرمة: وَحَفَدَةً قال: الحَفدة: من خدمك مِنْ ولدك.
حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا يحيى بن آدم، عن سلام بن سليم، وقيس عن سمِاك، عن عكرمة، قال: هم الخدم.
حدثنا أحمد، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا سلام أبو الأحوص، عن سماك، عن عكرمة، مثله.
16443ـ حدثني محمد بن خالد، قال: ثني سلمة، عن أبي هلال، عن الحسن، في قوله: بَنِينَ وَحَفَدَةً قال: البنين وبني البنين، مَن أعانك من أهل وخادم فقد حفدك.
16444ـ حدثني المثنى، قال: حدثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هشيم، عن منصور، عن الحسن، قال: هم الخَدَم.
16445ـ حدثني محمد بن خالد وابن وكيع، ويعقوب بن إبراهيم، قالوا: حدثنا إسماعيل بن عُلَية، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: الحَفَدة: الخَدَم.
16446ـ حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: حدثنا أبو أحمد وحدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبي وحدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، جميعا عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: بَنِينَ وَحَفَدَةً قال: ابنه وخادمه.
16447ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء وحدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله تعالى: بَنِينَ وَحَفَدَةً قال: أنصارا وأعوانا وخدّاما.
16448ـ حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا زمعة، عن ابن طاوس، عن أبيه، قال: الحفدة: الخدم.
16449ـ حدثنا ابن بشار مرّة أخرى، قال: ابنه وخادمه.
16450ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قال: وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً مَهَنة يَمْهنونك ويخدمونك من ولدك، كرامة أكرمكم الله بها.

16451ـ حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا عبد الله، عن إسرائيل، عن السّديّ، عن أبي مالك: الحَفَدة، قال: الأعوان.
16452ـ حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبي، عن سفيان، عن حصين، عن عكرمة، قال: الذين يعينونه.
حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا مَعْمر، عن الحكَم بن أبان، عن عكرمة، في قوله: بَنِينَ وَحَفَدَةً قال: الحفدة: من خدمك من ولدك وولد ولدك.
حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن التيميّ، عن أبيه، عن الحسن، قال: الحَفَدة: الخَدَم.
حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو نعيم، قال: حدثنا سفيان، عن حصين، عن عكرمة: بَنِينَ وَحَفَدَةًقال: ولده الذين يعينونه.
وقال آخرون: هم ولد الرجل وولد ولده. ذكر من قال ذلك:
16453ـ حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا عبد الصمد، قال: حدثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: وَحَفَدَةً قال: هم الولد وولد الولد.
حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن أبي بشر، عن مجاهد وسعيد بن جبير، عن ابن عباس في هذه الآية: بَنِينَ وَحَفَدَةً قال: الحَفَدة: البنون.
حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا غُنْدَر، عن شعبة، عن أبي بشر، عن مجاهد، عن ابن عباس، مثله.
16454ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي بكر، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: بنوك حين يحفدونك ويرفدونك ويعينونك ويخدمونك، قال حميد:
حَفَدَ الوَلائِدُ حَوْلَهُنّ وأَسْلَمَتْبِأُكُفّهِنّ أزِمّةَ الأجْمالِ
16455ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً قال: الحفَدة: الخدم من ولد الرجل هم ولده، وهم يخدمونه. قال: وليس تكون العبيد من الأزواج، كيف يكون من زوجي عبد؟ إنما الحفدة: ولد الرجل وخدمه.
16456ـ حُدثت عن الحسين بن الفَرَج، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله: بَنِينَ وَحَفَدَةً يعني: ولد الرجل يحفِدونه ويخدُمونه، وكانت العرب إنما تخدمهم أولادهم الذكور.
وقال آخرون: هم بنو امرأة الرجل من غيره. ذكر من قال ذلك:
16457ـ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً يقول: بنو امرأة الرجل ليسوا منه.
ويقال: الحَفَدة: الرجل يعمل بين يدي الرجل، يقول: فلان يحفد لنا، ويزعم رجال أن الحفَدة أخْتان الرجل.
والصواب من
القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى أخبر عباده معرفَهم نعمه عليهم، فيما جعل لهم من الأزواج والبنين، فقال تعالى: وَاللّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً فأعلمهم أنه جعل

لهم من أزواجهم بنين وحَفدة، والحفَدة في كلام العرب: جمع حافد، كما الكذبة: جمع كاذب، والفسَقة: جمع فاسق. والحافد في كلامهم: هو المتخفّف في الخدمة والعمل، والحَفْد: خفة العمل يقال: مرّ البعير يحَفِدُ حفَدَانا: إذا مرّ يُسرع في سيره. ومنه قولهم: «إليك نسعى ونَحْفِدُ»: أي نسرع إلى العمل بطاعتك. يقال منه: حَفَدَ له يَحْفِدُ حَفْدا وحُفُودا وحَفَدَانا ومنه قول الراعي:

كَلَّفْتُ مَجْهُولَها نُوقا يَمَانيَةًإذا الحُدَاةُ على أكْسائها حَفَدُوا

وإذ كان معنى الحفدة ما ذكرنا من أنهم المسرعون في خدمة الرجل المتخففون فيها، وكان الله تعالى ذكره أخبرنا أن مما أنعم به علينا أن جعل لنا حفدة تحفد لنا، وكان أولادنا وأزواجنا الذين يصلحون للخدمة منا ومن غيرنا وأختاننا الذين هم أزواج بناتنا من أزواجنا وخدمنا من مماليكنا إذا كانوا يحفدوننا فيستحقون اسم حفدة، ولم يكن الله تعالى دلّ بظاهر تنزيله ولا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ولا بحجة عقل، على أنه عنى بذلك نوعا من الحفدة دون نوع منهم، وكان قد أنعم بكلّ ذلك علينا، لم يكن لنا أن نوجه ذلك إلى خاصّ من الحفدة دون عام، إلا ما اجتمعت الأمة عليه أنه غير داخل فيهم. وإذا كان ذلك كذلك فلكلّ الأقوال التي ذكرنا عمن ذكرنا وجه في الصحة ومَخْرج في التأويل وإن كان أولى بالصواب من القول ما اخترنا لما بيّنا من الدليل.

وقوله: وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطّيّباتِ يقول: ورزقكم من حلال المعاش والأرزاق والأقوات. أفَبالباطِلِ يُؤْمِنُونَ يقول تعالى ذكره: يحرّم عليهم أولياء الشيطان من البحائر والسوائب والوصائل، فيصدّق هؤلاء المشركون بالله. وَبِنِعْمَةِ اللّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ يقول: وبما أحلّ الله لهم من ذلك وأنعم عليهم بإحلاله، يَكْفُرُونَ يقول: ينكرون تحليله، ويجحدون أن يكون الله أحلّه.

الآية : 73 و 74

القول في تأويل قوله تعالى: {وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقاً مّنَ السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ شَيْئاً وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ * فَلاَ تَضْرِبُواْ لِلّهِ الأمْثَالَ إِنّ اللّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ويعبد هؤلاء المشركون بالله من دونه أوثانا لا تملك لهم رزقا من السموات، لأنها لا تقدر على إنزال قطر منها لإحياء موتان الأرضين. والأرْضِ يقول: ولا تملك لهم أيضا رزقا من الأرض لأنها لا تقدر على إخراج شيء من نباتها وثمارها لهم ولا شيئا مما عدّد تعالى في هذه الآية أنه أنعم بها عليهم. وَلا يَسْتَطِيعُونَ يقول: ولا تملك أوثانهم شيئا من السموات والأرض، بل هي وجميع ما في السموات والأرض لله ملك، ولا يَسْتَطِيعُونَ يقول: ولا تقدر على شيء.

وقوله: فَلا تَضْرِبُوا لِلّهِ الأمْثالَ يقول: فلا تمثلوا لله الأمثال، ولا تشبّهوا له الأشباه، فإنه لا مِثْل له ولا شِبْه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16458ـ حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حُذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: الأمثال الأشباه.

16459ـ وحدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: فَلا تَضْرِبُوا لِلّهِ الأَمْثالَ يعني اتخاذهم الأصنام، يقول: لا تجعلوا معي إلها غيري، فإنه لا إله غيري.
16460ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ ما لا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقا مِنَ السّمَوَاتِ والأرْضِ شَيْئا وَلا يَسْتَطِيعُونَ قال: هذه الأوثان التي تُعْبد من دون الله لا تملك لمن يعبدها رزقا ولا ضرّا ولا نفعا، ولا حياة ولا نشورا. وقوله: فَلا تَضْرِبُوا لِلّهِ الأَمْثالَ فإنه أحَد صَمَد لم يَلِد ولم يُولَد ولم يكن له كُفُوا أحد. إنّ اللّهَ يَعْلَمُ وأنْتُمْ لا تَعْلَمونَ يقول: والله أيها الناس يعلم خطأ ما تمثلون وتضربون من الأمثال وصوابه، وغير ذلك من سائر الأشياء، وأنتم لا تعلمون صواب ذلك من خطئه.
واختلف أهل العربية في الناصب قوله: «شَيْئا» فقال بعض البصريين: هو منصوب على البدل من الرزق، وهو في معنى: لا يملكون رزقا قليلاً ولا كثيرا. وقال بعض الكوفيين: نصب «شيئا» بوقوع الرزق عليه، كما قال تعالى ذكره: أَلَمْ نَجْعَلِ الأرْضَ كِفاتا أحْياءً وأمْوَاتا. أي تكفت الأحياء والأموات، ومثله قوله تعالى ذكره: أوْ إطْعامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيما ذا مَقْرَبَةٍ أوْ مِسْكِينا ذَا مَتْرَبَةٍ. قال: ولو كان الرزق مع الشيء لجاز خفضه، لا يملك لكم رزق شيء من السموات، ومثله: فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النّعَمِ.

الآية : 75

القول في تأويل قوله تعالى: {ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً عَبْداً مّمْلُوكاً لاّ يَقْدِرُ عَلَىَ شَيْءٍ وَمَن رّزَقْنَاهُ مِنّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهْراً هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ }.
يقول تعالى ذكره: وشَبّه لكم شَبها أيها الناس للكافر من عبيده، والمؤمن به منهم. فأما مثَل الكافر: فإنه لا يعمل بطاعة الله، ولا يأتي خيرا، ولا ينفق في شيء من سبيل الله ماله لغلبة خذلان الله عليه، كالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء فينفقه. وأما المؤمن بالله فإنه يعمل بطاعة الله وينفق في سبيله ماله كالحرّ الذي آتاه الله مالاً فهو ينفق منه سرّا وجهرا، يقول: بعلم من الناس وغير علم. هَلْ يَسْتَوُونَ يقول هل يستوي العبد الذي لا يملك شيئا ولا يقدر عليه، وهذا الحرّ الذي قد رزقه الله رزقا حسنا فهو ينفق كما وَصَف؟ فكذلك لا يستوي الكافر العامل بمعاصي الله المخالف أمره والمؤمن العامل بطاعته.
وبنحو الذي قلنا في ذلك كان بعض أهل العلم يقول. ذكر من قال ذلك:
16461ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً عَبْدا مَمْلُوكا لا يَقْدِرُ على شَيْءٍ هذا مثل ضربه الله للكافر، رزقه مالاً فلم يقدّم فيه خيرا ولم يعمل فيه بطاعة الله، قال الله تعالى ذكره: وَمَنْ رَزَقْناهُ مِنّا رِزْقا حَسَنا فهذا المؤمن أعطاه الله مالاً، فعمل فيه بطاعة الله وأخذ بالشكر ومعرفة حقّ الله، فأثابه الله على ما رزقه الرزق المقيم الدائم لأهله في الجنة، قال الله تعالى ذكره: هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلاً، والله ما يستويان: الحَمْدُ لِلّهِ بَلْ أكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ.
16462ـ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: عَبْدا مَمْلُوكا لا يَقْدِرُ عَلى شَيْءٍ قال: هو الكافر لا يعمل بطاعة الله

ولا ينفق خيرا وَمَنْ رَزَقْناهُ مِنّا رِزْقا حَسَنا قال: المؤمن يطيع الله في نفسه وماله.

16463ـ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً عَبْدا مَمْلُوكا لا يَقْدِرُ عَلى شَيْءٍ يعني: الكافر أنه لا يستطيع أن ينفق نفقة في سبيل الله وَمَنْ رَزَقْناهُ مِنّا رِزْقا حَسَنا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرّا وَجَهْرا يعني المؤمن، وهذا المثل في النفقة.

وقوله: الحَمْدُ لِلّهِ يقول: الحمد الكامل لله خالصا دون ما تَدْعُون أيها القوم من دونه من الأوثان فإياه فاحمدوا دونها. وقوله: بَلْ أكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ يقول: ما الأمر كما تفعلون، ولا القول كما تقولون، ما للأوثان عندهم من يد ولا معروف فتُحْمد عليه، إنما الحمد لله ولكن أكثر هؤلاء الكفرة الذين يعبدونها لا يعلمون أن ذلك كذلك، فهم بجهلهم بما يأتون ويَذَرون يجعلونها لله شركاء في العبادة والحمد.

وكان مجاهد يقول: ضرب الله هذا المثل، والمثل الآخر بعده لنفسه، والآلهة التي تعبد من دونه.

الآية : 76

القول في تأويل قوله تعالى: {وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً رّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَىَ شَيْءٍ وَهُوَ كَلّ عَلَىَ مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجّههّ لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىَ صِرَاطٍ مّسْتَقِيمٍ }.

وهذا مثل ضربه الله تعالى لنفسه والآلهة التي تُعبد من دونه، فقال تعالى ذكره: وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أحَدُهُما أبْكَمُ لا يَقْدِرُ عَلى شَيْءٍ يعني بذلك الصنم أنه لا يسمع شيئا ولا ينطق، لأنه إما خشب منحوت وإما نحاس مصنوع لا يقدر على نفع لمن خدمه ولا دفع ضرّ عنه. وهُوَ كَلّ على مَوْلاهُ يقول: وهو عيال على ابن عمه وحلفائه وأهل ولايته، فكذلك الصنم كَلٌّ على من يعبده، يحتاج أن يحمله ويضعه ويخدمه، كالأبكم من الناس الذي لا يقدر على شيء، فهو كلّ على أوليائه من بني أعمامه وغيرهم. أيْنَما يُوجّهْهُ لا يَأْتِ بخَيْرٍ يقول: حيثما يوجهه لا يأت بخير، لأنه لا يفهم ما يُقال له، ولا يقدر أن يعبر عن نفسه ما يريد، فهو لا يفهم ولا يُفْهَم عنه، فكذلك الصنم لا يعقل ما يقال له فيأتمر لأمر من أمره، ولا ينطق فيأمر وينهي يقول الله تعالى: هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بالعَدْلِ يعني: هل يستوي هذا الأبكم الكلّ على مولاه الذي لا يأتي بخير حيث توجه ومن هو ناطق متكلم يأمر بالحقّ ويدعو إليه وهو الله الواحد القهار الذي يدعو عباده إلى توحيده وطاعته؟ يقول: لا يستوي هو تعالى ذكره، والصنم الذي صفته ما وصف. وقوله: وَهُوَ على صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ يقول: وهو مع أمره بالعدل، على طريق من الحقّ في دعائه إلى العدل وأمره به مستقيم، لا يَعْوَجّ عن الحقّ ولا يزول عنه.

وقد اختلف أهل التأويل في المضروب له هذا المثل، فقال بعضهم في ذلك بنحو الذي قلنا فيه. ذكر من قال ذلك:

16464ـ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: لا يَقْدِرُ عَلى شَيْءٍ قال: هو الوثن. هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بالعَدْلِ قال: الله يأمر بالعدل. وَهُوَ عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ وكذلك كان مجاهد يقول إلا أنه كان يقول: المثل الأوّل أيضا ضربه الله لنفسه وللوثن.

16465ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، وحدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حُذيفة، قال: حدثنا شبل، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله تعالى ذكره: عَبْدا مَمْلُوكا لا يَقْدِرُ عَلى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْناهُ مِنّا رِزْقا حَسَنا ورَجُلَيْنِ أحَدُهُما أبْكَمُ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ قال: كل هذا مثل إله الحقّ، وما يُدعي من دونه من الباطل.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

16466ـ حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبو معاوية، عن جويبر، عن الضحاك: وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً رَجْلَيْنِ أحَدُهُما أبْكَمُ قال: إنما هذا مثل ضربه الله.

وقال آخرون: بل كلا المثلين للمؤمن والكافر. وذلك قول يُروَى عن ابن عباس، وقد ذكرنا الرواية عنه في المثل الأوّل في موضعه.

وأما في المثل الآخر:

16467ـ فحدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: وَضَرَب اللّهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أحَدُهُما أبْكَمُ لا يَقْدِرُ عَلى شَيْءٍ وَهُوَ كَلّ عَلى مَوْلاهُ... إلى آخر الآية، يعني بالأبكم: الذي هو كَلّ على مولاه الكافر، وبقوله: وَمَنْ يَأْمُرُ بالعَدْلِ المؤمن، وهذا المثل في الأعمال.

16468ـ حدثنا الحسن بن الصباح البزار، قال: حدثنا يحيى بن إسحاق السيلحيني، قال: حدثنا حماد، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن إبراهيم، عن عكرمة، عن يَعْلىَ بن أمية، عن ابن عباس، في قوله: ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً عَبْدا مَمْلُوكا قال: نزلت في رجل من قريش وعبده. وفي قوله: مَثَلاً رَجُلَيْنِ أحَدُهُما أبْكَمُ لا يَقْدِرُ على شَيْءٍ... إلى قوله: وَهُوَ عَلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ قال: هو عثمان بن عفان. قال: والأبكم الذي أينما يُوَجّهُ لا يأت بخير، ذاك مولى عثمان بن عفّان، كان عثمان ينفق عليه ويكفله ويكفيه المئونة، وكان الآخر يكره الإسلام ويأباه وينهاه عن الصدقة والمعروف، فنزلت فيهما.

وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في المثل الأوّل لأنه تعالى ذكره مثّل مثَل الكافر بالعبد الذي وصف صفته، ومَثّل مثل المؤمن بالذي رزقه رزقا حسنا فهو ينفق مما رزقه سرّا وجهرا، فلم يجز أن يكون ذلك لله مثلاً، إذ كان الله إنما مثّل الكافر الذي لا يقدر على شيء بأنه لم يرزقه رزقا ينفق منه سرّا ومثّل المؤمن الذي وفّقه الله لطاعته فهداه لرشده فهو يعمل بما يرضاه الله، كالحرّ الذي بسط له في الرزق فهو ينفق منه سرّا وجهرا، والله تعالى ذكره هو الرازق غير المرزوق، فغير جائز أن يمثل إفضاله وجوده بإنفاق المرزوق الرزق الحسن. وأما المثل الثاني، فإنه تمثيل منه تعالى ذكره مَنْ له الأموال الكثيرة، ومن يضرّ أحيانا الضرّ العظيم بفساده، فغير كائن ما لا يقدر على شيء، كما قال تعالى ذكره مثلاً، لمن يقدر على أشياء كثيرة. فإذا كان ذلك كذلك كان أولى المعاني به تمثيل ما لا يقدر على شيء كما قال تعالى ذكره بمثله ما لا يقدر على شيء، وذلك الوثن الذي لا يقدر على شيء، بالأبكم الكَلّ على مولاه الذي لا يقدر على شيء كما قال ووصف.

الآية : 77

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلِلّهِ غَيْبُ السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَمَآ أَمْرُ السّاعَةِ إِلاّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنّ اللّهَ عَلَىَ كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }.

يقول تعالى ذكره: ولله أيها الناس مِلك ما غاب عن أبصاركم في السموات والأرض دون آلهتكم التي تدعون من دونه، ودون كلّ ما سواه، لا يملك ذلك أحد سواه. وَما أمْرُ السّاعَةِ إلاّ كَلَمْحِ البَصَرِ يقول: وما أمر قيام القيامة والساعة التي تنشر فيها الخلق للوقوف في موقف القيامة، إلا كنظرة من البصر، لأن ذلك إنما هو أن يقال له كن فيكون. كما:

16469ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: إلاّ كَلَمْحٍ البَصَرِ أوْ هُوَ أقْرَبُ والساعة: كلمح البصر، أو أقرب.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة: وَما أمْرُ السّاعَةِ إلاّ كَلَمْحِ البَصَرِ قال: هو أن يقول: كن، فهو كلمح البصر فأمر الساعة كلمح البصر أو أقرب يعني يقول: أو هو أقرب من لمح البصر.

وقوله: إنّ اللّهَ عَلى كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يقول: إن الله على إقامة الساعة في أقرب من لمح البصر قادر، وعلى ما يشاء من الأشياء كلها، لا يمتنع عليه شيء أراده.

الآية : 78

القول في تأويل قوله تعالى: {وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مّن بُطُونِ أُمّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السّمْعَ وَالأبْصَارَ وَالأفْئِدَةَ لَعَلّكُمْ تَشْكُرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: والله تعالى أعلمكم ما لم تكونوا تعلمون من بعد ما أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعقلون شيئا ولا تعلمون، فرزقكم عقولاً تفقهون بها وتميزون بها الخير من الشرّ وبصرّكم بها ما لم تكونوا تبصرون، وجعل لكم السمع الذي تسمعون به الأصوات، فيفقه بعضكم عن بعض ما تتحاورون به بينكم والأبصار التي تبصرون بها الأشخاص فتتعارفون بها وتميزون بها بعضا من بعض. والأفْئِدَةَ يقول: والقلوب التي تعرفون بها الأشياء فتحفظونها وتفكرون فتفقهون بها. لَعَلّكُمْ تَشْكُرُونَ يقول: فعلنا ذلك بكم، فاشكروا الله على ما أنعم به عليكم من ذلك، دون الآلهة والأنداد، فجعلتم له شركاء في الشكر، ولم يكن له فيما أنعم به عليكم من نعمه شريك.

وقوله: وَاللّهُ أخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أمّهاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئا كلام متناه، ثم ابتدىء الخبر، فقيل: وجعل الله لكم السمع والأبصار والأفئدة. وإنما قلنا ذلك كذلك، لأن الله تعالى ذكره جعل العبادة والسمع والأبصار والأفئدة قبل أن يخرجهم من بطون أمهاتهم، وإنما أعطاهم العلم والعقل بعدما أخرجهم من بطون أمهاتهم.

الآية : 79

القول في تأويل قوله تعالى: {أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىَ الطّيْرِ مُسَخّرَاتٍ فِي جَوّ السّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنّ إِلاّ اللّهُ إِنّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ }.

يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين: ألم تَرَوا أَيّها المشركون بالله إلى الطير مسخرات في جوّ السماء، يعني: في هواء السماء بينها وبين الأرض، كما قال إبراهيم بن عمران الأنصاريّ:

وَيْلُمّها مِنْ هَوَاءِ الجَوّ طالِبَةً وَلا كَهذا الّذِي فِي الأرْضِ مَطْلُوبُ

يعني: في هواء السماء. ما يُمْسِكُهُنّ إلاّ اللّهُ يقول: ما طيرانها في الجوّ إلا بالله وبتَسْخِيره إياها بذلك، ولو سلبها ما أعطاها من الطيران لم تقدر على النهوض ارتفاعا. وقوله: إنّ فِي ذلكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ يقول: إن في تسخير الله الطير وتمكينه لها الطيران في جوّ السماء، لعلامات ودلالات على أن لا إله إلا اللّهُ وحدَه لا شريك له، وأنه لاحظ للأصنام والأوثان في الألوهة. لَقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ يعني: لقوم يقرّون بوجدان ما تعاينه أبصارهم وتحسه حواسّهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16470ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: مُسَخّرَاتٍ فِي جَوّ السّماءِ: أي في كبد السماء.

الآية : 80

القول في تأويل قوله تعالى: {وَاللّهُ جَعَلَ لَكُمْ مّن بُيُوتِكُمْ سَكَناً وَجَعَلَ لَكُمْ مّن جُلُودِ الأنْعَامِ بُيُوتاً تَسْتَخِفّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَاثاً وَمَتَاعاً إِلَىَ حِينٍ }.

يقول تعالى ذكره: وَاللّهُ جَعَلَ لَكُمْ أيها الناس، مِنْ بُيُوتِكُمْ التي هي من الحجر والمدر، سَكَنا تسكنون أيام مقامكم في دوركم وبلادكم. وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ جُلُودِ الأنْعامِ بُيُوتا وهي البيوت من الأنطاع والفساطيط من الشعر والصوف والوبر. تَسْتَخِفّوَنها يقول: تستخفون حملها ونقلها، يَوْمَ ظَعْنِكُمْ من بلادكم وأمصاركم لأسفاركم، وَيَوْمَ إقامَتِكُمْ في بلادكم وأمصاركم. وَمِنْ أصْوَافِها وأوْبارِها وأشْعارِها أثاثا.

وبنحو الذي قلنا في معنى السكن قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16471ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء وحدثني المثنى، قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا عبد الله، عن ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله تعالى: مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنا قال: تسكنون فيه.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

وأما الأشعار فجمع شَعْر تثقل عينه وتخفف، وواحد الشّعْر شَعْرة. وأما الأثاث فإنه متاع البيت لم يسمع له بواحد، وهو في أنه لا واحد له مثل المتاع. وقد حكي عن بعض النحويين أنه كان يقول: واحد الأثاث أثاثة ولم أر أهل العلم بكلام العرب يعرفون ذلك. ومن الدليل على أن الأثاث هو المتاع، قول الشاعر:

أهاجَتْكَ الظّعائِنُ يَوْمَ بانُوابِذِي الرّثْيِ الجَمِيلِ مِنَ الأثاثِ

ويروى: «بذي الزيّ». وأنا أرى أصل الأثاث اجتماع بعض المتاع إلى بعض حتى يكثر كالشعر الأثيث وهو الكثير الملتفّ، يقال منه، أثّ شعر فلان يئِثّ أثّا: إذا كثر والتفّ واجتمع.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16472ـ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: أثاثا يعني بالأثاث: المال.
16473ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء وحدثني المثنى، قال: أخبرنا إسحاق، قال: حدثنا عبد الله، عن ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله تعالى: أثاثا قال: متاعا.
حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.
16474ـ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: أثاثا قال: هو المال.
16475ـ حدثني المثنى، قال: حدثنا عبد الله بن حرب الرازي، قال: أخبرنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن حميد بن عبد الرحمن، في قوله: أثاثا قال: الثياب.
وقوله: وَمَتاعا إلى حِينٍ فإنه يعني: أنه جعل ذلك لهم بلاغا، يتبلّغون ويكتفون به إلى حين آجالهم للموت. كما:
16476ـ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ومَتاعا إلى حِينٍ فإنه يعني: زينة، يقول: ينتفعون به إلى حين.
16477ـ حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: وَمَتاعا إلى حِينٍ قال: إلى الموت.
16478ـ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: وَمَتاعا إلى حِينٍ إلى أجل وبُلْغة.

الآية : 81

القول في تأويل قوله تعالى {وَاللّهُ جَعَلَ لَكُمْ مّمّا خَلَقَ ظِلاَلاً وَجَعَلَ لَكُمْ مّنَ الْجِبَالِ أَكْنَاناً وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلّكُمْ تُسْلِمُونَ }.
يقول تعالى ذكره: ومن نعمة الله عليكم أيها الناس أن جعل لكم مما خلق من الأشجار وغيرها ظلالاً تستظلّون بها من شدّة الحرّ، وهي جمع ظلّ.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
16479ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا الحكم بن بشير، قال: حدثنا عمرو، عن قتادة، في قوله: مِمّا خَلَقَ ظِلالاً قال: الشجر.
حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: وَاللّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمّا خَلَقَ ظِلالاً إي والله، من الشجر ومن غيرها.
وقوله: وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الجِبالِ أكْنانا يقول: وجعل لكم من الجبال مواضع تسكنون فيها، وهي جمع كِنّ كما:
16480ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الجِبالِ أكْنانا يقول: غيرانا من الجبال يسكن فيها.
وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الحَرّ يعني ثياب القطن والكتان والصوف وقمصها. كما:
16481ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الحَرّ من القطن والكتان والصوف.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: سَرَابِيلَ تَقِيكُم الحَرّ قال: القطن والكتان.
وقوله: سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ يقول: ودروعا تقيكم بأسكم، والبأس: هو الحرب، والمعنى: تقيكم في بأسكم السلاح أن يصل إليكم. كما:
16482ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ من هذا الحديد.
حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ قال: هي سرابيل من حديد.
وقوله: كذلكَ يُتِمّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلّكُمْ تُسْلِمُونَ يقول تعالى ذكره: كما أعطاكم ربكم هذه الأشياء التي وصفها في هذه الآيات نعمة منه بذلك عليكم، فكذا يتُمّ نعمته عليكم لعلكم تسلمون. يقول: لتخضعوا لله بالطاعة، وتذلّ منكم بتوحيده النفوس، وتخلصوا له العبادة. وقد رُوِي عن ابن عباس أنه كان يقرأ: «لَعَلّكُمْ تَسْلَمُونَ» بفتح التاء.
16483ـ حدثني المثنى، قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا عبد الرحمن بن أبي حماد، قال: حدثنا ابن المبارك، عن حنظلة، عن شهر بن حَوْشب، قال: كان ابن عباس يقول: «لَعَلّكُمْ تَسْلَمُونَ» قال: يعني من الجراح.
حدثنا أحمد بن يوسف، قال: حدثنا القاسم بن سلام، قال: حدثنا عباد بن العوّام، عن حنظلة السّدوسيّ، عن شهر بن حَوْشب، عن ابن عباس، أنه قرأها: «لَعَلّكُمْ تَسْلَمُونَ» من الجرَاحات، قال أحمد بن يوسف: قال أبو عبيدة: يعني بفتح التاء واللام.
فتأويل الكلام على قراءة ابن عباس هذه: كذلك يتمّ نعمته عليكم بما جعل لكم من السرابيل التي تقيكم بأسكم، لتسلموا من السلاح في حروبكم. والقراءة التي أستجيز القراءة بخلافها بضم التاء من قوله: لَعَلّكُمْ تُسْلِمُونَ وكسر اللام من أسلمت تُسْلِم يا هذا، لإجماع الحجة من قرّاء الأمصار عليها.
فإن قال لنا قائل: وكيف جعل لكم سرابيل تقيكم الحرّ، فخصّ بالذكر الحرّ دون البرد، وهي تقي الحرّ والبرد؟ أم كيف قيل: وجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الجِبالِ أكْنانا وترك ذكر ما جعل لهم من السهل؟ قيل له: قد اختُلف في السبب الذي من أجله جاء التنزيل كذلك، وسنذكر ما قيل في ذلك ثم ندلّ على أولى الأقوال في ذلك بالصواب.
فرُوِي عن عطاء الخراساني في ذلك ما:
16484ـ حدثني الحرث، قال: حدثنا القاسم، قال: حدثنا محمد بن كثير، عن عثمان بن عطاء، عن أبيه، قال: إنما نزل القرآن على قدر معرفتهم، ألا ترى إلى قول الله تعالى ذكره: وَالله جَعَلَ لَكُمْ مِمّا خَلَقَ ظِلالاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الجِبالِ أكْنانا وما جعل لهم من السهول أعظم وأكثر، ولكنهم كانوا أصحاب جبال، ألا ترى إلى قوله: وَمِنْ أصْوَافِها وأوْبارِها وأشْعارِها أثاثا وَمَتاعا إلى حِينٍ؟ وما جعل لهم من غير ذلك أعظم منه وأكثر، ولكنهم كانوا أصحاب وَبَر وشَعَر ألا ترى إلى قوله: ويُنَزّلُ مِنَ السّماءِ منْ جِبَالٍ فِيها مِنْ بَرَدٍ يعجّبهم من ذلك؟ وما أنزل من الثلج أعظم وأكثر، ولكنهم كانوا لا يعرفون به، ألا ترى إلى قوله: سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الحَرّ وما تقي من البرد أكثر وأعظم؟ ولكنهم كانوا أصحاب حرّ.

فـالسبب الذي من أجله خصّ الله تعالـى ذكرهُ السرابـيـل بأنها تقـي الـحرّ دون البرد علـى هذا القول، هو أن الـمخاطبـين بذلك كانوا أصحاب حرّ، فذكر الله تعالـى ذكره نعمته علـيهم بـما يقـيهم مكروه ما به عرفوا مكروهه دون ما لـم يعرفوا مبلغ مكروهه، وكذلك ذلك فـي سائر الأحرف الأُخَر.

وقال آخرون: ذكر ذلك خاصة اكتفـاء بذكر أحدهما من ذكر الآخر، إذ كان معلوما عند الـمخاطبـين به معناه، وأن السرابـيـل التـي تقـي الـحرّ تقـي أيضا البرد وقالوا: ذلك موجود فـي كلام العرب مستعمل، واستشهدوا لقولهم بقول الشاعر:

وَما أَدْرِي إذا يَـمّـمْتُ وَجْهاأُرِيدُ الـخَيْرَ أيّهُما يَـلِـيـنـي

فقال: أيهما يـلـيـنـي: يريد الـخير أو الشرّ، وإنـما ذكر الـخير لأنه إذا أراد الـخير فهو يتقـي الشرّ.

وأولـى القولـين فـي ذلك بـالصواب، قول من قال: إن القوم خوطبوا علـى قدر معرفتهم، وإن كان فـي ذكر بعض ذلك دلالة علـى ما ترك ذكره لـمن عرف الـمذكور والـمتروك وذلك أن الله تعالـى ذكره إنـما عدّد نعمه التـي أنعمها علـى الذين قُصدوا بـالذكر فـي هذه السورة دون غيرهم، فذكر أياديه عندهم.

الآية : 82 و 83

القول فـي تأويـل قـوله تعالـى {فَـإِن تَوَلّـوْاْ فَإِنّمَـا عَلَيْـكَ الْبَلاَغُ الْمُبِـيـنُ * يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللّهِ ثُمّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ }.

يقول تعالـى ذكره لنبـيه مـحمد صلى الله عليه وسلم: فإن أدبر هـؤلاء الـمشركون يا مـحمد عما أرسلتك به إلـيهم من الـحقّ، فلـم يستـجيبوا لـك وأعرضوا عنه، فما علـيك من لوم ولا عذل لأنك قد أدّيت ما علـيك فـي ذلك، إنه لـيس علـيك إلاّ بلاغهم ما أرسلت به. ويعنـي بقوله الـمُبِـينُ الـذي يبـين لـمن سمعه حتـى يفهمه.

وأما قوله: يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللّهِ ثُمّ يُنْكِرُونَها فإن أهل التأويـل اختلفـوا فـي الـمعنّى بـالنعمة التـي أخبر الله تعالـى ذكـره عـن هـؤلاء الـمشركين أنهـم ينكرونها مع معرفتهم بها، فقال بعضهم: هو النبـيّ صـلى اللـه عليـه وسـلم عرفوا نبوّته ثم جحدوها وكذبوه. ذكر من قال ذلك:

16485ـ حدثنا مـحمد بن بشار، قـال: حـدثنا عبـد الرحمـن، قـال: حـدثنا سفـيان، عن السديّ: يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللّهِ ثُمّ يُنْكِرُونَها قال: مـحمد صـلى اللـه عليه وسلم.

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبـي، عن سفـيان، عن السديّ، مثله.

وقال آخرون: بل معنى ذلك أنهم يعرفون أن ما عدّد الله تعالـى ذكره فـي هذه السورة من النعم مـن عنـد اللـه، وأن اللـه هـو الـمنعم بـذلك علـيهم، ولكنهم يُنكرون ذلك، فـيزعمون أنهم ورثوه عن آبـائهم. ذكر من قال ذلك:

16486ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو، قـال: حـدثنا أبـو عاصـم، قـال: حـدثنا عيسى وحدثنا الـمثنى، قـال: حـدثنا الـحسن، قـال: حـدثنا ورقـاء وحدثنـي الـمثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قـال: حـدثنا شـبل وحدثنـي الـمثنى، قـال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا عبد الله، عن ورقاء جميعا، عـن ابـن أبـي نـجيح،

عن مـجاهد: يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللّهِ ثُمّ يُنْكِرُونَها قال: هي الـمساكن والأنعام ومـا يرزقون منها، والسرابـيـل من الـحديد والثـياب، تعرف هذا كفـار قريش، ثم تنكره بأن تقول: هذا كان لآبـائنا، فروّحونا إياه.

16487ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الـحسين، قال: ثنـي حجاج، عـن ابـن جريج، عن مـجاهد، بنـحوه، إلا أنه قال: فورّثونا إياها. وزاد فـي الـحديث عن ابن جريج، قال ابن جريج: قال عبد الله بن كثـير: يعلـمون أن اللـه خـلقهم وأعطاهم ما أعطاهم، فهو معرفتهم نعمته ثم إنكارهم إياها كفرهم بعد.

وقال آخرون فـي ذلك، ما:

16488ـ حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا معاوية، عن عمرو، عن أبـي إسحاق الفزاري، عن لـيث، عن عون بن عبد الله بن عتبـة: يَعْرِفُـونَ نِعْمَـةَ اللّـهِ ثُـمّ يُنْكِرُونَها قال: إنكارهم إياها، أن يقول الرجل: لـولا فلان مـا كـان كـذا وكـذا، ولولا فلان ما أصبت كذا وكذا.

وقال آخرون: معنى ذلك أن الكفـار إذا قـيـل لهم: من رزقكم؟ أقرّوا بأن الله هو الذي رزقهم، ثم يُنكرون ذلك بقولهم: رزقنا ذلك بشفـاعة آلهتنا.

وأولـى الأقوال فـي ذلك بـالصواب وأشبهها بتأويـل الآية، قـول مـن قـال: عُنـي بـالنعمة التـي ذكرها الله فـي قوله يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللّـهِ النعمـة علـيهم بإرسال مـحمد صلى الله عليه وسلم إلـيهم داعيا إلـى ما بعثه بدعائهم إلـيه. وذلك أن هذه الآية بـين آيتـين كلتاهما خبر عن رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم وعما بعث به، فأولـى ما بـينهما أن يكون فـي معنى ما قبله وما بعده، إذ لـم يكن معنى يدلّ علـى انصرافه عما قبله وعما بعده فـالذي قبـل هـذه الآية قوله: فإنْ تَوَلّـوْا فإنّـمَا عَلَـيْكَ البَلاغُ الـمُبِـينُ يَعْرِفُـونَ نِعْمَـةَ اللّـهِ ثُـمّ يُنْكِرُونَها وما بعده: وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلّ أُمّـةٍ شَـهِيدا وهـو رسـولها. فـإذا كـان ذلك كذلك، فمعنى الآية: يعرف هؤلاء الـمشركون بـالله نعمة الله علـيهم يـا مـحمد بك، ثم ينكرونك ويجحدون نبوّتك. وأكْثَرُهُـمُ الكـافِرُونَ يقـول: وأكـثر قومك الـجاحدون نبوّتك، لا الـمقرّون بها.

الآية : 84

القول فـي تأويـل قوله تعالـى {وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلّ أُمّةٍ شَهِيداً ثُـمّ لاَ يُـؤْذَنُ لِلّذِينَ كَفَرُواْ وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: يعرفون نعمة الله ثم يُنكرونها الـيوم ويستنكرون يَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلّ أمّةٍ شَهِيدا وهو الشـاهد علـيها بـما أجـابت داعـي اللـه، وهـو رسولهم الذي أرسل إلـيهم. ثُمّ لا يُؤْذَنُ للّذِينَ كَفَرُوا يقول: ثم لا يؤذن للذين كفروا فـي الاعتذار، فـيعتذروا مـما كانوا بـالله وبرسـوله يكفـرون. وَلا هُـمْ يُسْتَعْتَبُونَ فـيتركوا الرجـوع إلـى الدنـيا فـينـيبوا ويتوبـوا وذلـك كمـا قـال تعالـى: هَذَا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَـيَعْتَذِرُونَ.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

16489ـ حدثنا بشر، قال: حـدثنا يزيـد، قـال: حـدثنا سـعيد، عـن قتـادة، قوله:وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلّ أُمّةٍ شَهِيدا وشاهدها نبـيها، علـى أنه قد بلغ رسالات ربه، قال الله تعالـى: وَجِئْنا بِكَ شَهِيدا عَلـى هَؤُلاءِ.

الآية : 85

القول فـي تأويـل قوله تعالـى {وَإِذَا رَأى الّذِينَ ظَلَمُواْ الْعَـذَابَ فَلاَ يُخَفّـفُ عَنْهُمْ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وإذا عاين الذين كذّبوك يا محمد وجَحَدوا نُبوّتك والأمم الذين كانوا على منهاج مشركي قومك عذاب الله، فلا ينجيهم من عذاب الله شيء لأنهم لا يؤذن لهم فيعتذرون فيخفّف عنهم العذاب بالعذر الذي يدّعونه، وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ يقول: ولا يُرْجَئُون بالعقاب، لأن وقت التوبة والإنابة قد فات، فليس ذلك وقتا لهما، وإنما هو وقت للجزاء على الأعمال، فلا ينظر بالعتاب ليعتب بالتوبة.

الآية : 86

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذَا رَأى الّذِينَ أَشْرَكُواْ شُرَكَآءَهُمْ قَالُواْ رَبّنَا هَـَؤُلاَءِ شُرَكَآؤُنَا الّذِينَ كُنّا نَدْعُوَاْ مِن دُونِكَ فَألْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنّكُمْ لَكَاذِبُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وإذا رأى المشركون بالله يوم القيامة ما كانوا يعبدون من دون الله من الآلهة والأوثان وغير ذلك، قالوا: ربنا هؤلاء شركاؤنا في الكفر بك، والشركاء الذين كنا ندعوهم آلهة من دونك. قال الله تعالى ذكره: فألْقَوْا يعني: شركاءهم الذين كانوا يعبدونهم من دون الله القَوْلَ يقول: قالوا لهم: إنكم لكاذبون أيها المشركين، ما كنا ندعوكم إلى عبادتنا.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16490ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء وحدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: فألْقَوْا إلَيْهِمُ القَوْلَ قال: حدّثوهم.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

الآية : 87

القول في تأويل قوله تعالى: {وَأَلْقَوْاْ إِلَىَ اللّهِ يَوْمَئِذٍ السّلَمَ وَضَلّ عَنْهُم مّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وألقى المشركون إلى الله يومئذ السلم يقول: استسلموا يومئذ وذلّوا لحكمه فيهم، ولم تغن عنهم آلهتهم التي كانوا يدعون في الدنيا من دون الله، وتبرأت منهم، ولا قومهم، ولا عشائرُهم الذين كانوا في الدنيا يدافعون عنهم. والعرب تقول: ألقيت إليه كذا تعني بذلك قلت له. وقوله: وَضَلّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ يقول: وأخطأهم من آلهتهم ما كانوا يَأملون من الشفاعة عند الله بالنجاة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16491ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وألْقَوْا إلى اللّهِ يَوْمَئِذٍ السّلَمَ يقول: ذلوا واستسلموا يومئذ وَضَلّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ.

الآية : 88

القول في تأويل قوله تعالى: {الّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ }.

يقول تعالى ذكره: الذين جحدوا يا محمد نبوّتك وكذّبوك فيما جئتهم به من عند ربك، وصَدّوا عن الإيمان بالله وبرسوله ومن أراده، زدناهم عذابا يوم القيامة في جهنم فوق العذاب الذي هم فيه قبل أن يزادوه. وقيل: تلك الزيادة التي وعدهم الله أن يزيدهموها عقارب وحيات. ذكر من قال ذلك:

16492ـ حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن عبد الله بن مرّة، عن مسروق، عن عبد الله: زِدْناهُمْ عَذَابا فَوْقَ العَذَابِ قال: عقارب لها أنياب كالنخل.

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبي، عن سفيان، عن الأعمش، عن عبد الله بن مرّة، عن مسروق، عن عبد الله مثله.

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبو معاوية وابن عيينة، عن الأعمش، عن عبد الله بن مرّة، عن مسروق، عن عبد الله: زِدْناهُمْ عَذَابا فَوْقَ العَذَابِ قال: زِيدوا عقارب لها أنياب كالنخل الطوال.

حدثنا إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني، قال: حدثنا جعفر بن عون، قال: أخبرنا الأعمش، عن عبد الله بن مرّة، عن مسروق، عن عبد الله، مثله.

حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا ابن أبي عديّ، عن سعيد، عن سليمان، عن عبد الله بن مرّة، عن مسروق، عن عبد الله، نحوه.

16493ـ حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا إسرائيل، عن السديّ، عن مرّة، عن عبد الله، قال: زِدْناهُمْ عَذَابا فَوْقَ العَذَابِ قال: أفاعِيَ.

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا عبد الله، عن إسرائيل، عن السديّ، عن مرّة عن عبد الله، قال: أفاعيَ في النار.

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبي، عن سفيان، عن رجل، عن مرّة، عن عبد الله، مثله.

16494ـ حدثنا مجاهد بن موسى والفضل بن الصباح، قالا: حدثنا جعفر بن عون، قال: أخبرنا الأعمش، عن مجاهد، عن عبيد بن عمير، قال: إن لجهنم جِبابا فيها حيات أمثال البخت وعقارب أمثال البغال الدهم، يستغيث أهل النار إلى تلك الجِباب أو الساحل، فتثب إليهم فتأخذ بشِفاههم وشفارهم إلى أقدامهم، فيستغيثون منها إلى النار، فيقولون: النارَ النارَ فتتبعهم حتى تجد حرّها فترجع، قال: وهي في أسراب.

16495ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني حَيي بن عبد الله، عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو، قال: إن لجهنم سواحل فيها حيات وعقارب أعناقها كأعناق البخت.

وقوله: بِمَا كانُوا يُفْسِدُونَ يقول: زدناهم ذلك العذاب على ما بهم من العذاب بما كانوا يفسدون، بما كانوا في الدنيا يعصُون الله ويأمرون عباده بمعصيته، فذلك كان إفسادهم، اللهمّ إنا نسألك العافية يا مالك الدنيا والآخرة الباقية.

الآية : 89

القول في تأويل قوله تعالى: {وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلّ أُمّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مّنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَىَ هَـَؤُلاَءِ وَنَزّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَـابَ تِبْيَانَـاً لّكُـلّ شَـيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىَ لِلْمُسْلِمِينَ }.

يقول تعالى ذكره: وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلّ أُمّةٍ شَهِيدا عَلَيْهِمْ مِنْ أنْفُسِهِمْ يقول: نسأل نبيهم الذي بعثناه إليهم للدعاء إلى طاعتنا. وقال: مِنْ أنْفُسِهِمْ لأنه تعالى ذكره كان يبعث إلى أمم أنبياءها منها: ماذا أجابوكم، وما ردّوا عليكم؟ وَجِئْنا بِكَ شَهِيدا عَلى هُؤلاءِ يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وجئنا بك يا محمد شاهدا على قومك وأمتك الذين أرسلتك إليهم بما أجابوك وماذا عملوا فيما أرسلتك به إليهم. وقوله: وَنَزّلْنا عَلَيْكَ الكِتابَ تِبْيانا لِكُلّ شَيْءٍ يقول: نزل عليك يا محمد هذا القرآن بيانا لكلّ ما بالناس إليه الحاجة من معرفة الحلال والحرام والثواب والعقاب. وَهُدىً من الضلالة وَرَحْمَةً لمن صدّق به، وعمل بما فيه من حدود الله وأمره ونهيه، فأحل حلاله وحرّم حرامه. وبُشْرَى للمسْلِمِينَ يقول: وبشارة لمن أطاع الله وخضع له بالتوحيد وأذعن له بالطاعة، يبشره بجزيل ثوابه في الآخرة وعظيم كرامته.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16496ـ حدثني المثنى، قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا عبد الله بن الزبير، عن ابن عيينة، قال: حدثنا أبان بن تغلب، عن الحكم، عن مجاهد: تِبْيانا لِكُلّ شَيْءٍ قال: مما أحلّ وحرّم.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن ابن عيينة، عن أبان بن تغلب، عن مجاهد، في قوله: تِبْيانا لِكُلّ شَيْءٍ مما أحلّ لهم وحرّم عليهم.

16497ـ حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن مجاهد، قوله: تِبْيانا لِكُلّ شَيْءٍ قال: ما أمر به، وما نَهَى عنه.

16498ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، في قوله: وَنَزّلْنا عَلَيْكَ الكِتابَ تِبْيانا لِكُلّ شَيْءٍ قال: ما أمِروا به، ونهوا عنه.

16499ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا محمد بن فضيل، عن أشعث، عن رجل، قال: قال ابن مسعود: أنزل في هذا القرآن كل علم وكلّ شيء قد بين لنا في القرآن. ثم تلا هذه الآية.

الآية : 90

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإحْسَانِ وَإِيتَآءِ ذِي الْقُرْبَىَ وَيَنْهَىَ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلّكُمْ تَذَكّرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: إن الله يأمر في هذا الكتاب الذي أنزله إليك يا محمد بالعدل، وهو الإنصاف ومن الإنصاف: الإقرار بمن أنعم علينا بنعمته، والشكر له على إفضاله، وتولي الحمد أهله. وإذا كان ذلك هو العدل ولم يكن للأوثان والأصنام عندنا يد تستحقّ الحمد عليها، كان جهلاً بنا حمدها وعبادتها، وهي لا تنعِم فتشكر ولا تنفع فتعبد، فلزمنا أن نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولذلك قال من قال: العدل في هذا الموضع شهادة أن لا إله إلا الله. ذكر من قال ذلك:

16500ـ حدثني المثنى، وعليّ بن داود، قالا: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: إنّ اللّهَ يَأْمُرُ بالعَدْلِ والإحْسانِ قال: شهادة أن لا إله إلا الله.

وقوله: والإحْسَانِ فإن الإحسان الذي أمر به تعالى ذكره مع العدل الذي وصفنا صفته: الصبر لله على طاعته فيما أمر ونهى، في الشدّة والرخاء والمَكْرَه والمَنْشَط، وذلك هو أداء فرائضه. كما:

16501ـ حدثني المثنى، وعليّ بن داود، قالا: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس: والإحْسَانِ يقول: أداء الفرائض.

وقوله: وَإيتاءِ ذِي القُرْبى يقول: وإعطاء ذي القربى الحقّ الذي أوجبه الله عليك بسبب القرابة والرحم. كما:

16502ـ حدثني المثنى، وعليّ، قالا: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس: وإيتاءِ ذِي القُرْبىيقول: الأرحام.

وقوله: وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشاءِ قال: الفحشاء في هذا الموضع: الزنا. ذكر من قال ذلك:

16503ـ حدثني المثنى، وعليّ بن داود، قالا: حدثنا عبد الله بن صالح، عن عليّ، عن ابن عباس: وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشاءِ يقول: الزنا.

وقد بيّنا معنى الفحشاء بشواهده فيما مضى قبل.

وقوله: والبَغْيِ قيل: عنِيَ بالبغي في هذا الموضع: الكبر والظلم. ذكر من قال ذلك:

16504ـ حدثني المثنى، وعليّ بن داود، قالا: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس: والبَغْيِ يقول: الكبر والظلم.

وأصل البغي: التعدّي ومجاوزة القدر والحدّ من كلّ شيء. وقد بيّنا ذلك فيما مضى قبل.

وقوله: يَعِظُكُمْ لَعَلّكُمْ تَذَكّرُونَ يقول: يذكركم أيها الناس ربكم لتذكروا فتنيبوا إلى أمره ونهيه، وتعرفوا الحقّ لأهله. كما:

16505ـ حدثني المثنى وعليّ بن داود، قالا: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس: يَعِظُكُمْ يقول: يوصيكم، لَعَلّكُمْ تَذَكّرُونَ.

وقد ذُكر عن ابن عيينة أنه كان يقول في تأويل ذلك: إن معنى العدل في هذا الموضع استواء السريرة والعلانية من كلّ عامل لله عملاً، وإن معنى الإحسان: أن تكون سريرته أحسن من علانيته، وإن الفحشاء والمنكر أن تكون علانيته أحسن من سريرته.

وذُكر عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقول في هذه الآية، ما:

16506ـ حدثني المثنى، قال: حدثنا الحجاج، قال: حدثنا معتمر بن سليمان، قال: سمعت منصور بن النعمان، عن عامر، عن شُتَير بن شَكَل، قال: سمعت عبد الله يقول: إن أجمع آية في القرآن في سورة النحل: إنّ اللّهَ يَأْمُرُ بالعَدْلِ والإحْسانِ وَإيتاءِ ذِي القُرْبَى... إلى آخر الآية.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن منصور، عن الشعبي، عن شُتَيْر بن شَكَل، قال: سمعت عبد الله يقول: إن أجمع آية في القرآن لخير أو لشرّ، آية في سورة النحل: إنّ اللّهَ يَأْمُرُ بالعَدْلِ والإحْسانِ.... الآية.

16507ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: إنّ اللّهَ يَأْمُرُ بالعَدْلِ والإحْسانِ وَإيتاءِ ذِي القُرْبَى... الآية، إنه ليس من خلق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به ويستحسنونه إلا أمر الله به، وليس من خُلق سيّىء كانوا يتعايرونه بينهم إلا نهى الله عنه وقدّم فيه. وإنما نهى عن سفاسف الأخلاق ومَذامّها.

الآية : 91

القول في تأويل قوله تعالى: {وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وأوفوا بميثاق الله إذا واثقتموه، وعقده إذا عاقدتموه، فأوجبتم به على أنفسكم حقّا لمن عاقدتموه به وواثقتموه عليه. وَلا تَنقُضُوا الأيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِها يقول: ولا تخالفوا الأمر الذي تعاقدتم فيه الأيمان، يعني بعد ما شددتم الأيمان على أنفسكم، فتحنثوا في أيمانكم وتكذبوا فيها وتنقضوها بعد إبرامها، يقال منه: وكّد فلان يمينه يوكّدها توكيدا: إذا شددها وهي لغة أهل الحجاز، وأما أهل نجد، فإنهم يقولون: أكّدتها أؤكدها تأكيدا. وقوله: وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً يقول: وقد جعلتم الله بالوفاء بما تعاقدتم عليه على أنفسكم راعيا يرعى الموفى منكم بعهد الله الذي عاهد على الوفاء به والناقض.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف بينهم فيمن عُنِيَ بهذه الآية وفيما أنزلت، فقال بعضهم: عُنِي بها الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام، وفيهم أنزلت. ذكر من قال ذلك:

16508ـ حدثني محمد بن عمارة الأسدي، قال: حدثنا عبد الله بن موسى، قال: أخبرنا أبو ليلى، عن بريدة، قوله: وأوْفُوا بِعَهْدِ اللّهِ إذَا عاهَدْتُمْ قال: أنزلت هذه الآية في بيعة النبيّ صلى الله عليه وسلم، كان من أسلم بايع على الإسلام، فقالوا: وأوْفُوا بِعَهْدِ اللّهِ إذَا عاهَدْتُمْ هذه البَيعة التي بايعتم على الإسلام، وَلا تَنْقُضُوا الأيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِها البيعة، فلا يحملكم قلة محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكثرة المشركين أن تنقضوا البيعة التي بايعتم على الإسلام، وإن كان فيهم قلة والمشركين فيهم كثرة.

وقال آخرون: نزلت في الحِلْف الذي كان أهل الشرك تحالفوا في الجاهلية، فأمرهم الله عزّ وجلّ في الإسلام أن يوفّوا به ولا ينقضوه. ذكر من قال ذلك:

16509ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله تعالى: وَلا تَنْقُضُوا الأيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِها قال: تغليظها في الحلف.

حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل وحدثني المثنى، قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا عبد الله، عن ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

16510ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَلا تَنْقُضُوا الأيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِها يقول: بعد تشديدها وتغليظها.

16511ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: هؤلاء قوم كانوا حلفاء لقوم تحالفوا وأعطى بعضهم العهد، فجاءهم قوم، فقالوا: نحن أكثر وأعزّ وأمنع، فانقضوا عهد هؤلاء وارجعوا إلينا ففعلوا، فذلك قول الله تعالى: وَلا تَنْقُضُوا الأيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِها وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً أن تكون أمة هي أربى من أمة، هي أرَبى أكثر من أجل أن كان هؤلاء أكثر من أولئك، نقضتم العهد فيما بينكم وبين هؤلاء، فكان هذا في هذا.

16512ـ حدثني ابن البرَقيّ، قال: حدثنا ابن أبي مَريم، قال: أخبرنا نافع بن يزيد، قال: سألت يحيى بن سعيد، عن قول الله: وَلا تَنْقُضُوا الأيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِها قال: العهود.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى أمر في هذه الآية عباده بالوفاء بعهوده التي يجعلونها على أنفسهم، ونهاهم عن نقض الأيمان بعد توكيدها على أنفسهم لآخرين بعقود تكون بينهم بحقّ مما لا يكرهه الله. وجائز أن تكون نزلت في الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنهيهم عن نقض بيعتهم حذرا من قلة عدد المسلمين وكثرة عدد المشركين، وأن تكون نزلت في الذين أرادوا الانتقال بحلفهم عن حلفائهم لقلة عددهم في آخرين لكثرة عددهم، وجائز أن تكون في غير ذلك. ولا خبر تَثْبُت به الحجة أنها نزلت في شيء من ذلك دون شيء، ولا دلالة في كتاب ولا حجة عقل أيّ ذلك عُنِيَ بها، ولا قول في ذلك أولى بالحقّ مما قلنا لدلالة ظاهره عليه، وأن الآية كانت قد نزلت لسبب من الأسباب، ويكون الحكم بها عامّا في كلّ ما كان بمعنى السبب الذي نزلت فيه.

16513ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً قال: وكيلاً.

وقوله: إنّ اللّهَ يَعْلَمُ ما تَفْعَلُونَ يقول تعالى ذكره: إن الله أيها الناس يعلم ما تفعلون في العهود التي تعاهدون الله من الوفاء بها والأحلاف والأيمان التي تؤكدونها على أنفسكم، أتبرّون فيها أم تنقضونها وغير ذلك من أفعالكم، محصٍ ذلك كله عليكم، وهو مسائلكم عنها وعما عملتم فيها، يقول: فاحذروا الله أن تلقوه وقد خالفتم فيها أمره ونهيه، فتستوجبوا بذلك منه ما لا قِبَل لكم به من ألم عقابه.

الآية : 92

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثاً تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللّهُ بِهِ وَلَيُبَيّنّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ }.

يقول تعالى ذكره ناهيا عباده عن نقض الأيمان بعد توكيدها، وآمرا بوفاء العهود، وممثلاً ناقض ذلك بناقضة غزلها من بعد إبرامه وناكثته من بعد إحكامه: ولا تكونوا أيها الناس في نقضكم أيمانكم بعد توكيدها وإعطائكم الله بالوفاء بذلك العهود والمواثيق كالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوّةٍ يعني: من بعد إبرام. وكان بعض أهل العربية يقول: القوّة: ما غُزِل على طاقة واحدة ولم يثن. وقيل: إن التي كانت تفعل ذلك امرأة حمقاء معروفة بمكة. ذكر من قال ذلك:

16514ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني عبد الله بن كثير: كالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوّةٍ قال: خرقاء كانت بمكة تنقضه بعد ما تُبْرِمه.

16515ـ حدثنا المثنى، قال: حدثنا إسحاق قال: حدثنا عبد الله بن الزبير، عن ابن عيينة، عن صدقة، عن السديّ: وَلا تَكُونُوا كالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوّةٍ أنْكاثا تَتّخِذُونَ أيمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ قال: هي خَرْقَاءُ بمكة كانت إذا أبرمت غزلها نقضته.

وقال آخرون: إنما هذا مثل ضربه الله لمن نقض العهد، فشبهه بامرأة تفعل هذا الفعل. وقالوا في معنى نقضت غزلها من بعد قوّة، نحوا مما قلنا. ذكر من قال ذلك:

16516ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَلا تَكُونُوا كالّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوّةٍ أنْكاثا فلو سمعتم بامرأة نقضت غزلها من بعد إبرامه لقلتم: ما أحمق هذه وهذا مثل ضربه الله لمن نكث عهده.

16517ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: وَلا تَكُونُوا كالّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوّةٍ قال: غزلها: حبلها تنقضه بعد إبرامها إياه ولا تنتفع به بعد.

حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء وحدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: كالّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوّةٍ قال: نقضت حبلها من بعد إبرام قوّة.

حدثني المثنى، قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا عبد الله، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

16518ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَلا تَكُونُوا كالّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوّةٍ أنْكاثا قال: هذا مثل ضربه الله لمن نقض العهد الذي يعطيه، ضرب الله هذا له مثلاً بمثل التي غزلت ثم نقضت غزلها، فقد أعطاهم ثم رجع، فنكث العهد الذي أعطاهم.

وقوله: أنكاثا يعني: أنقاضا، وكلّ شيء نُقِض بعد الفتل فهو أنكاث، واحدها: نِكْث حبلاً كان ذلك أو غزلاً، يقال منه: نَكَث فلان هذا الحبل فهو ينكُثُه نَكْثا، والحبل منتكِثٌ: إذا انتقضت قُواه. وإنما عُني به في هذا الموضع نكث العهد والعقد. وقوله: تَتّخِذُونَ أيمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أنْ تَكُونَ أُمّةٌ هِيَ أرْبَى مِنْ أُمّةٍ يقول تعالى ذكره: تجعلون أيمانكم التي تحلفون بها على أنكم موفون بالعهد لمن عاقدتموه دَخَلاً بَيْنَكُمْ يقول: خديعة وغرورا ليطمئنوا إليكم وأنتم مضمرون لهم الغدر وترك الوفاء بالعهد والنّقلة عنهم إلى غيرهم من أجل أن غيرهم أكثر عددا منهم. والدّخَل في كلام العرب: كلّ أمر لم يكن صحيحا، يقال منه: أنا أعلم دَخَلَ فلان ودُخْلَهُ وداخِلةَ أمره ودُخْلَتَهُ ودَخِيلَتَهُ.

وأما قوله: أنْ تَكُونَ أُمّةٌ هِيَ أرْبَى مِنْ أُمّةٍ فإن قوله أرَبى: أفعل من الربا، يقال: هذا أربى من هذا وأربأ منه، إذا كان أكثر منه ومنه قول الشاعر:

وأسْمَرَ خَطّيّ كأنّ كُعُوبَهُنَوى القسْبِ قد أرْبَى ذرَاعا على العَشْرِ

وإنما يقال: أربى فلان من هذا وذلك للزيادة التي يريدها على غريمه على رأس ماله.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16519ـ حدثني المثنى، وعليّ بن داود، قالا: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: أنْ تَكُونَ أُمّةٌ هِيَ أرْبَى مِنْ أُمّةٍ يقول: أكثر.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي،قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: أنْ تَكُونَ أُمّةٌ هِيَ أرْبَى مِنْ أُمّةٍ يقول: ناس أكثر من ناس.

16520ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء وحدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: أنْ تَكُونَ أُمّةٌ هِيَ أرْبَى مِنْ أُمّةٍ قال: كانوا يحالفون الحلفاء، فيجدون أكثر منهم وأعزّ، فينقضون حِلْف هؤلاء ويحالفون هؤلاء الذين هم أعزّ منهم، فنُهوا عن ذلك.

حدثنا ابن المثنى، قال: أخبرنا إسحاق، قال: حدثنا عبد الله، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد....

وحدثني القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

16521ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: تَتّخِذُونَ أيمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ يقول: خيانة وغدرا بينكم. أنْ تَكُونَ أُمّةٌ هِيَ أرْبَى مِنْ أُمّةٍ أن يكون قوم أعزّ وأكثر من قوم.

16522ـ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا أبو ثور، عن معمر، عن قتادة: دَخَلاً بَيْنَكُمْ قال: خيانة بينكم.

16523ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: تَتّخِذُونَ أيمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ يغرّ بها، يعطيه العهد يؤمنه وينزله من مأمنه، فتزلّ قدمه وهو في مأمن، ثم يعود يريد الغدر، قال: فأوّل بدو هذا قوم كانوا حلفاء لقوم تحالفوا وأعطى بعضهم بعضا العهد، فجاءهم قوم قالوا: نحن أكثر وأعزّ وأمنع، فانقضوا عهد هؤلاء وارجعوا إلينا ففعلوا، وذلك قول الله تعالى: وَلا تَنْقُضُوا الأيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِها وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً أنْ تَكُونَ أُمّةٌ هِيَ أرْبَى مِنْ أُمّةٍ هي أربى: أكثر من أجل أن كانوا هؤلاء أكثر من أولئك نقضتم العهد فيما بينكم وبين هؤلاء، فكان هذا في هذا، وكان الأمر الآخر في الذي يعاهده فينزله من حِصْنه ثم ينكث عليه، الآية الأولى في هؤلاء القوم وهي مبدؤه، والأخرى في هذا.

16524ـ حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله: أنْ تَكُونَ أُمّةٌ هِيَ أرْبَى مِنْ أُمّةٍ يقول: أكثر، يقول: فعليكم بوفاء العهد.

وقوله: إنّمَا يَبْلُوكُمُ اللّهُ بِهِ يقول تعالى ذكره: إنما يختبركم الله بأمره إياكم بالوفاء بعهد الله إذا عاهدتم، ليتبين المطيع منكم المنتهي إلى أمره ونهيه من العاصي المخالف أمره ونهيه. وَلَيُبِينَنّ لَكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ ما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ يقول تعالى ذكره: وليبينن لكم أيها الناس ربكم يوم القيامة إذا وردتم عليه بمجازاة كلّ فريق منكم على عمله في الدنيا، المحسن منكم بإحسانه والمسيء بإساءته، ما كُنْتُمْ فيه تَخْتَلِفُونَ والذي كانوا فيه يختلفون في الدنيا أن المؤمن بالله كان يقرّ بوحدانية الله ونبوّة نبيه، ويصدق بما ابتعث به أنبياءه، وكان يكذّب بذلك كله الكافر فذلك كان اختلافهم في الدنيا الذي وعد الله تعالى ذكره عباده أن يبينه لهم عند ورودهم عليه بما وصفنا من البيان.

الآية : 93

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَوْ شَآءَ اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمّـةً وَاحِـدَةً وَلَـكِن يُضِلّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ وَلَتُسْأَلُنّ عَمّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ولو شاء ربكم أيها الناس للطف بكم بتوفية من عنده، فصرتم جميعا جماعة واحدة وأهل ملة واحدة لا تختلفون ولا تفترقون ولكنه تعالى ذكره خالف بينكم فجعلكم أهل ملل شتى، بأن وفّق هؤلاء للإيمان به والعمل بطاعته فكانوا مؤمنين، وخذل هؤلاء فحَرَمَهم توفيقه فكانوا كافرين، وليسألنكم الله جميعا يوم القيامة عما كنتم تعملون في الدنيا فيما أمركم ونهاكم، ثم ليَجازينكم جزاء المطيع منكم بطاعته والعاصي له بمعصيته.

الآية : 94

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلاَ تَتّخِذُوَاْ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ السّوَءَ بِمَا صَدَدتّمْ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: ولا تتخذوا أيمانكم بينكم دَخَلاً وخديعة بينكم، تَغُرّون بها الناس فَتَزِلّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِها يقول: فتهلكوا بعد أن كنتم من الهلاك آمنين. وإنما هذا مثل لكلّ مبتلي بعد عافية، أو ساقطٍ في ورطة بعد سلامة، وما أشبه ذلك: «زلّت قدمه»، كما قال الشاعر:

سيَمْنَعُ منكَ السّبْقُ إنْ كُنْتَ سابِقاوتُلْطَعُ إنْ زَلّتْ بكَ النّعْلانِ

وقوله: وَتَذُوقُوا السّوءَ يقول: وتذوقوا أنتم السوء وذلك السوء هو عذاب الله الذي يعذّب به أهل معاصيه في الدنيا، وذلك بعض ما عذّب به أهل الكفر. بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ يقول: بما فَتنتم من أراد الإيمان بالله ورسوله عن الإيمان. وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ في الآخرة، وذلك نار جهنم. وهذه الآية تدلّ على أن تأويل برَيُدة الذي ذكرنا عنه في قوله: وأَوْفُوا بعَهْدِ اللّهِ إذَا عاهَدْتُمْ والآيات التي بعدها، أنه عُنِي بذلك: الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام، عن مفارقة الإسلام لقلة أهله، وكثرة أهل الشرك هو الصواب، دون الذي قال مجاهد أنهم عنوا به، لأنه ليس في انتقال قوم تحالفوا عن حلفائهم إلى آخرين غيرهم صدّ عن سبيل الله ولا ضلال عن الهدى، وقد وصف تعالى ذكره في هذه الآية فاعِلِي ذلك أنهم باتخاذهم الأيمان دخلا بينهم ونقضهم الأيمان بعد توكيدها، صادّون عن سبيل الله، وأنهم أهل ضلال في التي قبلها، وهذه صفة أهل الكفر بالله لا صفة أهل النّقْلة بالحلف عن قوم إلى قوم.

الآية : 95 و 96

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلاَ تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ اللّهِ ثَمَناً قَلِيلاً إِنّمَا عِنْدَ اللّهِ هُوَ خَيْرٌ لّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنّ الّذِينَ صَبَرُوَاْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ولا تنقضوا عهودكم أيها الناس وعقودكم التي عاقدتموها من عاقدتم مؤكّديها بأيمانكم، تطلبون بنقضكم ذلك عرضا من الدنيا قليلاً ولكن أوفوا بعهد الله الذي أمركم بالوفاء به يثبكم الله على الوفاء به، فإن ما عند الله من الثواب لكم على الوفاء بذلك هو خير لكم إن كنتم تعلمون فضل ما بين العِوَضين اللذين أحدهما الثمن القليل الذي تشترون بنقض عهد الله في الدنيا والآخر الثواب الجزيل في الآخرة على الوفاء به. ثم بين تعالى ذكره فَرْق ما بين العِوَضين وفضل ما بين الثوابين، فقال: ما عندكم أيها الناس مما تتملكونه في الدنيا وإن كَثُر

فنافدٌ فـانٍ، وما عند الله لـمن أوفـى بعهده وأطاعه من الـخيرات بــاق غيـر فـان، فلـما عنده فـاعملوا وعلـى البـاقـي الذي لا يفنى فــاحرصوا. وقـوله: وَلَنَـجْزِيَنّ الّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ يقـول تعالــى ذكـره: ولـيثـيبنّ الله الذين صبروا علـى طاعتهم إياه فـي السرّاء والضـرّاء، ثـوابهم يوم القـيامة علـى صبرهم علـيها ومسارعتهم فـي رضاه، بأحسـن مـا كـانوا يعملُون من الأعمال دون أسوئها، ولـيغفرنّ الله لهم سيئها بفضله.

الآية : 97

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {مَنْ عَمِـلَ صَـالِحاً مّـن ذَكَـرٍ أَوْ أُنْثَـىَ وَهُـوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنّهُ حَيَاةً طَيّبَةً وَلَنَجْزِيَنّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: من عمل بطاعة الله، وأوفـى بعهود الله إذا عاهد من ذكر أو أنثى من بنـي آدم وهُوَ مُؤْمِنٌ يقول: وهو مصدّق بثواب الله الذي وعد أهل طاعته علـى الطاعة، وبوعيد أهل معصـيته علــى الــمعصية فَلَنُـحْيِــيَنّهُ حَياةً طَيّبَةً.

واختلف أهل التأويـل فـي الذي عَنَى الله بـالـحياة الطيبة التـي وعد هؤلاء القوم أن يُحْيـيهموها، فقال بعضهم: عنـي أنه يحيـيهم فـي الدنـيا مـا عاشـوا فـيها بـالرزق الـحلال. ذكر من قال ذلك:

16525ـ حدثنـي أبو السائب، قال: حدثنا أبو معاوية، عـن إسماعيــل بـن سَميع، عن أبـي مالك، عن ابن عبـاس: فَلَنُـحْيِـيَنّهُ حَياةً طَيّبَـةً قـال: الــحياة الطيبة: الرزق الـحلال فـي الدنـيا.

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبو معاوية، عن إسماعيـل بن سَمِيع، عن أبـي مالك وأبـي الربـيع، عن ابن عبـاس، بنـحوه.

حدثنا ابن بشار، قـال: حـدثنا عبـد الرحمـن، قـال: حـدثنا سفــيان، عـن إسماعيـل بن سَمِيع، عن أبـي الربـيع، عن ابن عبـاس، فـي قوله: مَنْ عَمِـلَ صَالِــحا مِـنْ ذَكَـرٍ أَوْ أُنْثَـى وَهُـوَ مُـؤْمِنٌ فَلَنُـحْيِـيَنّهُ حَيـاةً طَيّبَـةً قـال: الـرزق الـحسن فـي الدنـيا.

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبـي، عن سفـيان، عن إسماعيـل بن سَـمِيع، عن أبـي الربـيع، عن ابن عبـاس: فَلَنُـحْيِـيَنّهُ حَياةً طَيّبَةً قال: الـرزق الطيـب فـي الدنـيا.

حدثنـي الـمثنى، قال: حدثنا الفضل بن دكين، قال: حدثنا سفــيان، عـن إسماعيـل بن سَمِيع، عن أبـي الربـيع، عن ابن عبـاس: فَلَنُـحْيِـيَنّهُ حَياةً طَيّبَةً قال: الرزق الطيب فـي الدنـيا.

حدثنـي مـحمد بن سعد، قال: ثنـي أبـي، قال: ثنـي عمي، قال: ثنـي أبـي، عن أبـيه، عن ابن عبـاس، قـوله: مَـنْ عَمِـلَ صَالِــحا مِـنْ ذَكَـرٍ أَوْ أُنْثَـى وَهُـوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُـحْيِـيَنّهُ حَياةً طَيّبَةً يعنـي فـي الدنـيا.

16526ـ حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا ابن عـيـنة، عن مطرف، عن الضحاك: فَلَنُـحْيِـيَنّهُ حَياةً طَيّبَةً قال: الرزق الطيب الـحلال.

16527ـ حدثنـي عبـد الأعلــى بـن واصـل، قـال: حـدثنا عـون بـن سـلام القرشيّ، قال: أخبرنا بشر بن عُمـارة، عـن أبــي رَوْق، عـن الضـحاك، فــي قوله: فَلَنُـحْيِـيَنّهُ حَياةً طَيّبَةً قال: يأكل حلالاً ويـلبس حلالاً.

وقال آخرون: فَلَنُـحْيِـيَنّهُ حَياةً طَيّبَةً بأن نرزقه القناعة. ذكر من قال ذلك:

16528ـ حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا يحيى بن يمان، عن المنهال بن خليفة، عن أبي خزيمة سليمان التمّار، عمن ذكره عن عليّ: فَلَنُحْيِيَنّهُ حَياةً طَيّبَةً قال: القنوع.

16529ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا أبو عصام، عن أبي سعيد، عن الحسن البصريّ، قال: الحياة الطيبة: القناعة.

وقال آخرون: بل يعني بالحياة الطيبة الحياة مؤمنا بالله عاملاً بطاعته. ذكر من قال ذلك:

16530ـ حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: فَلَنُحْيِيَنّهُ حَياةً طَيّبَةً يقول: من عمل عملاً صالحا وهو مؤمن في فاقة أو ميسرة، فحياته طيبة، ومن أعرض عن ذكر الله فلم يؤمن ولم يعمل صالحا، عيشته ضنكة لا خير فيها.

وقال آخرون: الحياة الطيبة السعادة. ذكر من قال ذلك:

16531ـ حدثني المثنى وعليّ بن داود، قالا: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: فَلَنُحْيِيَنّهُ حَياةً طَيّبَةً قال: السعادة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: الحياة في الجنة. ذكر من قال ذلك:

16532ـ حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا هَوْذة، عن عوف، عن الحسن: فَلَنُحْيِيَنّهُ حَياةً طَيّبَةً قال: لا تطيب لأحد حياة دون الجنة.

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبو أسامة، عن عوف، عن الحسن: فَلَنُحْيِيَنّهُ حَياةً طَيّبَةً قال: ما تطيب الحياة لأحد إلا في الجنة.

16533ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: مَنْ عَمِلَ صَالِحا مِنْ ذَكَرٍ أوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنّهُ حَياةً طَيّبَةً فإن الله لا يشاء عملاً إلا في إخلاص، ويوجب من عمل ذلك في إيمان، قال الله تعالى: فَلَنُحْيِيَنّهُ حَياةً طَيّبَةً وهي الجنة.

16534ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: فَلَنُحْيِيَنّهُ حَياةً طَيّبَةً قال: الآخرة يحييهم حياة طيبة في الآخرة.

16535ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: مَنْ عَمِلَ صَالِحا مِنْ ذَكَرٍ أوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنّهُ حَياةً طَيّبَةً قال: الحياة الطيبة في الآخرة: هي الجنة، تلك الحياة الطيبة، قال: وَلَنَجْزِيَنّهُمْ أجْرَهُمْ بأحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ وقال: ألا تراه يقول: يا لَيْتَنِي قَدّمْتُ لِحَياتي؟ قال: هذه آخرته. وقرأ أيضا: وَإنّ الدّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوَانُ قال: الآخرة دار حياة لأهل النار وأهل الجنة، ليس فيها موت لأحد من الفريقين.

16536ـ حدثني المثنى، قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، في قوله: مَنْ عَمِلَ صَالِحا مِنْ ذَكَرٍ أوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ قال: الإيمان: الإخلاص لله وحده، فبين أنه لا يقبل عملاً إلا بالإخلاص له.

وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: تأويل ذلك: فلنحيينه حياة طيبة بالقناعة وذلك أن من قنعه الله بما قسم له من رزق لم يكثر للدنيا تعبه

ولـم يعظم فـيها نَصَبه ولـم يتكدّر فـيها عيشه بـاتبــاعه بغيـة مـا فــاته منهـا وحرصه علـى ما لعله لا يدركه فـيها.
وإنـما قلت ذلك أولـى التأويلات فـي ذلك بـالآية لأن الله تعالـى ذكره أوعد قوما قبلها علـى معصيتهم إياه إن عصوه أذاقهم السوء فـي الدنـيا والعـذاب فـي الآخرة، فقال تعالـى: وَلا تَتّـخِذُوا أيـمَانَكُمْ دَخَلاً بَـيْنَكُمْ فَـتزِلّ قَـدَمٌ بَعْـدَ ثُبُوتِها وَتَذُوقُوا السّوءَ بِـمَا صَدَدْتُـمْ عَنْ سَبِـيـلِ اللّـهِ فهـذا لهـم فــي الدنــيا، ولهم فـي الآخرة عذاب عظيـم، فهذا لهم فـي الآخرة. ثم أتبع ذلك مـا لــمَن أوفـى بعهد الله وأطاعه فقال تعالـى: ما عندكم فـي الدنــيا ينفـد، ومـا عنـد الله بـاق، فـالذي هذه السـيئة بحكمتـه أن يعقـب ذلـك الوعـد لأهـل طـاعته بـالإحسان فـي الدنـيا، والغفران فـي الآخرة، وكذلك فَعَلَ تعالـى ذكره.
وأما القول الذي رُوِي عن ابن عبـاس أنه الرزق الـحلال، فهو مـحَتـمَل أن يكون معناه الذي قلنا فـي ذلك، مـن أنـه تعالــى يقنعـه فــي الدنــيا بــالذي يرزقه من الـحلال وإن قلّ فلا تدعوه نفسه إلـى الكثـير منه من غير حلــه، لا أنه يرزقه الكثـير من الـحلال، وذلك أن أكثر العاملـين لله تعالـى بـما يرضاه من الأعمال لـم نرهم رُزِقوا الرزق الكثـير من الـحلال فــي الدنــيا، ووجـدنا ضيق العيش علـيهم أغلب من السعة.
وقوله: وَلَنَـجْزِيَنّهُمْ أجْرَهُمْ بأحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ فذلك لا شكّ أنـه فــي الآخرة وكذلك قالَ أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:
16537ـ حدثنـي أبو السائب، قال: حدثنا أبو معاوية، عـن إسماعيــل بـن سميع، عن أبـي مالك، عن ابن عبـاس: وَلَنَـجْزِيَنّهُمْ أجْرَهُمْ بأحْسَنِ مـا كـانُوا يَعْمَلُونَ قال: إذا صاروا إلـى الله جزاهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون.
حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبو معاوية، عن إسماعيـل بن سُمَيع، عن أبـي مالك، وأبـي الربـيع، عن ابن عبـاس، مثله.
16538ـ حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبـي، عن سفـيان، عن إسماعيـل بن سُمَيع، عن أبـي الربــيع، عـن ابـن عبــاس: وَلَنَــجْزِيَنّهُمْ أجْرَهُـمْ قـال: فــي الآخرة.
حدثنا ابن بشار، قـال: حـدثنا عبـد الرحمـن، قـال: حـدثنا سفــيان، عـن إسماعيـل بن سُمَيع، عن أبـي الربـيع، عن ابن عبـاس، مثله.
حدثنـي مـحمد بن سعد، قال: ثنـي أبـي، قال: ثنـي عمي، قال: ثنـي أبـي، عن أبـيه، عن ابـن عبــاس: وَلَنَــجْزِيَنّهُمْ أجْرَهُـمْ بأحْسَـنِ مـا كـانُوا يَعْمَلُـونَ يقول: يجزيهم أجرهم فـي الآخرة بأحسن ما كانوا يعملون.
وقـيـل: إن هذه الآية نزلت بسبب قوم من أهل مِلَل شتـى تفـاخروا، فقال أهل كلّ ملة منها: نـحن أفضل، فبـين الله لهم أفضل أهل الـملل. ذكــر مــن قال ذلك:
16539ـ حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا يعلـى بن عبـيد، عن إسماعيـل، عـن أبـي صالـح، قال: جلس ناس من أهل الأوثان وأهل التوراة وأهل الإنـجيــل، فقال هؤلاء: نـحن أفضل وقال هؤلاء: نـحن أفضل فـأنزل اللـه تعالــى: مَـنْ عَمِلَ صَالِـحا مِنْ ذَكَرٍ أوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُـحْيِـيَنّهُ حَيـاةً طَيّبَـةً وَلَنَــجْزِيَنّهُمْ أجْرَهُمْ بأحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ.

الآية : 98،99،100

القول في تأويل قوله تعالى: {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشّيْطَانِ الرّجِيمِ * إِنّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَىَ الّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَىَ رَبّهِمْ يَتَوَكّلُونَ * إِنّمَا سُلْطَانُهُ عَلَىَ الّذِينَ يَتَوَلّوْنَهُ وَالّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وإذا كنت يا محمد قارئا القرآن، فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم. وكان بعض أهل العربية يزعم أنه من المؤخر الذي معناه التقديم. وكأن معنى الكلام عنده: وإذا استعذت بالله من الشيطان الرجيم، فاقرأ القرآن. ولا وجه لما قال من ذلك، لأن ذلك لو كان كذلك لكان متى استعاذ مستعيذ من الشيطان الرجيم لزمه أن يقرأ القرآن، ولكن معناه ما وصفناه. وليس قوله: فاسْتَعِذْ باللّهِ مِنَ الشّيْطانِ الرّجِيمِ بالأمر اللازم، وإنما هو إعلام وندب وذلك أنه لا خلاف بين الجميع أن من قرأ القرآن ولم يستعذ بالله من الشيطان الرّجيم قبل قرأته أو بعدها أنه لم يضيع فرضا واجبا. وكان ابن زيد يقول في ذلك نحو الذي قلنا.

16540ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: فإذَا قَرأتَ القُرآنَ فاسْتَعِذ باللّهِ مِنَ الشّيْطانِ الرّجِيمِ قال: فهذا دليل من الله تعالى دلّ عباده عليه.

وأما قوله: إنّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطانٌ عَلى الّذِينَ آمَنُوا وَعَلى رَبّهِمْ يَتَوَكّلُونَ فإنه يعني بذلك: أن الشيطان ليست له حجة على الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا بما أمر الله به وانتهوا عما نهاهم الله عنه. وَعَلى رَبّهِمْ يَتَوَكّلُونَ يقول: وعلى ربهم يتوكلون فيما نابهم من مهمات أمورهم. إنّمَا سُلْطَانُه عَلىَ الّذِينَ يتَولّونَهُ يقول: إنما حجته على الذين يعبدونه، وَالّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ يقول: والذين هم بالله مشركون.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16541ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا ورقاء وحدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: إنّمَا سُلْطانُهُ قال: حجته.

16542ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: إنّمَا سُلْطانُهُ على الّذِينَ يتَوَلّوْنَهُ قال: يطيعونه.

واختلف أهل التأويل في المعنى الذي من أجله لم يسلط فيه الشيطان على المؤمن. فقال بعضهم بما:

16543ـ حُدثت عن واقد بن سليمان، عن سفيان، في قوله: إنّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطانٌ عَلى الّذِينَ آمَنُوا وَعَلى رَبّهِمْ يَتَوَكّلُونَ قال: ليس له سلطان على أن يحملهم على ذنب لا يغفر.

وقال آخرون: هو الاستعاذة، فإنه إذا استعاذ بالله منع منه ولم يسلط عليه. واستشهد لصحة قوله ذلك بقول الله تعالى: وإمّا يَنْزَغَنّكَ مِنَ الشّيْطانِ نَزْغٌ فاسْتَعِذْ باللّهِ إنّه سَمِيعٌ عَلِيمٌ وقد ذكرنا الرواية بذلك في سورة الحِجْر.

وقال آخرون في ذلك، بما:

16544ـ حدثني به المثنى، قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، في قوله: إنّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطانٌ عَلى الّذِينَ آمَنُوا وَعَلى رَبّهِمْ يَتَوَكّلُونَ إلى قوله: وَالّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ يقال:

إن عدوّ الله إبليس قال: لَأَغْوِيَنّهُمْ أجَمعينَ إلاّ عبادَكَ مِنْهُمُ المُخْلَصِينَ فهؤلاء الذين لم يجعل للشيطان عليهم سبيل، وإنما سلطانه على قوم اتخذوه وليّا وأشركوه في أعمالهم.

16545ـ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: إنّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطانٌ عَلى الّذِينَ آمَنُوا وَعَلى رَبّهِمْ يَتَوَكّلُونَ يقول: السلطان على من تولى الشيطان وعمل بمعصية الله.

16546ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: إنّمَا سُلْطانُهُ عَلى الّذِينَ يَتَوَلّوْنَهُ يقول: الذين يطيعونه ويعبدونه.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: معناه: إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا فاستعاذوا بالله منه، بما ندب الله تعالى ذكره من الاستعاذة وَعَلى رَبهِمْ يَتَوَكّلُونَ على ما عرض لهم من خطراته ووساوسه.

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلات بالآية لأن الله تعالى ذكره أتبع هذا القول: فإذَا قَرأتَ القُرآنَ فاسْتَعِذْ باللّهِ مِنَ الشّيْطانِ الرّجِيمِ وقال في موضع آخر: وَإمّا يَنْزَغَنّكَ مِنَ الشّيْطانِ نَزْغٌ فاسْتَعِذْ باللّهِ إنّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ فكان بينا بذلك أنه إنما ندب عباده إلى الاستعاذة منه في هذه الأحوال ليُعيذهم من سلطانه.

وأما قوله: وَالّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله، فقال بعضهم فيه بما قلنا إن معناه: والذين هم بالله مشركون. ذكر من قال ذلك:

16547ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء وحدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل وحدثني المثنى، قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا عبد الله، عن ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: وَالّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ قال: يعدلون بربّ العالمين.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: وَالّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ قال: يعدلون بالله.

16548ـ حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، قال: حدثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول: في قوله: وَالّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ عدلوا إبليس بربهم، فإنهم بالله مشركون.

وقال آخرون: معنى ذلك: والذين هم به مشركون، أشركوا الشيطان في أعمالهم. ذكر من قال ذلك:

16549ـ حدثني المثنى، قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: وَالّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ أشركوه في أعمالهم.

والقول الأوّل، أعني قول مجاهد، أولى القولين في ذلك بالصواب وذلك أن الذين يتولون الشيطان إنما يشركونه بالله في عبادتهم وذبائحهم ومطاعمهم ومشاربهم، لا أنهم يشركون بالشيطان. ولو كان معنى الكلام ما قاله الربيع، لكان التنزيل: الذين هم مشركوه، ولم يكن في الكلام «به»، فكان يكون لو كان التنزيل كذلك: والذين هم مشركوه في أعمالهم، إلا أن يوجه موجه معنى الكلام إلى أن القوم كانوا يدينون بألوهة الشيطان ويشركون الله به في عبادتهم إياه، فيصحّ حينئذ معنى

الكلام، ويخرج عما جاء التنزيل به في سائر القرآن وذلك أن الله تعالى وصف المشركين في سائر سور القرآن أنهم أشركوا بالله ما لم ينزل به عليهم سلطانا، وقال في كل موضع تقدّم إليهم بالزجر عن ذلك: لا تشركوا بالله شيئا، ولم نجد في شيء من التنزيل: لا تشركوا الله بشيء، ولا في شيء من القرآن خبرا من الله عنهم أنهم أشركوا الله بشيء فيجوز لنا توجيه معنى قوله: وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ إلى والذين هم بالشيطان مشركو الله. فبين إذا إذ كان ذلك كذلك أن الهاء في قوله: وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ عائدة على «الربّ» في قوله: وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ.

الآية : 101

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذَا بَدَّلْنَآ آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزّلُ قَالُوَاْ إِنّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وإذا نسخنا حكم آية فأبدلنا مكانه حكم أخرى، والله أعْلَمُ بما يُنَزّلُ يقول: والله أعلم بالذي هو أصلح لخلقه فيما يبدّل ويغير من أحكامه، قالوا إنما أنْتَ مُفْتَرٍ يقول: قال المشركون بالله المكذبو رسوله لرسوله: إنما أنت يا محمد مفتر أي مكذب تخرص بتقوّل الباطل على الله. يقول الله تعالى: بل أكثر هؤلاء القائلين لك يا محمد إنما أنت مفتر جهالٌ بأنّ الذي تأتيهم به من عند الله ناسخه ومنسوخه لا يعلمون حقيقة صحته.

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله: وَإِذَا بَدّلْنا آيَةً مَكانَ آيَةٍ قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16550ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء وحدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل وحدثني المثنى، قال: أخبرنا إسحاق، قال: حدثنا عبد الله، عن ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: وَإِذَا بَدّلْنا آيَةً مَكانَ آيَةٍ رفعناها فأنزل غيرها.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: وَإِذَا بَدّلْنا آيَةً مَكانَ آيَةٍ قال: نسخناها، بدّلناها، رفعناها، وأثبتنا غيرها.

16551ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَإِذَا بَدّلْنا آيَةً مَكانَ آيَةٍ هو كقوله: ما نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أوْ نُنْسِها.

16552ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَإِذَا بَدّلْنا آيَةً مَكانَ آيَةٍ قالوا: إنما أنت مفتر، تأتي بشيء وتنقضه، فتأتي بغيره. قال: وهذا التبديل ناسخ، ولا نبدّل آية مكان آية إلا بنسخ.

الآية : 102

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ نَزّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رّبّكَ بِالْحَقّ لِيُثَبّتَ الّذِينَ آمَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىَ لِلْمُسْلِمِينَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد للقائلين لك إنما أنت مفتر فيما تتلو عليهم من آي كتابنا: أنزله روح القُدُس يقول: قل جاء به جبرَئيل من عند ربي بالحقّ. وقد بيّنت في غير هذا الموضع معنى روح القُدس، بما أغنى عن إعادته.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
16553ـ حدثني عبد الأعلى بن واصل، قال: حدثنا جعفر بن عون العمَريّ، عن موسى بن عبيدة الرّبَذيّ، عن محمد بن كعب، قال: روح القُدُس: جبرئيل.
وقوله: لِيُثَبّتَ الّذِينَ آمَنُوا يقول تعالى ذكره: قل نزل هذا القرآن ناسخه ومنسوخه روح القدس عليّ من ربي، تثبيتا للمؤمنين وتقوية لإيمانهم، ليزدادوا بتصديقهم لناسخه ومنسوخه إيمانا لإيمانهم وهدى لهم من الضلالة، وبُشرى للمسلمين الذين استسلموا لأمر الله وانقادوا لأمره ونهيه وما أنزله في آي كتابه، فأقرّوا بكلّ ذلك وصدّقوا به قولاً وعملاً.

الآية : 103

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنّهُمْ يَقُولُونَ إِنّمَا يُعَلّمُهُ بَشَرٌ لّسَانُ الّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيّ وَهَـَذَا لِسَانٌ عَرَبِيّ مّبِينٌ }.
يقول تعالى ذكره: ولقد نعلم أن هؤلاء المشركين يقولون جهلاً منهم: إنما يعلّم محمدا هذا الذي يتلوه بشر من بني آدم، وما هو من عند الله. يقول الله تعالى ذكره مكذّبهم في قيلهم ذلك: ألا تعلمون كذب ما تقولون؟ إن لسان الذين تلحدون إليه، يقول: تميلون إليه. بأنه يعلم محمدا، أعجميّ. وذلك أنهم فيما ذُكر كانوا يزعمون أن الذي يعلّم محمدا هذا القرآن عبد روميّ، فلذلك قال تعالى: لِسانُ الّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيّ وَهذَا لِسانٌ عَرَبيّ مُبِينٌ يقول: وهذا القرآن لسان عربيّ مبين.
وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل على اختلاف منهم في اسم الذي كان المشركون يزعمون أنه يعلّم محمدا صلى الله عليه وسلم هذا القرآن من البشر، فقال بعضهم: كان اسمه بَلْعام، وكان قَيْنا بمكة نصرانيّا. ذكر من قال ذلك:
16554ـ حدثني أحمد بن محمد الطّوسِيّ، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا إبراهيم بن طَهْمان، عن مسلم بن عبد الله المَلائي، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلّم قينا بمكة، وكان أعجميّ اللسان، وكان اسمه بَلْعام، فكان المشركون يَرَوْن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يدخل عليه وحين يخرج من عنده، فقالوا: إنما يعلّمه بَلْعام فأنزل الله تعالى ذكره: وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنّهُمْ يَقُولُونَ إِنّمَا يُعَلّمُهُ بَشَرٌ لِسانُ الّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيّ وَهَـَذَا لِسانٌ عَرَبِيّ مُبِينٌ.
وقال آخرون: اسمه يعيش. ذكر من قال ذلك:
16555ـ حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبي، عن سفيان، عن حبيب، عن عكرمة، قال: كان النبيّ صلى الله عليه وسلم يقرىء غلاما لبني المغيرة أعجميّا قال سفيان: أراه يقال له: يَعِيش قال: فذلك قوله: لِسانُ الّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيّ وَهَذَا لِسانٌ عَرَبِيّ مُبِينٌ.
16556ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَلَقَدْ نَعْلَمُ أنّهُم يَقُولُونَ إنّمَا يُعَلّمُهُ بَشَرٌ وقد قالت قريش: إنما يعلمه بشر، عبد لبني الحَضْرميّ يقال له يعيش، قال الله تعالى: لِسانُ الّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيّ وَهَذَا لِسانٌ عَرَبِيّ مُبِينٌ وكان يعيش يقرأ الكُتُب.
وقال آخرون: بل كان اسمهَ جُبر. ذكر من قال ذلك:

16557ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني كثيرا ما يجلس عند الـمَرْوَة إلى غلام نصراني يقال له جَبْر، عبد لبني بياضةَ الـحَضَرِميّ، فكانوا يقولون: والله ما يعلّم محمدا كثيرا مما يأتي به إلا جَبْرٌ النصرانيّ غلام الحضرميّ فأنزل الله تعالى في قولهم: وَلَقَدْ نَعْلَمُ أنّهُم يَقُولُونَ إنّمَا يُعَلّمُهُ بَشَرٌ لِسانُ الّذِي يُلْحِدُونَ إلَيْهِ أعْجَمِيّ وَهَذَا لِسانٌ عَرَبِيّ مُبِينٌ.

16558ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال عبد الله بن كثير: كانوا يقولون: إنما يعلمه نصرانيّ على الـمَرْوة، ويعلم محمدا رُوميّ يقولون اسمه جَبْر وكان صاحب كُتُب عبد لابن الحضرميّ، قال الله تعالى: لِسانُ الّذِي يُلْحِدُونَ إلَيْهِ أعْجَمِيّ قال: وهذا قول قريش إنما يعلمه بشر، قال الله تعالى: لِسانُ الّذِي يُلْحِدُونَ إلَيْهِ أعْجَمِيّ وَهَذَا لِسانٌ عَرَبِيّ مُبِينٌ.

وقال آخرون: بل كانا غلامين اسم أحدهما يسار والآخر جَبْر. ذكر من قال ذلك:

16559ـ حدثني المثنى، قال: حدثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هشيم، عن حُصَين، عن عبد الله بن مسلم الحضرميّ: أنه كان لهم عبدان من أهل عير اليمن، وكانا طفلين، وكان يُقال لأحدهما يسار والآخر جبر، فكانا يقرآن التوراة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما جلس إليهما، فقال كفار قريش: إنما يجلس إليهما يتعلم منهما، فأنزل الله تعالى: لِسانُ الّذِي يُلْحِدُونَ إلَيْهِ أعْجَمِيّ وَهَذَا لِسانٌ عَرَبِيّ مُبِينٌ.

حدثني المثنى، قال: حدثنا معن بن أسد، قال: حدثنا خالد بن عبد الله، عن حصين، عن عبد الله بن مسلم الحضرميّ، نحوه.

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا ابن فضيل، عن حصين، عن عبد الله بن مسلم، قال: كان لنا غلامان فكان يقرآن كتابا لهما بلسانهما، فكان النبيّ صلى الله عليه وسلم يمرّ عليهما، فيقوم يستمع منهما، فقال المشركون: يتعلم منهما، فأنزل الله تعالى ما كذّبهم به، فقال: لِسانُ الّذِي يُلْحِدُونَ إلَيْهِ أعْجَمِيّ وَهَذَا لِسانٌ عَرَبِيّ مُبِينٌ.

وقال آخرون: بل كان ذلك سَلْمان الفارسي. ذكر من قال ذلك:

16560ـ حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: لِسانُ الّذِي يُلْحِدُونَ إلَيْهِ أعْجَمِيّ كانوا يقولون: إنما يعلّمه سَلْمان الفارسي.

16561ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء وحدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل وحدثني المثنى، قال: أخبرنا إسحاق، قال: حدثنا عبد الله، عن ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: وَلَقَدْ نَعْلَمُ أنّهُم يَقُولُونَ إنّمَا يُعَلّمُهُ بَشَرٌ قال: قول كفار قريش: إنما يعلّم محمدا عبدُ بن الحضرمي، وهو صاحب كتاب، يقول الله: لِسانُ الّذِي يُلْحِدُونَ إلَيْهِ أعْجَمِيّ وَهَذَا لِسانٌ عَرَبِيّ مُبِينٌ.

وقيل: إن الذي قال ذلك رجل كاتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدّ عن الإسلام. ذكر من قال ذلك:

16562ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب، قال: أخبرني سعيد بن المسيب: أن الذي ذكر الله إنما يعلمه

بشر إنما افتتن إنه كان يكتب الوحي، فكان يملي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سميع عليم» أو «عزيز حكيم» وغير ذلك من خواتم الآي، ثم يشتغل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على الوحي، فيستفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقول: أعزيز حكيم، أو سميع عليم، أو عزيز عليم؟ فيقول: رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أيّ ذلك كتبت فهو كذلك». ففتنه ذلك، فقال: إن محمدا يكل ذلك إليّ، فأكتب ما شئت. وهو الذي ذكر لي سعيد بن المسيب من الحروف السبعة.

واختلف القرّاء في قراءة قوله: يُلْحِدُونَ فقرأته عامّة قرّاء المدينة والبصرة: لِسانُ الّذِي يُلْحِدُونَ إلَيْهِ بضم الياء من ألحد يلحد إلحادا، بمعنى يعترضون ويعدلون إليه ويعرجون إليه من قول الشاعر:

قَدْنِيَ منْ نَصْرِ الخُبَيْبَيْنِ قَدِيلَيْسَ أميرِي بالشّحيحِ المُلْحِدِ

وقرأ ذلك عامّة قرّاء أهل الكوفة: «لِسانُ الّذِي يَلْحِدُونَ إلَيْهِ» بفتح الياء، يعني: يميلون إليه، من لَحَدَ فلان إلى هذا الأمر يَلْحِدُ لَحدا ولُحودا. وهما عندي لغتان بمعنى واحد، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب فيهما الصواب. وقيل: وَهَذَا لِسانٌ عَرَبِيّ مُبِينٌ يعني: القرآن كما تقول العرب لقصيدة من الشعر يعرضها الشاعر: هذا لسان فلان، تريد قصيدته كما قال الشاعر:

لِسانُ السّوءِ تُهْدِيها إلَيْنا وحِنْتَ وَما حَسِبْتُكَ أنْ تَحِينا

يعني باللسان القصيدة والكلمة.

الآية : 104 و 105

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّ الّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللّهِ لاَ يَهْدِيهِمُ اللّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * إِنّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ }.

يقول تعالى: إن الذين لا يؤمنون بحجج الله وأدلته فيصدّقون بما دلّت عليه، لا يَهْدِيهِمُ اللّهُ يقول: لا يوفقهم الله لإصابة الحقّ ولا يهديهم لسبيل الرشد في الدنيا، ولَهُمْ فِي الاَخِرَةِ وعند الله إذا وردوا عليه يوم القيامة عذاب مؤلم موجع. ثم أخبر تعالى ذكره المشركين الذين قالوا للنبيّ صلى الله عليه وسلم: إنما أنت مفتر، أنهم هم أهل الفرية والكذب، لا نبيّ الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون به، وبرّأ من ذلك نبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فقال: إنما يتخرّص الكذب ويتقوّل الباطل، الذين لا يصدّقون بحجج الله وإعلامه لأنهم لا يرجون على الصدق ثوابا ولا يخافون على الكذب عقابا، فهم أهل الإفك وافتراء الكذب، لا من كان راجيا من الله على الصدق الثواب الجزيل، وخائفا على الكذب العقاب الأليم. وقوله: وأُولَئِكَ هُمُ الكاذِبُونَ يقول: والذين لا يؤمنون بآيات الله هم أهل الكذب لا المؤمنون.

الآية : 106

القول في تأويل قوله تعالى: {مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ إِلاّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنّ بِالإِيمَانِ وَلَـكِن مّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مّنَ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ }.

اختلف أهل العربية في العامل في «مَن» من قوله: مَنْ كَفَرَ بـاللّهِ ومن قوله: وَلكِنْ مَنْ شَرَحَ بـالكُفْرِ صَدْرا، فقال بعض نحويي البصرة: صار قوله: فَعَلَـيْهِمْ خبرا لقوله: وَلكِنْ مَنْ شَرَحَ بـالكُفْرِ صَدْرا، وقوله: مَـنْ كَفَـرَ بـاللّهِ مِنْ بَعْدَ إيـمانِهِ فأخبر لهم بخبر واحد، وكان ذلك يـدلّ علـى الـمعنى. وقال بعض نحويي الكوفة: إنـما هـذان جـزءان اجتـمعا، أحـدهما منعقد بـالآخر، فجوابهما واحد كقول القائل: من يأتنا فمن يحسن نكرمـه، بـمعنى: من يحسن مـمن يأتنا نكرمه. قال: وكذلك كلّ جزاءين اجتـمعا الثانـي منعقد بـالأوّل، فـالجواب لهما واحد. وقال آخر من أهل البصرة: بل قوله: مَنْ كَفَرَ بـاللّهِ مرفوع بـالردّ علـى «الذين» فـي قوله: إنّـمَا يَفْتَـرِي الكَـذِبَ الّـذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بآياتِ اللّهِ ومعنى الكلام عنده: إنـما يفـتري الكـذب مـن كفـر بـالله من بعد إيـمانه، إلا من أكره من هؤلاء وقلبه مطمئنّ بـالإيـمان. وهذا قـول لا وجه له وذلك أن معنى الكلام لو كان كما قال قائـل هـذا القـول، لكـان اللـه تعالـى ذكره قد أخرج مـمن افترى الكذب فـي هذه الآية الذين وُلـدوا علـى الكفر وأقاموا علـيه ولـم يؤمنوا قطّ، وخصّ بـه الـذين قـد كـانوا آمنـوا فـي حال، ثم راجعوا الكفر بعد الإيـمان والتنزيـل يدلّ علـى أنه لـم يخصص بذلك هؤلاء دون سائر الـمشركين الذين كانوا علـى الشرك مقيـمين، وذلـك أنـه تعالـى أخبر خبر قوم منهم أضافوا إلـى رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم افتراء الكذب، فقال: وَإذَا بَدّلْنا آيَةً مَكانَ آيَةٍ وَاللّهُ أعْلَـمُ بِـمَا يُنَزّلُ قَالُوا إنـمَا أنْتَ مُفْتَرٍ، بَلْ أكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَـمُونَ وكذّب جميع الـمشركين بـافترائهم علـى الله وأخبر أنهم أحقّ بهذه الصفة مـن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم، فقال: إنـما يَفْتَرِي الكَذِبَ الّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بآياتِ اللّهِ وأُولَئِـكَ هُـمُ الكـاذِبُونَ. ولو كان الذين عنوا بهذه الآية هم الذين كفروا بـالله من بعد إيـمانهم، وجـب أن يكون القائلون لرسول الله صلى الله عليه وسـلم إنـما أنـت مفـتر حيـن بدّل الله آية مكان آية، كانوا هم الذين كفروا بـالله بعـد الإيـمان خاصـة دون غيرهم من سائر الـمشركين لأن هذه فـي سياق الـخبر عنهم، وذلك قول إن قاله قائلٌ فبـين فساده مع خروجه عن تأويـل جميع أهل العلـم بـالتأويـل.

والصواب من القول فـي ذلك عندي أن الرافع ل «من» الأولـى والثانـية، قوله: فَعَلَـيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللّهِ والعـرب تفعـل ذلـك فـي حـروف الـجزاء إذا استأنفت أحدهما علـى آخر.

وذكر أن هذه الآية نزلت فـي عمار بن ياسر وقوم كـانوا أسلـموا ففتنهـم الـمشركون عن دينهم، فثبت علـى الإسلام بعضهم وافتتـن بعـض. ذكـر مـن قال ذلك:

16563ـ حدثنـي مـحمد بن سعد، قال: ثنـي أبـي، قال: ثنـي عمي، قـال: ثنـي أبـي، عن أبـيه، عن ابن عبـاس، قوله: مَنْ كَفَرَ بـاللّهِ مِنْ بَعْدِ إيـمَانِهِ إلاّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئنّ بـالإيـمَانِ... إلـى آخـر الآيـة. وذلـك أن الـمشركين أصابوا عمار بن ياسر فعذّبوه، ثم تركوه، فرجع إلـى رسول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم فحدّثه بـالذي لقـي من قريـش والـذي قـال فـأنزل اللـه تعالـى ذكره عذره: مَـنْ كَفَـرَ بـاللّهِ مِـنْ بَعْـدِ إيـمَانِهِ... إلـى قـوله: ولَهُـمْ عَـذَابٌ عَظِيـمٌ.

16564ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتـادة: مَـنْ كَفَرَ بـاللّهِ مِنْ بَعْدِ إيـمَانِهِ إلاّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئنّ بـالإيـمَانِ قال: ذُكر لنـا أنها نزلت فـي عمار بن ياسر، أخذه بنو الـمغيرة فغطـوه فـي بئـر ميـمون

وقالوا: اكفر بمحمد فتابعهم على ذلك وقلبه كاره، فأنزل لله تعالى ذكره: إلاّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئنّ بالإيمَانِ وَلكِنْ مَنْ شَرَحَ بالكُفْرِ صَدْرا: أي من أتى الكفر على اختيار واستحباب، فَعَلَيهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ.

16565ـ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن عبد الكريم الجزري، عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، قال: أخذ المشركون عمار بن ياسر، فعذّبوه حتى باراهم في بعض ما أرادوا. فشكا ذلك إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «كَيْفَ تَجدُ قَلْبَكَ؟» قال: مطمئنا بالإيمان. قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «فإنْ عادُوا فَعُدْ».

16566ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا هشيم، عن حصين، عن أبي مالك، في قوله: إلاّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنّ بالإِيمَانَ قال: نزلت في عمار بن ياسر.

16567ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن مغيرة، عن الشعبي، قال: لما عذّب الأعبد أعطوهم ما سألوا إلا خباب بن الأرت، كانوا يضجعونه على الرضف فلم يستقلوا منه شيئا.

فتأويل الكلام إذن: من كفر بالله من بعد إيمانه، إلا من أكره على الكفر فنطق بكلمة الكفر بلسانه وقلبه مطمئنّ بالإيمان، موقن بحقيقته صحيح عليه عزمه غير مفسوح الصدر بالكفر لكن من شرح بالكفر صدرا فاختاره وآثره على الإيمان وباح به طائعا، فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك ورد الخبر عن ابن عباس.

16568ـ حدثني عليّ بن داود، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس قوله: إلاّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنّ بالإيمَانِ فأخبر الله سبحانه أنه من كفر من بعد إيمانه، فعليه غضب من الله وله عذاب عظيم. فأما من أكره فتكلم به لسانه وخالفه قلبه بالإيمان لينجو بذلك من عدوّه، فلا حرج عليه، لأن الله سبحانه إنما يأخذ العباد بما عقدت عليه قلوبهم.

الآية : 107

القول في تأويل قوله تعالى:{ذَلِكَ بِأَنّهُمُ اسْتَحَبّواْ الْحَيَاةَ الْدّنْيَا عَلَىَ الآخِرَةِ وَأَنّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ }.

يقول تعالى ذكره: حلّ بهؤلاء المشركين غضب الله ووجب لهم العذاب العظيم، من أجل أنهم اختاروا زينة الحياة الدنيا على نعيم الآخرة، ولأن الله لا يوفق القوم الذين يجحدون آياته مع إصرارهم على جحودها.

الآية : 108 و 109

القول في تأويل قوله تعالى:

{أُولَئِكَ الّذِينَ طَبَعَ اللّهُ عَلَىَ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ * لاَ جَرَمَ أَنّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرونَ }.

يقول تعالى ذكره: هؤلاء المشركون الذين وصفت لكم صفتهم في هذه الآيات أيها الناس، هم القوم الذين طبع الله على قلوبهم، فختم عليها بطابعه، فلا يؤمنون ولا يهتدون، وأصمّ أسماعهم فلا يسمعون داعي الله

إلى الهدى، وأعمى أبصارهم فلا يبصرون بها حجج الله إبصار معتبر ومتعظ. وأُولَئِكَ هُمُ الغافِلُونَ يقول: وهؤلاء الذين جعل الله فيهم هذه الأفعال هم الساهون عما أعدّ الله لأمثالهم من أهل الكفر وعما يراد بهم.

وقوله: لا جَرَمَ أنّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الخاسرُونَ الهالكون، الذين غَبَنوا أنفسهم حظوظها من كرامة الله تعالى.

الآية : 110

القول في تأويل قوله تعالى: {ثُمّ إنّ رَبّكَ لِلّذِينَ هَاجَرُواْ مِن بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمّ جَاهَدُواْ وَصَبَرُواْ إنّ رَبّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رّحِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: ثم إن ربك يا محمد للذين هاجروا من ديارهم ومساكنهم وعشائرهم من المشركين، وانتقلوا عنهم إلى ديار أهل الإسلام ومساكنهم وأهل ولايتهم، من بعد ما فتنهم المشركون الذين كانوا بين أظهرهم قبل هجرتهم عن دينهم، ثم جاهدوا المشركين بعد ذلك بأيديهم بالسيف وبألسنتهم بالبراءة منهم ومما يعبدون من دون الله وصبروا على جهادهم إنّ رَبّكَ منْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِيمٌ يقول: إن ربك من بعد فعلتهم هذه لهم لغفور، يقول: لذو ستر على ما كان منهم من إعطاء المشركين ما أرادوا منهم من كلمة الكفر بألسنتهم، وهم لغيرها مضمرون وللإيمان معتقدون، رحيم بهم أن يعاقبهم عليها مع إنابتهم إلى الله وتوبتهم.

وذُكر عن بعض أهل التأويل أن هذه الآية نزلت في قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا تخلّفوا بمكة بعد هجرة النبيّ صلى الله عليه وسلم، فاشتدّ المشركون عليهم حتى فتنوهم عن دينهم، فأيسوا من التوبة، فأنزل الله فيهم هذه الآية، فهاجروا ولحقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم. ذكر من قال ذلك:

16569ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: مَنْ كَفَرَ باللّهِ مِنْ بَعْدِ إيمَانِهِ إلاّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئنّ بالإيمَانِ قال: ناس من أهل مكة آمنوا، فكتب إليهم بعض أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم بالمدينة أن هاجروا، فإنا لا نراكم منا حتى تهاجروا إلينا فخرجوا يريدون المدينة، فأدركتهم قريش بالطريق، ففتنوهم وكفروا مكرهين، ففيهم نزلت هذه الآية.

حدثني القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، بنحوه.

قال ابن جريج: قال الله تعالى ذكره: مَنْ كَفَرَ باللّهِ مِنْ بَعْدِ إيمَانِهِ ثم نسخ واستثنى، فقال: ثُمّ إنّ رَبّكَ للّذِينَ هاجَرُوا منْ بَعْدِ ما فُتِنُوا ثُمّ جاهَدُوا وَصَبَرُوا إنّ رَبّكَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِيمٌ.

16570ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ثُمّ إنّ رَبّكَ للّذِينَ هاجَرُوا منْ بَعْدِ ما فُتِنُوا ثُمّ جاهَدُوا وَصَبَرُوا إنّ رَبّكَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ذكر لنا أنه لما أنزل الله أن أهل مكة لا يُقبل منهم إسلام حتى يهاجروا، كتب بها أهل المدينة إلى أصحابهم من أهل مكة. فلما جاءهم ذلك تبايعوا بينهم على أن يخرجوا، فإن لحق بهم المشركون من أهل مكة قاتلوهم حتى ينجوا أو يلحقوا بالله. فخرجوا

فأدركهم المشركون، فقاتلوهم، فمنهم من قُتل ومنهم من نجا، فأنزل الله تعالى: ثُمّ إنّ رَبّكَ للّذِينَ هاجَرُوا منْ بَعْدِ ما فُتِنُوا... الآية.

فوصف اليومين بالغيمين، وإنما يكون الغيم فيهما. وقد يجوز أن يكون أريد به في يوم عاصف الريح، فحُذفت الريح لأنها قد ذُكرت قبل ذلك، فيكون ذلك نظير قول الشاعر:

ذَا جاءَ يَوْمٌ مُظْلِمُ الشّمْسِ كاسِفُ

يريد: كاسف الشمس. وقيل: هو من نعت الريح خاصة، غير أنه لما جاء بعد اليوم أتبع إعرابه، وذلك أن العرب تتبع الخفضَ الخفضَ في النعوت، كما قال الشاعر:

تُرِيكَ سُنّةَ وَجْهٍ غيرِ مُقْرِفَةٍمَلْساءَ ليس بها خالٌ ولا نَدَبُ

فخفض «غير» إتباعا لإعراب الوجه، وإنما هي من نعت السنة، والمعنى: سُنّة وجه غَيرَ مقرفة، وكما قالوا: هذا جُحرُ ضبّ خربٍ.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16571ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، في قوله: كَرَمادٍ اشْتَدّتْ بِهِ الرّيحُ قال: حملته الريح فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ.

16572ـ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: مَثَلُ الّذِينَ كَفَرُوا بَرَبّهِمْ أعْمالُهُمْ كَرَمادٍ اشْتَدّتْ بِهِ الرّيحُ فِي يَوْمٍ عاصِفٍ يقول: الذين كفروا بربهم وعبدوا غيره، فأعمالهم يوم القيامة كرماد اشتدّت به الريح في يوم عاصف، لا يقدرون على شيء من أعمالهم ينفعهم، كما لا يقدر على الرماد إذا أرسل عليه الريح في يوم عاصف.

الآية : 111

القول في تأويل قوله تعالى: {يَوْمَ تَأْتِي كُلّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نّفْسِهَا وَتُوَفّىَ كُلّ نَفْسٍ مّا عَمِلَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ }.

يقول تعالى ذكره: إن ربك من بعدها لغفور رحيم يَوْمَ تَأْتِي كُلّ نَفْسٍ تخاصم عن نفسها، وتحتجّ عنها بما أسلفت في الدنيا من خير أو شرّ أو إيمان أو كفر. وَتُوَفّي كُلّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ في الدنيا من طاعة ومعصية. وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ: يقول: وهم لا يفعل بهم إلا ما يستحقونه ويستوجبونه بما قدّموه من خير أو شرّ، فلا يجزي المحسن إلا بالإحسان ولا المسيء إلا بالذي أسلف من الإساءة، لا يعاقب محسن ولا يبخس جزاء إحسانه، ولا يثاب مسيء إلا ثواب عمله.

واختلف أهل العربية في السبب الذي من أجله قيل «تجادل» فأنّث الكلّ، فقال بعض نحوّيي البصرة: قيل ذلك لأن معنى كلّ نفس: كل إنسان، وأنث لأن النفس تذكر وتؤنث، يقال: ما جاءني نفس واحد وواحدة. وكان بعض أهل العربية يرى هذا القول من قائله غلطا ويقول: «كلّ» إذا أضيفت إلى نكرة واحدة خرج الفعل على قدر النكرة: كلّ امرأة قائمة، وكلّ رجل قائم، وكل امرأتين قائمتان، وكلّ رجلين قائم ان، وكل نس اء قائمات، وكل رجال قائمون، فيخرج على عدد النكرة وتأنيثها وتذكيرها، ولا حاجة به إلى تأنيث النفس وتذكيرها.

الآية : 112

القول في تأويل قوله تعالى: {وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مّطْمَئِنّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مّن كُلّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ }.

يقول الله تعالى ذكره: ومثل الله مثلاً لمكّة التي سكانها أهل الشرك بالله هي القرية التي كانت آمنة مطمئنة. وكان أمنها أن العرب كانت تتعادى ويقتل بعضها بعضا ويَسْبِي بعضها بعضا، وأهل مكة لا يُغار عليهم ولا يحارَبون في بلدهم، فذلك كان أمنها. وقوله: مُطْمَئِنّةً يعني: قارّة بأهلها، لا يحتاج أهلها إلى النّجْع كما كان سكان البوادي يحتاجون إليها. يَأْتِيها رِزْقُها رَغَدا يقول: يأتي أهلها معايشهم واسعة كثيرة. وقوله: مِنْ كُلّ مَكانٍ يعني: من كلّ فجّ من فجاج هذه القرية ومن كل ناحية فيها.

وبنحو الذي قلنا في أن القرية التي ذُكرت في هذا الموضع أريد بها مكة قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16573ـ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنّةً يَأْتِيها رِزْقُها رَغَدا مِنْ كُلّ مَكانٍ يعني: مكة.

16574ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: قَرْيَةً كانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنّةً قال: مكة.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

16575ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنّةً قال: ذُكر لنا أنها مكة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: قَرْيَةً كانَتْ آمِنَةً قال: هي مكة.

16576ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنّةً... إلى آخر الآية. قال: هذه مكة.

وقال آخرون: بل القرية التي ذكر الله في هذا الموضع مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم. ذكر من قال ذلك:

16577ـ حدثني ابن عبد الرحيم البرقيّ، قال: حدثنا ابن أبي مريم، قال: أخبرنا نافع بن يزيد، قال: ثني عبد الرحمن بن شريح، أن عبد الكريم بن الحارث الحضرميّ، حدث أنه سمع مِشْرَحَ بن عاهانَ، يقول: سمعت سليم بن نمير يقول: صدرنا من الحجّ مع حفصة زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم وعثمان محصور بالمدينة فكانت تسأل عنه ما فعل، حتى رأت راكبين، فأرسلت إليهما تسألهما، فقالا: قُتل فقالت حفصة: والذي نفسي بيده إنها القرية، تعني المدينة التي قال الله تعالى: وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنّةً يَأْتِيها رِزْقُها رَغَدا مِنْ كُلّ مَكانٍ فَكَفَرَتْ بأنْعُمِ اللّهِ قرأها. قال أبو شريح: وأخبرني عبد الله بن المغيرة عمن حدثه، أنه كان يقول: إنها المدينة. وقوله: فَكَفَرَتْ بأنْعُمِ اللّهِ يقول: فكفر أهل هذه القرية بأنعم الله التي أنعم عليها.

واختلف أهل العربية في واحد «الأَنْعُم»، فقال بعض نحويّي البصرة: جمع النعمة على أنعم، كما قال الله: حتى إذَا بَلَغَ أشُدّهُ فزعم أنه جمع الشّدّة. وقال آخر منهم الواحد نُعْم، وقال: يقال: أيام طُعْم ونُعْم: أي نعيم، قال: فيجوز أن يكون معناها: فكفرت بنعيم الله لها. واستشهد على ذلك بقول الشاعر:

وعندي قُرُوضُ الخَيرِ والشّرّ كلّهفبُؤْسٌ لذي بُؤْسٍ ونُعْمٍ بأنْعُم

وكان بعض أهل الكوفة يقول: أنْعُم: جمع نعماء، مثل بأساء وأبؤس، وضرّاء وأضُرّ فأما الأشدّ فإنه زعم أنه جمع شَدّ.

وقوله: فأذَاقَها اللّهُ لِباسَ الجُوعِ والخَوْفِ يقول تعالى ذكره: فأذاق الله أهل هذه القرية لباس الجوع وذلك جوع خالط أذاه أجسامهم، فجعل الله تعالى ذكره ذلك لمخالطته أجسامهم بمنزلة اللباس لها. وذلك أنهم سلط عليهم الجوع سنين متوالية بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى أكلوا العِلْهِزَ والجِيَف. قال أبو جعفر: والعلهز: الوبر يعجن بالدم والقُراد يأكلونه. وأما الخوف فإن ذلك كان خوفهم من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم التي كانت تطيف بهم. وقوله: بِمَا كانُوا يَصْنَعُونَ يقول: بما كانوا يصنعون من الكفر بأنعم الله، ويجحدون آياته، ويكذّبون رسوله. وقال: بما كَانُوا يَصْنَعُونَ وقد جرى الكلام من ابتداء الآية إلى هذا الموضع على وجه الخبر عن القرية، لأن الخبر وإن كان جرى في الكلام عن القرية استغناء بذكرها عن ذكر أهلها لمعرفة السامعين بالمراد منها، فإن المراد أهلها فلذلك قيل: بِمَا كانُوا يَصْنَعُونَ فردّ الخبر إلى أهل القرية، وذلك نظير قولهِ: فجاءَها بأسُنا بَياتا أوْ هُمْ قائِلُونَ ولم يقل قائلة، وقد قال قبله: فَجاءَها بأسُنا، لأنه رجع بالخبر إلى الإخبار عن أهل القرية ونظائر ذلك في القرآن كثيرة.

الآية : 113

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مّنْهُمْ فَكَذّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ولقد جاء أهل هذه القرية التي وصف الله صفتها في هذه الآية التي قبل هذه الآية رَسُولٌ مِنْهُمْ يقول: رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم، يقول: من أنفسهم يعرفونه ويعرفون نسبه وصدق لهجته، يدعوهم إلى الحقّ وإلى طريق مستقيم. فَكَذّبُوهُ ولم يقبلوا منه ما جاءهم به من عند الله. فَأَخَذَهُمُ العَذَابُ وذلك لباس الجوع والخوف مكان الأمن والطمأنينة والرزق الواسع الذي كان قبل ذلك يرزقونه، وقْتل بالسيف. وَهُمْ ظالِمُونَ يقول: وهم مشركون، وذلك أنه قتل عظماؤهم يوم بدر بالسيف على الشرك.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16578ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: وَلَقَدْ جاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ إي والله، يعرفون نسبه وأمره. فَكَذّبُوه فَأَخَذَهُمُ العَذَابُ وَهُم ظَالِمُون، فأخذهم الله بالجوع والخوف والقتل.

الآية : 114

القول في تأويل قوله تعالى: {فَكُلُواْ مِمّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلالاً طَيّباً وَاشْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ إِن كُنْتُمْ إِيّاهُ تَعْبُدُونَ }.

يقول تعالى ذكره: فكلوا أيها الناس مما رزقكم الله من بهائم الأنعام التي أحلها لكم حلالاً طيبا مُذَكّاة غير محرّمة عليكم. وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللّهِ يقول: واشكروا الله على نعمه التي أنعم بها عليكم في تحليله ما أحلَّ لكم من ذلك، وعلى غير ذلك من نعمه. إنْ كُنْتُمْ إيّاهُ تَعْبُدُونَ يقول: إن كنتم تعبدون الله، فتطيعونه فيما يأمركم وينهاكم. وكان بعضهم يقول: إنما عني بقوله: فَكُلُوا مِمّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلالاً طَيّبا طعاما كان بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين من قومه في سِنِي الجدب والقحط رقة عليهم، فقال الله تعالى للمشرلين: فكلوا مما رزقكم الله من هذا الذي بعث به إليكم حلالاً طيبا. وذلك تأويل بعيد مما يدلّ عليه ظاهر التنزيل، وذلك أن الله تعالى قد أتبع ذلك بقوله: إنّمَا حَرّمَ عَلَيْكُمُ المَيْتَةَ والدّمَ... الآية والتي بعدها، فبين بذلك أن قوله: فَكُلُوا مِمّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلالاً طَيّبا إعلام من الله عباده أن ما كان المشركون يحرّمونه من البحائر والسوائب والوصائل وغير ذلك مما قد بيّنا قبل فيما مضى لا معنى له، إذ كان ذلك من خطوات الشيطان، فإن كلّ ذلك حلال لم يحرّم الله منه شيئا.

الآية : 115

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّمَا حَرّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدّمَ وَلَحْمَ الْخَنْزِيرِ وَمَآ أُهِلّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنّ اللّهَ غَفُورٌ رّحِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره مكذّبا المشركين الذين كانوا يحرّمون ما ذكرنا من البحائر وغير ذلك: ما حرّم الله عليكم أيها الناس إلا الميتة والدم ولحم الخنزير وما ذبح للأنصاب فسُمّي عليه غير الله لأن ذلك من ذبائح من لا يحلّ أكل ذبيحته، فمن اضطرّ إلى ذلك أو إلى شيء منه لمجاعة حلّت فأكله غيرَ باغٍ وَلا عاد فإنّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ يقول: ذو ستر عليه أن يؤاخذه بأكله ذلك في حال الضرورة، رحيم به أن يعاقبه عليه.

وقد بيّنا اختلاف المختلفين في قوله: غيرَ باغٍ وَلا عادٍ والصواب عندنا من القول في ذلك بشواهده فيما مضى بما أغنى عن إعادته.

16579ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: إنّمَا حَرّمَ عَلَيْكُمْ المَيْتَةَ والدّمَ... الآية قال: وإن الإسلام دين يطهره الله من كلّ سوء، وجعل لك فيه يا ابن آدم سعة إذا اضطررت إلى شيء من ذلك. قوله فَمَنِ اضْطُرّ غيرَ باغٍ وَلا عادٍ غير باغ في أكله ولا عاد أن يتعدّى حلالاً إلى حرام، وهو يجد عنه مندوحة.

الآية : 116 ، 117

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَـَذَا حَلاَلٌ وَهَـَذَا حَرَامٌ لّتَفْتَرُواْ عَلَىَ اللّهِ الْكَذِبَ إِنّ الّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَىَ اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }.

اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامّة قرّاء الحجاز والعراق وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ ألْسِنَتُكُمُ الكَذِبَ فتكون تصف الكذب، بمعنى: ولا تقولوا لوصف ألسنتكم الكذب، فتكون «ما» بمعنى المصدر. وذُكر عن الحسن البصري أنه قرأ: «وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ ألْسِنَتُكُمُ الكَذِبِ» هذا بخفض الكذب، بمعنى: ولا تقولوا للكذب الذي تصفه ألسنتكم، هَذَا حَلاَلٌ وهذَا

حَرَامٌ فيجعل الكذب ترجمة عن «ما» التي في «لِمَا»، فتخفضه بما تخفض به «ما». وقد حُكي عن بعضهم: «لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكمُ الكُذُبُ» يرفع «الكُذُب»، فيجعل الكُذُب من صفة الألسنة، ويخرج على فُعُل على أنه جمع كُذُوب وكُذُب، مثل شُكُور وشُكُر.

والصواب عندي من القراءة في ذلك نصب «الكَذِب» لإجماع الحجة من القرّاء عليه. فتأويل الكلام إذ كان ذلك كذلك لما ذكرنا: ولا تقولوا لوصف ألسنتكم الكذبَ فيما رزق الله عباده من المطاعم: هذا حلال، وهذا حرام، كي تفتروا على الله بقيلكم ذلك الكذبَ، فإن الله لم يحرم من ذلك ما تحرّمون، ولا أحلّ كثيرا مما تُحِلّون. ثم تقدّم إليهم بالوعيد على كذبهم عليه، فقال: إنّ الّذِينَ يَفْتَرُونَ على اللّهِ الكَذِبَ يقول: إن الذين يتخرّصون على الله الكذب ويختلقونه، لا يخلّدون في الدنيا ولا يبقون فيها، إنما يتمتعون فيها قليلاً. وقال: مَتاعٌ قَلِيلٌ فرفع، لأن المعنى الذي هم فيه من هذه الدنيا متاع قليل، أو لهم متاع قليل في الدنيا. وقوله: ولَهُمْ عَذَابٌ أليمٌ يقول: ثم إلينا مرجعهم ومعادهم، ولهم على كذبهم وافترائهم على الله بما كانوا يفترون عذاب عند مصيرهم إليه أليم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16580ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى: وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله تعالى: لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الكَذِبَ هذَا حَلالٌ وهذَا حَرَامٌ في البحيرة والسائبة.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قال: البحائر والسوائب.

الآية : 118

القول في تأويل قوله تعالى: {وَعَلَىَ الّذِينَ هَادُواْ حَرّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَـكِن كَانُوَاْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وحرّمنا من قبلك يا محمد على اليهود ما أنبأناك به من قبل في سورة الأنعام، وذاك كلّ ذي ظفر، ومن البقر والغنم حرّمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظُهورهما أو الحوايا أو ما إختلط بعظم. وَما ظَلَمْناهُمْ بتحريمنا ذلك عليهم، ولكِنْ كانُوا أنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ فجزيناهم ذلك ببغيهم على ربهم وظُلمِهم أنفسهم بمعصية الله، فأورثهم ذلك عقوبة الله.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16581ـ حدثني يعقوب، قال: حدثنا ابن علية، عن أيوب، عن عكرمة، في قوله: وَعلى الّذِينَ هادُوا حَرّمْنا ما قَصَصْنا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ قال في سورة الأنعام.

16582ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَعلى الّذِينَ هادُوا حَرّمْنا ما قَصَصْنا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ قال: ما قصّ الله تعالى في سورة الأنعام حيث يقول: وعلى الذين هادوا حرّمنا كلّ ذي ظُفُر... الآية.

الآية : 119-128

تأويل قوله تعالى {ثُمّ إِنّ رَبّكَ لِلّذِينَ عَمِلُواْ السّوَءَ بِجَهَالَةٍ ثُمّ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوَاْ إِنّ رَبّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رّحِيمٌ * إِنّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمّةً قَانِتاً لِلّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِراً لأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىَ صِرَاطٍ مّسْتَقِيمٍ * وَآتَيْنَاهُ فِي الدّنْيَا حَسَنَةً وَإِنّهُ فِي الاَخِرَةِ لَمِنَ الصّالِحِينَ * ثُمّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ اتّبِعْ مِلّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * إِنّمَا جُعِلَ السّبْتُ عَلَىَ الّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَإِنّ رَبّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * ادْعُ إِلِىَ سَبِيلِ رَبّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنّ رَبّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ * وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لّلصّابِرِينَ * وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاّ بِاللّهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مّمّا يَمْكُرُونَ * إِنّ اللّهَ مَعَ الّذِينَ اتّقَواْ وّالّذِينَ هُم مّحْسِنُونَ }

16583ـ حدثنا أحمد، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا فضيل بن مرزوق، عن عطية العوفيّ في قوله: ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيّبَةً كَشَجَرةٍ طَيّبَةٍ قال: ذلك مثل المؤمن، لا يزال يخرج منه كلام طيب وعمل صالح يصعد إليه.

16584ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي جعفر، عن الربيع بن أنس، قال: «أصْلُها ثابِتٌ فِي الأرْضِ» وكذلك كان يقرؤها، قال: ذلك المؤمن ضرب مثله، قال: الإخلاص للهَ وحده وعبادته، لا شريك له. قال: أصلُها ثابِتٌ قال: أصل عمله ثابت في الأرض وَفَرْعُها فِي السّماءِ قال: ذكره في السماء.

واختلفوا في هذه الشجرة التي جعلت للكلمة الطيبة مثلاً، فقال بعضهم: هي النخلة. ذكر من قال ذلك:

16585ـ حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن معاوية بن قرة قال: سمعت أنس بن مالك في هذا الحرف: كَشَجَرَةٍ طَيّبَةٍ قال: هي النخلة.

حدثنا الحسن بن محمد، قال: حدثنا أبو قطن، قال: حدثنا شعبة، عن معاوية بن قرة، عن أنس، مثله.

حدثنا الحسن، قال: حدثنا شبابة، قال: حدثنا شعبة، عن معاوية بن قرة، قال: سمعت أنس بن مالك يقول: كَلِمَةً طَيّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيّبَةٍ قال: النخل.

16586ـ حدثني يعقوب والحسن بن محمد، قالا: حدثنا ابن علية، قال: حدثنا شعيب، قال: قال خرجت مع أبي العالية نريد أنس بن مالك، قال: فأتيناه، فدعا لنا بِقُنوٍ عليه رطب، فقال: كلوا من هذه الشجرة التي قال الله عزّ وجلّ: ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيّبَةً كَشَجَرةٍ طَيّبَةٍ أصْلُها ثابِتٌ وفَرْعُا فِي السّماءِ. وقال الحسن في حديثه: بقناع.

16587ـ حدثنا خلاد بن أسلم، قال: أخبرنا النضر بن شميل، قال: أخبرنا حماد بن سلمة، قال: أخبرنا شعيب بن الحبحاب، عن أنس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُتي بقناع بسر، فقال: «مثل كَلِمَةٍ طَيّبَةٍ كَشَجَرَةٍ طَيّبَةٍ» قال: «هِيَ النّخْلَةُ».

حدثنا سوار بن عبد الله، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن شعيب بن الحبحاب، عن أنس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بقناع فيه بسر، فقال: «مَثَلُ كَلِمَةٍ طَيّبَةٍ كَشَجَرَةٍ طَيّبَةٍ» قال: «هي النّخْلَةُ» قال شعيب، فأخبرت بذلك أبا العالية، فقال: كذلك كانوا يقولون.

16588ـ حدثني المثنى، قال: حدثنا حجاج، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن شعيب بن الحبحاب، قال: كنا عند أنس، فأتينا بطبق أو قنع عليه رطب، فقال: كل يا أبا العالية، فإن هذا من الشجرة التي ذكر الله عزّ وجلّ في كتابه ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيّبَةٍ أَصْلُها ثابِتٌ».

حدثني المثنى، قال: حدثنا الحجاج بن المنهال، قال: حدثنا مهدي بن ميمون، عن شعيب بن الحبحاب، قال: كان أبو العالية يأتيني، فأتاني يوما في منزلي بعد ما صليت الفجر، فانطلقت معه إلى أنس بن مالك، فدخلنا معه إلى أنس بن مالك، فجيء بطبق عليه رطب، فقال أنس لأبي العالية: كل يا أبا العالية، فإن هذه من الشجرة التي قال الله في كتابه: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيّبَةٍ أصْلُها ثابتٌ. قال: هكذا قرأها يومئذٍ أنس.

16589ـ حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا طلق، قال: حدثنا شريك، عن السديّ، عن مرة، عن عبد الله، مثله.

16590ـ حدثني الحارث، قال حدثنا عبد العزيز، قال: حدثنا عبد الغفار بن القاسم، عن جامع بن أبي راشد، عن مرّة بن شراحيل الهمداني، عن مسروق: كَشَجَرَةٍ طَيّبَةٍ قال: النخلة.

16591ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى «ح» وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا شبابة، قال: حدثنا ورقاء «ح» وحدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا أحمد، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا إسرائيل، عن السديّ، عن مرّة، عن عبد الله، مثله.

16592ـ حدثني المثنى، قال: حدثنا معلى بن أسد، قال: حدثنا خالد، قال: أخبرنا حُصَين، عن عكرمة، في قوله: كَشَجَرَةٍ طَيّبَةٍ قال: هي النخلة لا تزال فيها منفعة.

16593ـ حدثني المثنى، قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا عبد الرحمن بن مغراء، عن جويبر، عن الضحاك، في قوله: كَشَجَرةٍ طَيّبَةٍ قال: ضرب الله مثل المؤمن كمثل النخلة تؤتي أكلها كلّ حين.

16594ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: مَثَلاً كَلِمَةً طَيّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيّبَةٍ كنا نحدّث أنها النخلة.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: كَشَجَرَةٍ طَيّبَةٍ قال: يزعمون أنها النخلة.

16595ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: تُؤْتِي أُكُلَها كُلَّ حِينٍ قال: هي النخلة.

16596ـ حدثنا الحسن بن محمد، قال: حدثنا محمد بن عبيد، قال: حدثنا الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قوله: وَفَرْعُها فِي السّماءِ قال: النخلة.

قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا سعيد بن منصور، قال: حدثنا خالد، عن الشيباني، عن عكرمة: تُؤْتِي أُكُلَها كُلّ حِينٍ قال: هي النخلة.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، قال: قال شعيب بن الحبحاب، عن أنس بن مالك: الشجرة الطيبة: النخلة.

وقال آخرون: بل هي شجرة في الجنة. ذكر من قال ذلك:

16597ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد، قال: حدثنا عفـان، قال: حدثنا أبو كدينة، قال: حدثنا قابوس بن أبـي ظبـيان، عن أبـيه، عن ابن عبـاس، فـي قول الله عزّ وجلّ: ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِـمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أصْلُها ثابِتٌ وَفَرْعُها فِـي السماءِ تُؤْتِـي أُكُلَها كُلّ حِينٍ بإذْنِ رَبّها قال: هي شجرة فـي الـجنة.

وأولـى القولـين بـالصواب فـي ذلك، قول من قال: «هي النـخـلة» لصحة الـخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بـما:

16598ـ حدثنا به الـحسن بن مـحمد، قال: حدثنا سفـيان بن عيـينة، عن ابن أبـي نـجيح، عن مـجاهد، قال: صحبت ابن عمر إلـى الـمدينة، فلـم أسمعه يحدّث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا حديثا واحدا، قال: كنا عند النبـيّ صلى الله عليه وسلم، فأتـي بجمار، فقال: «مِنَ الشّجَرِ شَجَرَةٌ مَثَلُها مَثَلُ الرّجُلِ الـمُسْلِـمِ» فأردت أن أقول: هي النـخـلة، فإذا أنا أصغر القوم، فسكتّ.

حدثنا الـحسن، قال: حدثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا سلـيـمان، عن يوسف بن سرح، عن رجل، عن ابن عمر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «هَلْ تَدْرُونَ ما الشّجَرَةُ الطّيّبَةُ؟» قال ابن عمر: فأردت أن أقول هي النـخـلة، فمنعنـي مكان عمر، فقالوا: الله ورسوله أعلـم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هِيَ النّـخْـلَةُ».

حدثنا الـحسن، قال: حدثنا يحيى بن حماد، قال: حدثنا عبد العزيز، قال: حدثنا عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هِيَ النّـخْـلَةُ».

حدثنا الـحسن، قال: حدثنا عاصم بن علـيّ، قال: حدثنا عبد العزيز بن مسلـم القِسْمِلِـي، قال: حدثنا عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنّ مِنَ الشّجَرِ شَجَرَةً لا يَسْقُطُ وَرَقُها وَهِيَ مَثلُ الـمُؤْمِنِ، فَتُـحَدّثُونِـي ما هِيَ؟» فذكر نـحوه.

حدثنا الـحسن، قال: حدثنا علـيّ، قال: حدثنا يحيى بن سعيد، قال: حدثنا عبـيد الله، قال: ثنـي نافع، عن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أخْبِرُونِـي بشَجَرَةٍ كَمَثَلِ الرّجُلِ الـمُسْلِـمِ تُؤْتِـي أُكُلَها كُلّ حِينٍ لا ينَـحاتّ وَرَقُها» قال: فوقع فـي نفسي أنها النـخـلة، فَكرهت أن أتكلـم وثمّ أبو بكر وعمر، فلـما لـم يتكلـموا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هِيَ النّـخْـلَةُ».

حدثنا الـحسن، قال: حدثنا مـحمد بن الصبـاح، قال: حدثنا إسماعيـل، عن عبـيد الله، عن نافع، عن ابن عمر، عن النبـيّ صلى الله عليه وسلم، نـحوه.

واختلف أهل التأويـل فـي معنى الـحين الذي ذكر الله عزّ وجلّ فـي هذا الـموضع فقال: تُؤْتِـي أُكُلَها كُلّ حِينٍ بإذْنِ رَبّها فقال بعضهم: معناه: تؤتـي أكلها كلّ غداة وعشية. ذكر من قال ذلك:

16599ـ حدثنا الـحسن بن مـحمد، قال: حدثنا أبو معاوية، قال: حدثنا الأعمش، عن أبـي ظبـيان، عن ابن عبـاس، قال: الـحِين قد يكون غدوة وعشية.

حدثنا الـحسن بن مـحمد، قال: حدثنا مـحمد بن عبـيد،قال: حدثنا الأعمش، عن أبـي ظبـيان، عن ابن عبـاس فـي قوله: تُؤْتِـي أُكُلَها كُلّ حِينٍ بإذْنِ رَبّها قال: غُدوة وعشية.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا يحيى، قال: حدثنا سفـيان، عن الأعمش، عن أبـي ظبـيان، عن ابن عبـاس، مثله.
حدثنا مـحمد بن الـمثنى، قال: حدثنا مـحمد بن أبـي عديّ، عن شعبة، عن سلـيـمان، عن أبـي ظبـيان، عن ابن عبـاس، بـمثله.
حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا طلق، عن زائدة، عن الأعمش، عن أبـي ظبـيان، عن ابن عبـاس مثله.
حدثنا الـحسن، قال: حدثنا علـيّ بن الـجعد، قال: حدثنا شعبة، عن الأعمش عن أبـي ظبـيان، عن ابن عبـاس، فـي قوله: تُؤْتِـي أُكُلَها كُلّ حِينٍ بإذْنِ رَبّها قال: بكرة وعشيا.
حدثنا أحمد، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا شريك، عن الأعمش، عن أبـي ظبـيان، عن ابن عبـاس: تُؤْتِـي أُكُلَها كُلّ حِينٍ بإذْنِ رَبّها قال: بكرة وعشية.
حدثنـي مـحمد بن سعد، قال: ثنـي أبـي، قال: ثنـي عمي، قال: ثنـي أبـي، عن أبـيه، عن ابن عبـاس: تُؤتِـي أُكُلَها كُلّ حِينٍ بإذْنِ رَبّها قال: يُذكر الله كلّ ساعة من اللـيـل والنهار.
حدثنا الـحسن، قال: حدثنا عفـان، قال: حدثنا أبو كدينة، قال: حدثنا قابوس، عن أبـيه، عن ابن عبـاس: تُؤْتِـي أُكُلَها كُلّ حِينٍ بإذْن رَبّها قال: غدوة وعشية.
16600ـ حدثنـي الـمثنى، قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا عبد الرحمن بن مَغْراء، عن جويبر، عن الضحاك، فـي قوله: تُؤْتِـي أُكُلَها كُلّ حِينٍ بإذْنِ رَبّها قال: الـمؤمن يطيع الله بـاللـيـل والنهار، وفـي كلّ حين.
16601ـ حدثنـي الـمثنى، قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا عبد الله بن أبـي جعفر، عن أبـيه، عن الربـيع بن أنس: تُؤْتِـي أُكُلَها كُلّ حِينٍ بإذْنِ رَبّها يصعد عمله أوّل النهار وآخره.
حدثنا القاسم، قال: حدثنا الـحسين، قال: ثنـي حجاج، عن أبـي جعفر، عن الربـيع بن أنس: تُؤْتِـي أُكُلَهَا كُلّ حِينٍ بإذْنِ رَبّها قال: يَصْعَد عمله غدوة وعشية.
16602ـ حُدثت عن الـحسين، قال: سمعت أبـا معاذ، قال: أخبرنا عبـيد بن سلـيـمان، قال: سمعت الضحاك يقول فـي قوله: تُؤْتِـي أُكُلَها كُلّ حِينٍ بإذْنِ رَبّها قال: تُـخْرِج ثمرَتها كلّ حين. وهذا مثل الـمؤمن يعمل كلّ حين كلّ ساعة من النهار، وكلّ ساعة من اللـيـل وبـالشتاء والصيف بطاعة الله.
وقال آخرون: معنى ذلك: تؤتـي أكلها كلّ ستة أشهر من بـين صِرَامها إلـى حملها. ذكر من قال ذلك:
16603ـ حدثنا مـحمد بن بشار، قال: حدثنا يحيى، قال: حدثنا سفـيان، عن طارق بن عبد الرحمن، عن سعيد بن جبـير، عن ابن عبـاس، قال: الـحين: ستة أشهر.
16604ـ حدثنـي يعقوب، قلا: حدثنا ابن علـية،قال: أخبرنا أيوب، قال: قال عكرمة: سئلت عن رجل حلف أن لا يصنع كذا وكذا إلـى حين، فقلت: إن من الـحين حينا يدرك، ومن الـحين حينا لا يدرك، فـالـحين الذي لا يدرك قوله: وَلَتَعْلَـمُنّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ والـحين الذي يدرك: تُؤْتِـي أُكُلَها كُلّ حِينٍ بإذْنِ رَبّها قال: وذلك من حين تُصْرَمُ النـخـلة إلـى حين تُطْلِع، وذلك ستة أشهر.

16605ـ حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا وكيع، عن سفـيان، عن ابن الأصبهانـي، عن عكرمة، قال: الـحِين: ستة أشهر.
16606ـ حدثنا الـحسن، قال: حدثنا سعيد بن منصور، قال: حدثنا خالد، عن الشيبـانـي، عن عكرمة، فـي قوله: تُؤْتِـي أُكُلَها كُلَّ حِينٍ بإذْنِ رَبّها قال: هي النـخـلة، والـحِين: ستة أشهر.
16607ـ حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا كثـير بن هشام، قال: حدثنا جعفر، قال: حدثنا عكرمة: تُؤْتِـي أُكُلَها كُلّ حِينٍ بإذْنِ رَبّها قال: هو ما بـين حمل النـخـلة إلـى أن تُـحْزر.
حدثنـي الـمثنى، قال: حدثنا قبـيصة بن عقبة، قال: حدثنا سفـيان، قال: قال عكرمة: الـحِين: ستة أشهر.
16608ـ حدثنا أحمد، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا قـيس، عن طارق بن عبد الرحمن، عن سعيد بن جبـير، عن ابن عبـاس، أنه سئل عن رجل حلف أن لا يكلـم أخاه حِينا، قال: الـحِين: ستة أشهر، ثم ذكر النـخـلة ما بـين حملها إلـى صِرامها ستة أشهر.
16609ـ حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا وكيع، عن سفـيان، عن طارق، عن سعيد بن جبـير: تُؤْتِـي أُكُلَها كُلّ حِينٍ قال: ستة أشهر.
16610ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: تُؤْتِـي أُكُلَها كُلّ حينٍ بإذْنِ رَبّها والـحين: ما بـين السبعة والستة، وهي تؤكل شتاءً وصيفـا.
16611ـ حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى، قال: حدثنا مـحمد بن ثور، عن معمر، قال: قال الـحسن: ما بـين الستة الأشهر والسبعة يعنـي الـحين.
حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفـيان، عن عبد الرحمن بن الأصبهانـي، عن عكرمة، قال: الـحين: ستة أشهر.
وقال آخرون: بل الـحين ههنا سنة. ذكر من قال ذلك:
16612ـ حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا وكيع، عن أبـي مكين، عن عكرمة: أنه نذر أن يقطع يد غلامه أو يحبسه حينا، قال: فسألنـي عمر بن عبد العزيز، فقلت: لا تقطع يده، ويحبسه سنة، والـحين: سنة. ثم قرأ: لَـيَسْجُنُنّهُ حتـى حينٍ، وقرأ: تُؤْتِـي أُكُلَها كُلّ حينٍ بإذْنِ رَبّها.
16613ـ حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا وكيع، قال: وزاد أبو بكر الهذلـيّ، عن عكرمة، قال: قال ابن عبـاس: الـحين حِينان: حين يعرف، وحين لا يعرف فأما الـحين الذي لا يعرف: وَلَتَعْلَـمُنّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ. وأما الـحين الذي يعرف فقوله: تُؤْتِـي أُكُلَها كُلّ حِينٍ بإذْنِ رَبّها.
16614ـ حدثنا ابن الـمثنى، قال: حدثنا مـحمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، قال: سألت حمادا والـحكَم، عن رجل حلف إلاّ يكلـم رجلاً إلـى حِين، قالا الـحِين: سنة.
16615ـ حدثنا مـحمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى «ح» وحدثنـي الـحرث، قال: حدثنا الـحسن، قال: حدثنا ورقاء «ح» وحدثنا الـحسن بن مـحمد، قال: حدثنا شبـابة، قال: ثنـي ورقاء «ح» وحدثنـي الـمثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبـي نـجيح، عن مـجاهد، قوله: كُلّ حِينٍ قال: كلّ سنة.
16616ـ حدثنـي يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فـي قوله: تُؤْتِـي أُكُلُها كُلَّ حِينٍ قال: كلّ سنة.

16617ـ حدثنا أحمد، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا سلام، عن عطاء بن السائب، عن رجل منهم، أنه سأل ابن عباس، فقال: حلفت ألاّ أكلم رجلاً حِينا، فقرأ ابن عباس: تُؤْتِي أُكُلَها كُلّ حِينٍ فالحِين: سنة.

حدثنا أحمد، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا ابن عسيل، عن عكرمة، قال: أرسل إليّ عمر بن عبد العزيز فقال: يا مولى ابن عباس، إني حلفت أن لا أفعل كذا وكذا حِينا، فلما الحين الذي يعرف به؟ قلت: إن من الحين حينا لا يدرك، ومن الحين حين يدرك فأما الحين الذي لا يدرك فقول الله: هَلْ أتَى على الإنْسانِ حِينٌ مِنَ الدّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئا مَذْكُورا: والله ما يدري كم أتى له إلى أن خلق. وأما الذي يدرك فقوله: تُؤْتِي أُكُلَها كُلّ حِينٍ بإذْنِ رَبّها، فهو ما بين العام إلى العام المقبل. فقال: أصبت يا مولى ابن عباس، ما أحسن ما قلت.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن عطاء، قال: أتى رجل ابن عباس، فقال: إني نذَرت أن لا أكلم رجلاً حينا، فقال ابن عباس: تُؤْتِي أُكُلَها كُلّ حِينٍ فالحِين: سنة.

وقال آخرون: بل الحين في هذا الموضع: شهران. ذكر من قال ذلك:

16618ـ حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا محمد بن مسلم الطائفي، عن إبراهيم بن ميسرة، قال: جاء رجل إلى سعيد بن المسيب، فقال: إني حلفت أن لا أكلم فلانا حينا، فقال: قال الله تعالى: تُؤْتِي أُكُلَها كُلّ حِينٍ بإذْنِ رَبّها قال: هي النخلة لا يكون منها أكلها إلا شهرين، فالحِين شهران.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: عنى بالحين في هذا الموضع: غدوة وعشية، وكلّ ساعة لأن الله تعالى ذكره ضرب ما تؤتي هذه الشجرة كلّ حين من الأكل لعمل المؤمن وكلامه مثلاً، ولا شكّ أن المؤمن يرفع له إلى الله في كلّ يوم صالح من العمل والقول، لا في كلّ سنة أو في كلّ ستة أشهر أو في كلّ شهرين. فإذا كان ذلك كذلك، فلا شكّ أن المثل لا يكون خِلافا للمُمَثّل به في المعنى. وإذا كان ذلك كذلك كان بيّنا صحة ما قلنا.

فإن قال قائل: فأيّ نخلة تؤتي في كلّ وقت أكلاً صيفا وشتاءً؟ قيل: أما في الشتاء فإن الطلع من أكلها، وأما في الصيف فالبلح والبسر والرطب والتمر، وذلك كله من أكلها. وقوله: تُؤْتِي أُكُلَها فإنه كما:

16619ـ حدثنا به محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، قتادة: تُؤْتِي أُكُلَها كُلّ حِينٍ بإذْنِ رَبّها قال: يؤكل ثمرها في الشتاء والصيف.

حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: تُؤْتِي أُكُلَها كُلّ حِينٍ قال: هي تؤكل شتاء وصيفا.

16620ـ حدثني المثنى، قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس: تُؤْتِي أُكُلَها كُلّ حِينٍ بإذْنِ رَبّها يصعد عمله، يعني عمل المؤمن من أوّل النهار وآخره.